البرتغاليون في بحر عُمان

أَحداث في حوليّات

من ١٤٩٧م إلى ١٧٥٧م

المجلد الرابع

الدكتور سلطان بن محمد القاسمي

منشورات القاسمي

البرتغاليون في بحر عُمان

أَحداث في حوليّات

من ١٤٩٧م إلى ١٧٥٧م

البرتغاليون في بحر عُمان

أَحداث في حوليّات

من ١٤٩٧م إلى ١٧٥٧م

المجلد الرابع

الدكتور سلطان بن محمد القاسمي

منشورات القاسمي

اسم الكتاب :
البرتغاليون في بحر عُمان ، أحداث في حوليات ، من ١٤٩٧م إلى ١٧٥٧م ، المجلد الرابع .
الدكتور سلطان بن محمد القاسمي (الإمارات) .
....
اسم الناشر : منشورات القاسمي ، الشارقة ، الإمارات العربية المتحدة .
سنة الطبع : ١٤٤٦هـ - ٢٠٢٥م
© حقوق الطبع والنشر محفوظة

التوزيع : منشورات القاسمي
ص . ب : ٦٤٠٠٩ الشارقة ، دولة الإمارات العربية المتحدة
هاتف : ٠٠٩٧١٦٥٠٩٠٠٠٠ — براق : ٠٠٩٧١٦٥٥٢٠٠٧٠
البريد الإلكتروني : Info@aqp .ae
....
الفهرسة الوصفية أثناء النشر :
مكتبة الشارقة العامة ، هيئة الشارقة للكتاب ، الشارقة ، الإمارات العربية المتحدة :
٩٥٣،٠٧٥٣
ق س . ب
القاسمي ، سلطان بن محمد بن صقر ، حاكم الشارقة ، ١٩٣٩م- البرتغاليون في بحر عُمان : أحداث في حوليات ١٤٩٧م — ١٧٥٧م / سلطان بن محمد القاسمي . - الشارقة ، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي ، ٢٠٢٥م .
٢١ مج . ؛ ص : ٤١٦ ؛ ١٥،٥ X ٢٣،٥ سم .
يشتمل على هوامش .
تدمك : ٥-٩٢-٧٢١-٩٩٤٨-٩٧٨
١- عُمان (السلطنة) — تاريخ — العصر الحديث — الاحتلال البرتغالي ٢ - عُمان (السلطنة) — تاريخ — عصر اليعاربة ٣ — دول الخليج العربي — تاريخ — الاحتلال البرتغالي أ — العنوان
....
الترقيم الدولي : ٥-٩٢-٧٢١-٩٩٤٨-٩٧٨
إذن طباعة رقم MC-٠٣-٠١-١٢٦٧٨٨٤ بتاريخ ٢٠٢٥/٠٢/١٨م ،
مكتب تنظيم الإعلام ، وزارة الثقافة والشباب ، الإمارات العربية المتحدة
الطباعة : AL Bony Printing Press — Sharjah، UAE
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"

المحتويات

مقدمة المجلد الرابع ٧

- أحداث عام ١٥١٠م ٩
- أحداث عام ١٥١١م ٥٣
- أحداث عام ١٥١٢م ٦٧
- أحداث عام ١٥١٣م ١١١
- أحداث عام ١٥١٤م ٢٢٣
- أحداث عام ١٥١٥م ٢٤٧

دليل الباحثين ٤٠١

هوامش المجلد الرابع ٤١٣

مقدمة المجلد الرابع

يضم هذا المجلد بين دفتيه أحداث ستة أعوام ، من العام ١٥١٠م إلى العام ١٥١٥م ، وبها حوادث البحر الأحمر واحتلال عدن ، والهزيمة .

عندما عاد "أفونسو دي البوكيرك" "Afonso de Albuquerque" إلى هرمز لتسوية الأمور أمر بقتل الريس حامد وزير هرمز . أخيراً كانت وفاة "أفونسو دي البوكيرك" وهو في إبحاره من هرمز إلى "غوا" "Goa" في الهند .

الدكتور سلطان بن محمد القاسمي

أحداث عام ١٥١٠م

بدأت أحداث تلك السنة بآراء ونصيحة من "فرانسيسكو دي سوزا" "Francisco de Sousa" و"جيرونيمو تيكسيرا" "Jeronimo Teixeira" في البحر ، خارج "مونتي ديلي" "Monte Deli" ، الثالث عشر من شهر فبراير عام ١٥١٠م ، حول السيطرة على البحر الأحمر وتحطيم السفن التركية التي يبنيها الأتراك هناك : (١)

في أربعاء الرماد ، الثالث عشر من شهر فبراير ، عام ١٥١٠م ، جاء القبطان الأعلى إلى "مونتي ديلي" في "الناو" "فلور دي لا مار" "Flor de la Mar" مع اثنين وعشرين قارباً شراعياً ، جمع كل الضباط ، والربابنة ، والمرشدين البحريين التابعين للسفن السالف ذكرها إلى "الناو" المذكورة ، وقد عقد اجتماعاً هناك ، وأخبرهم أن الملك ، سيدنا ، قد أمره عن طريق خطاب بأن يبحر إلى هرمز ويتولى مسؤوليتها .

---

(١) رقم الوثيقة والهامش.

قد قال الملك أيضاً إن "جورج دي أجويار" "Jorge de Aguiar" لم يكن لديه أكثر من ذلك ليقوم به . وقد تولى القبطان الأعلى القيادة على كل الإقليم حتى "كامباي" "Campay" . والآن هو مع سرية البحرية ومع الأسطول فقد أراد أن يأخذ نصيحة من الضباط الوارد اسمهم في الأسفل ، وأن يبلغهم أنه قد حصل عليها بسلطة جيدة من "خواجا بكين" (بدرالدين؟) إن السفن التي أبحرت من مكة هذا العام ، قد جلبت أخباراً بأن الروم قد بدأوا بالتو بناء خمس عشرة أو عشرين سفينة "ناو" هناك .

دعهم يدركون أن لدينا ألفاً وثمانمائة رجل وثلاثاً وعشرين سفينة ، ومن وجهة نظره يمكن الاستيلاء على عدن بسهولة بعون إلهنا ، ومع وجود مثل ذلك الأسطول الكبير والقوة المقاتلة .

قد فكر أيضاً إنها يمكن أن تكون فكرة جيدة للذهاب والاستيلاء على عدن ، ثم الاستمرار حتى السويس ، حيث تم بناء سفن "الناو" السالف ذكرها التابعة للروم ، ذلك لأن سيادته يوصي بذلك بشدة ، وقد أمر "دوم فرانسيسكو دي ألميديا" أنه وبعد ذلك الراحل "جورج دي أجويار" من القيام بذلك .

مع وجود اثنين وعشرين قارباً وستة أخرى أصبح الآن لدى "دوارتي دي ليموس" " Duarte de Limos" فرصة جيدة للدخول إلى البحر الأحمر ، وسوف تكون تلك خدمة جيدة إلى جلالته لأنه لا يوجد مَنْ يمكن له أن يقاوم مثل هذا الأسطول ، لذلك ،

تم استجواب "خواجا بكين" (بدرالدين؟) ، الشخص الذي علم بأمر أسطـول السلطان الأعظم ، من خلال (أبرالديز) في حضور الضباط المذكورين .

أجاب "خواجا بكين" (بدرالدين؟) أنه في تلك السنة وصلت سفن "الناو" من مكة ودخلت "كاليكات" ، حيث كانوا موجودين ، وقد أحضروا ثلاث خطابات : واحدة لملك "كاليكات" ، وواحدة "لسادين" (سعد الدين؟) وواحدة أخرى "لخواجا سيميسادين" (شمس الدين؟) .

كان نص الخطابات كالتالي :

"حيث إنه من سوء حظي أن السفن قد دمرت ، فقد بنيت حقيقة خمسين سفينة ، ولأني سوف أقوم بإرسالها لمحاربة "الفرنجة" (الاوروبيـين) ، لذلك نصحت بألا أدخل في سلام مع ضباط ملك البرتغال" ،

قد جلب المسلمون المذكورون أخبار أن ست عشرة سفينة قد تم بناؤها بالفعل ، ولكنهم لم يعرفوا متى سيصل ذلك الأسطول؟!

بند ، وقد قال القبطان الكابتن أيضاً إن "غوا" "Goa" كانت في مثل قوة "سابايو" "Sapaio" ، وقد تأكد من خلال "خواجا بكين" (بدرالدين؟) والمسلمين أن "سابياو" قد توفي ، وقد كان ولده ضابطاً يائساً ، وكان خائفاً من أن نهاجم "غوا" .

كان هناك سببان وراء عدم مهاجمتنا لتلك المدينة : أحدهما إننا عند مهاجمة "غوا" علينا الدفاع عنها ، وقد كان ذلك مستحيلاً ، لأننا كنا بالكاد عابرين ، والسبب الثاني ، إن الابن كان خائفاً الآن من أن نهاجمه ، وعندما قمنا بإعادة تحميل سفن "الناو" بالأموال والمؤن وكل ما هو ضروري ، وكنا قد أطعمنا جيداً ، وكنا سنستولي على "غوا" عندما يصل "دوارتي" "Duarte" .

بند ، وقد قال أشياء أخرى .

بند ، قال "دوم جيرونيمو" إنه اعتقد أنه سيكون من الحكمة ترك سفينتين لحراسة الساحل .

يجب أن نهاجم "غوا" ، ونزعج السكان ، ونحدث دماراً ، ونعطل عملية الشحن ، وكان من الأفضل البحث عن إخراج الروم وهزيمتهم .

بند . أضاف "جواو نونيز" "Joao Nunes" أيضاً قائلاً إنه عليهم أن يتركوا بعض الحماية على ذلك الساحل ، كي يتم إمداد قلاع "كوتشين" "Cochin" و"كانانور" .

بند . أضاف أيضاً "فرانسيسكو كورفينيل" ، إنه علينا الذهاب إلى عدن واحتلالها إذا أرادوا القتال . يجب علينا ألا نأخذ الكثير من البضائع للحصول على أموال وتبديدها في عدن .

بند . اقترح "سيماو دي أندرادي" "Simao de Andrade" ، إذا

كان علينا ترك بعض السفن على ذلك الساحل ، يجب أن يكون الأسطول قوياً ، إذا كانت المسألة مسألة ترك سفينتين أو ثلاث ، فلن نزعج أنفسنا بذلك ، بل سنأخذ الأسطول بأكمله . من وجهة نظره ، يجب ألا يسمح للقبطان الكابتن بمهاجمة "غوا" لأنه لن يمكننا بناء أو إصلاح سفننا .

بند . قال "مانويل دي لا سيردا" "Manuel de la Serda" إنها كانت رحلة طويلة ، لذلك يجب علينا ترك القلاع مجهزة جيداً بالقوات والضباط . يجب علينا أيضاً احتلال والبقاء في "غوا" لأنه حيث إننا كنا نبحر إلى مسافة بعيدة ، فسوف يرتكب المسلمون أفعالاً غادرة وسيتسببون في الضرر .

بند . قال "ديوغو فيرنانديز" "Diogo Fernandes" إنها كانت فكرة جيدة الحصول على معلومات حول الروم والذهاب للبحث عنهم .

بند . وافق "جورج فوغاسا" "George Vogasa" على أنها كانت فكرة جيدة للذهاب والبحث عن الروم ، وبالنسبة لترك السفن ، كان من الأفضل عدم تركها ولكن أخذها جميعاً .

بند . قال "سيماو مارتينز" "Simao Martins" إنه ظن إنه كان من الحكمة إخراج الروم وطردهم وترك القلاع مجهزة جيداً .

بند . قال "غارثيا دي سوسا" "Garcia de Susa" إن كل شيء قاله كان سليماً جداً وإن "غوا" كانت مجرد ميناء "لفوستاس" للسفن الصغيرة ، ولم تكن ذات أهمية .

يجب أن نذهب ونزعج أقوى شيء يمكن أن يسبب لنا أكبر خسارة . إن الذهاب في رحلة ذهاب وعودة الآن إلى "غوا" في الوقت الحالي سوف يستغرق عشرين يوماً ، بالإضافة إلى ذلك ، فإن "غوا" لن تتسبب في أي ضرر في الوقت الحالي لأن الروم كانوا يغزونها .

بند . قال "فرانسيسكو دي سوسا" إنه من وجهة نظره لم تكن "كوتشين" و"كانانور" تقومان بواجبهما ، وبالنسبة للرحلة التي أرادوا القيام بها الآن ، فيجب عليهم الذهاب إلى هرمز أولاً ، وبعد ذلك الذهاب للبحث عن الروم .

بند . قال "بيرنارديم فريري" "Bernardim Ferrieri" إنه ظن إنه كان أمراً جيداً إنه ظن أن يذهب القبطان الكابتن في البعثة وأن يأخذ ويحتل عدن بمساعدة إلهنا .

بند . قال "أنطونيو دي نورونها" "Antonio de Noronha" إنه بالرغم من أنه يمكننا أخذ "غوا" في أسبوع ، فإن وجودنا هناك سوف يكون إعاقة كبيرة ، وقد كان ذهابنا إلى البحر الأحمر للبحث عن الروم في مصلحة الملك بدرجة كبيرة .

بند . أضاف "فرانسيسكو دي سا" "Francisco de Sa" نقاطاً أخرى مثل ما قال "دوم أنطونيو" .

بند . أضاف "جورج دا سيلفيرا" "George da Silviera" نقاطاً أخرى كالتي في الأعلى ، قائلاً ، إنه كان من الضروري أن تبقى

السفن على ذلك الساحل ، وإنه من الأفضل ترك تسع سفن ، ومن الأفضل عدم ترك أي شيء أبداً .

بند . قال "فيرناو بيريز" إنها كانت فكرة جيدة الذهاب للبحث عن الروم (الأتراك) ، وبالنسبة لـ"غوا" ، سيكون من الأفضل إزعاج الروم في البحر الأحمر عن البقاء في "غوا" ، حيث إنه لم يكن هناك من قوة كافية هناك لإيذائنا .

حتى إنه لا يجب أن تظل هناك سفينتان أو ثلاثة حتى على الساحل ، ولكن أن يتم أخذها جميعاً من هناك لأن القلاع كانت مجهزة جيداً ، لذلك يجب عليهم أن يذهبوا أولاً إلى عدن ومن ثم أن يدخلوا البحر الأحمر .

بند . قال "جيرونيمو تيكسيرا" إن القبطان الأعلى يجب أن يترك كمية وافرة من المؤن في قلاعه ، وخاصة "كوتشين" ، ولم يعتقد أن عليهم ترك "كوتشين" واثقين في الصداقة التي بين المسلمين وملك "كوتشين" ، وبالنسبة لـ "غوا" فيجب الإمساك والمحاصرة لها وهزيمتها وتدميرها ، شريطة ألا يتركوا أي أشخاص هناك ممن يمكنهم بناء قلعة . النقطة الرئيسة هي أن عليهم الذهاب إلى هرمز لبناء قلعة ومحطة تجارية هناك ، ومن هناك الذهاب وراء الروم وملاحقتهم .

وفي العام نفسه (١٥١٠م)

صدرت قائمة بما قد تم مصادرته من السفن التجارية في بحر عُمان ، في المدة من الثامن عشر من شهر فبراير والثالث والعشرين من شهر مارس ، عام ١٥١٠م : (٢)

في الثامن عشر من شهر فبراير ، عام ١٥١٠م ، وأمام "أونور" "Onor" ، ، "غارسيا دي سوزا" ، ضابط سفينة "سانتا كلارا" "Santa Clara" تم الاستيلاء على سفينة من هرمز محملة بالفلفل الأسود والزنجبيل وبعض الحديد والعديد من البضائع ، وأمر بأن يتم تحميلها إلى سفن أسطوله الحربي .

قد كانت كالتالي :

بند : مائة وخمساً وأربعين عبوة من الفلفل الأسود .

بند : أربعاً وثمانين عبوة من الزنجبيل .

---

(٢) رقم الوثيقة والهامش.

بند : عبوتين من "نورونبا" .

بند : ثماني وعشرين عبوة من الحديد (ثلاثمائة وأربعة وأربعين قضيباً) .

بند : عبوة واحدة من جوزة الطيب .

بند : عبوة واحدة من الخرز .

بند : عبوة واحدة "فاردوس" (عبوة) من "النانتشي" .

بند : ست عبوات من الزعفران .

بند : عبوتين من البندق .

بند : عبوتين من زيت جوز الهند .

بند : سبع عبوات من الأرز (في عشرة أكياس كبيرة) .

بغض النظر عن تلك التجارة ، التي قد تم أخذها وتوصيلها ، فقد تبقى اثنان وعشرون كيساً من الأرز ، وكذلك ثماني عبوات من الأرز واثنتا عشرة عبوة من الودع ، تم توصيل تلك البضائع إلى "تيموجا" وظلت في "أونور" ، أما بقية البنود المدرجة فقد تم تفريغها في "غوا" بأمر من القبطان الأعلى ، وتم توصيل البضائع الأخرى إلى "فرانسيسكو كورفينيل" ، الذي كان الوكيل التجاري في ذلك الوقت .

بضائع مصادرة أخرى

في التاسع عشر من شهر فبراير ، عام ١٥١٠م ، في نهر "انكاجين" ،

أمسك الضابط "سيماو دي اندرادي" التابع لسفينة القادس "ساو كريستوفاو" "Sao Christofao" "بباراو" (سفينة) ، وأخذ الآتي وصادره :

بند : تسعين عبوة من الأرز .

بند : سمح للضابط بأن يذهب حراً .

بند : خمسة ونصف ربع من البخور .

بند : أربعة قناطير وربعان وثلاثة أرطال من نبات الألوة من "سوقطرة" .

بند : خمسة وخمسين عبداً مسلماً (رجالاً ونساءً) .

بند : ستا وسبعين عبوة من الزبيب .

بند : من مختلف الأشياء الأخرى المباعة من تلك السفينة وجد (مئتين وثمانية وتسعون) "كرذاواساً" وسبعة عشر فانوساً .

بند : ثمانية وسبعين ماركو وخمس أونصات من الفضة .

بند : أربعمائة وتسعة وثلثي مثقالاً من ذهب الدرجة القليلة (نقود معدنية ذهبية) .

بند : خمسة ونصف بالة من الأقمشة التالفة بسبب طلقات النيران .

بند : ثلاث عشرة قطعة أخرى من نفس النوع ، ولكن أصغر .

بند : مائة وأربعة عشر قنطاراً و٣ و٢\١١ ربع (وزن صافي) من "اللودنوم" .

بند : ربعين وتسعة أرطال من المرجان ، مشغولة ومجربة ، مع السلك الذي يستخدم للتعبئة .

بند : ربعين وعشرين ماركو من المرجان المشغول المدور .

بند : فارسولاً واحداً وسبعة وعشرين فصاً من "اللودنوم" .

بند : خمسمائة وسبعين عبوة "تانجانيزم" من الدقيق .

بند : ربعين واثني عشر رطلاً من المرجان بغرض النحت (وزن صافي) .

في الثاني عشر من شهر سبتمبر ، عام ١٥١٠م ، أمسك كل من القبطان "سيماو مارتينز" على السفينة "بوا فينتورا" "Boa Ventura" و"دييجو فيرنانديس" "Diego Fernandes" قبطان "ري جراندي" "Ray Grand" و"فرانسيسكو ماركيس" "Francisco Marques" قبطان "بريتاو" "Britao" بسفينة من "اتشين" "Achen" وحصلوا على البضائع التالية :

بند : سبع عشرة بالة من المخمل (ذات ألوان باهتة) .

بند : بالة واحدة من القماش المطرز (خفيف) .

بند : أربع بالات من المخمل المطبوع من مكة .

بند : بالتين من القماش المطرز الخفيف .

بند : ثلاث بالات وجزءا من بالة من القماش المصبوغ بالقمح ، كل واحدة تتكون من مائة وثمانية وأربعين "كوفادوسا" .

بند : قطعتين من القماش المصبوغ بالقمح ، تصل إلى أربعة عشر ونصف "كوفادوس" ، تلفت بسبب الطلقات النارية .

بند : أربعا وسبعين ونصف بالة من قماش الصوف ، ملونة بشكل سيئ .

بند : ثلاثة آلاف وسبعمائة وخمسة وثلاثين مكيالاً من أرز "جيراسول" .

بند : ثلاثة آلاف ومائة وخمسة وثلاثين مكيال من أرز "شامباسال" .

بند : تم جمع الأموال من بعض الأشياء التي تم بيعها من هاتيك السفينتين ، ومن هياكل السفينة والصواري والصهاريج ، بالإضافة إلى العديد من المواد التي كان يحملها الرجال أنفسهم ، وقد وصل ذلك إلى مائتين وثلاثة وتسعين "كرذاواساً" وثلاثة عشر "فانويساً" .

حساب السفينة التي ظلت في "كانانور" مع الوكيل التجاري هناك ، "غونسالو ميند يز" "Goncalo Mendes" .

بند : عشرة بهاراً وثلاثة عشر "فاراكولاساً" ، سبعة وعشرين فيزاً من الفلفل الأسود ، وزن صافي .

بند : ثمانية عشر بهاراً وتسعة عشر "فاركولاساً" ، سبعة عشر فيزاً من الزنجبيل ، وزن صافي .

بند : خمسة "فاراكولاساً" من صبغة النيلة .

بند : "فاراكولاساً" من الصبغة الحمراء ذات النوع الرديء .

بند : ثمانية وستين بهاراً ، ثمانية "فاركولاساً" ، سبعة وثلاثين فيزاً من الحديد .

بند : ثلاثة بهاراً ، ثلاثة عشر ونصف "فاركولاساً" من الملح الصخري .

بند : ثلاثة ونصف بهاراً من ليف جوز الهند .

بند : ثلاثين صرة من السكر .

بند : ثلاثة صرر من الكتان الصافي / يتضمن ثلاثمائة وستين قطعة .

بند : أربعة صرر من السكر .

بند : خمسة أكياس من الأرز .

بند : تم بيع هيكل سفينة "صندل" / "زامبوكو" التي أمسك بها "سيماو دي اندرادي" مقابل أربعين "باردويساً" .

بند : تم إحضار الثلاث سفن الأخرى من قبل "جورج دي سيلفيرا" ، و"جيرونيمو تيكسيرا" أيضاً والذي تم إرساله من قبل القبطان الأعلى إلى "غوا" .

قد تركوا السفينة في "كانانور" مع الوكيل التجاري "غونسالو مينديس" ، وكانت محملة كما جاءت بالسكر والبضائع الأخرى .

بند : استلم أيضاً الوكيل التجاري المذكور "غونسالو مينديس" من كاتب العموم لسفينة "روميسا" "Romisa" مائة واثني عشر "بارداو" من السكر ، والتي كانت تحملها تلك السفينة ضمن الأشياء التي تمت مصادرتها .

بند : وقد أخذ الضباط المذكورون في الأعلى السفينتين الأخريتين إلى "كوتشين" وقد وجدوا فيهما البنود المدرجة بضائعها .

في الثاني والعشرين من مارس عام ١٥١٠م أمر القبطان الأعلى في "غوا" الكابتن "جورج دا سيلفيرا" ، قائد "روميسا" ، الذي جاء كضابط أعلى ، بالإمساك بثلاث سفن من هرمز .

أمر أيضاً بأن ينضم في ذلك ضابط "ساو جواو" "Sao Joao" و"سيماو دي اندرادي" ، ضابط القادس "ساو كريستوفاو" ، وقد كانت تلك السفن الثلاثة من هرمز عند المرسى مع تصاريح المرور إلى ميناء "باتيكالا" "Patikala" ، وقد تم أخذها لتحميل الفلفل الأسود والزنجبيل ، وقد أمسك "سيماو دي اندرادي" بسفينة "صندل" "زامبوكو" من هرمز أمام الميناء المذكور كانت بدون تصريح مرور .

كانت المصادرات من السفن الأربع هي كالتالي :

بند : مائتي "فاردوس" والتي قد تم تحويلها إلى سفينة "ساو جواو" ، والتي قد تم إعادتها إلى "غوا" .

بند : سبعة وسبعين "فاردوساً" وثلاثة أكياس كبيرة من الأرز ، وقد تم أيضاً تحويلها إلى السفينة المذكورة بالأعلى .

بند : اثنين "فاردوس" من الزنجبيل .

بند : أربعة "فاردوس" من الجذور الصالحة للأكل .

بند : بالتين من ليف جوز الهند .

قد حملت أيضاً القادس "ساو كرستوفاو" إلى "غوا" :

بند : ألفين وثلاثمائة وستة وستين ونصف "أشرفي" نقداً .

بند : كمية من الملابس التي تقاسمها الضباط بقيمة واحد وثمانين "كرذاواساً" وثلاثة "فاردوس" إضافة إلى ذلك .

بند : هيكل إحدى السفن ، والصاري والأشرعة وحبال الأشرعة .

أمر الضابط الأعلى بأن يتم إعطاؤها إلى المرشد البحري المسلم من هرمز ، والذي حملوه معهم .

وفي العام نفسه (١٥١٠م)

بعث "أفونسو دي البوكيرك" "Afonso de Albuquerque" من "غوا" ، في العشرين من شهر مارس عام ١٥١٠م برسالة إلـى ملك هرمز ، تؤكد صداقة وود "أفونسو دي البوكيرك" تجاه ملك هرمز ، وأنه ملتزم بتقديم المساعدة الدائمة تجاهه : [٣]

أنباء وصول مبعوث من ملك هرمز في "غوا" .

المناشدة بضرورة حسن استقبال السيد "روي جوميز" الذي قدم كمبعوث من الملك إلى الشيخ إسماعيل .

تأكيد ود وصداقة "أفونسو دي البوكيرك" تجاه ملك هرمز .

مغادرة "خواجا عامر" في اثنتين من السفن إلى هرمز محملة بالسلع البرتغالية .

---

(٣) رقم الوثيقة والهامش.

تعهد والتزام بتقديم مساعدات دائمة إلى ملك هرمز من جانب "أفونسو دي البوكيرك" .

مساعدات دائمة إلى ملك هرمز من جانب "أفونسو دي البوكيرك" .

كانت تلك اقتباسات من أول نسخة طبعت من يوميات "افونسو دا البوكيرك" في عام ١٥٥٧م ، لم يكن من السهل نقلها للترجمة الإنجليزية التي قدمتها جمعية "هاكلويت" والتي يحتفظ بها جلالته في مكتبته ، فالترجمة الإنجليزية قد تمت من الطبعة الثالثة .

وفي العام نفسه (١٥١٠م)

بعث "أفونسو دي البوكيرك" "Afonso de Albuquerque"[(أ)] في مارس عام ١٥١٠م[(ب)] ، كُلّاً من "روي جوميز" "Ruy Gomes" و"فيري جواو" "Frey Joao" إلى الشاه إسماعيل الصفوي ملك فارس ، جاءت التعليمات التي أصدرها في الوثيقة التالية : [(٤)]

وأهم بند بها :

بند : يجب أن تبلغه أنه عندما يخرج ضد مدينة مكة ويرغب في الاستيلاء عليها ، فإنني سوف أدخل البحر الأحمر وأقوم بشن

(أ) إن التعليمات حسبما كتبت في اف ٣٨٩ المجلد الأول من ملحوظات "افونصو البوكيرك" قد تم نسخها من كتاب "الكوباكا" رقم : ٤٧٥ وقد وجدت مختلفة كثيراً من النص الأصلي الذي ورد في أرشيفات "تومبو" ولقد رأينا أنه من الضروري نسخهما هنا .

(ب) أنظر : .Gaspar Correia, Lendas da India, Book ii, chap x .

(٤) رقم الوثيقة والهامش.

الهجوم على جدة ، ويجدر بك أن تبلغه أيضاً أنه إذا ما كان راغباً في مهاجمة أرض الجزيرة العربية ، فإنني سوف أتوجه بنفسي وبأسطول مولانا جلالة الملك وسوف أهاجم عدن وجميع مدن الساحل وشاطئ الجزيرة العربية والبحرين والقطيف ومدينة البصرة .

أرسل هذه التعليمات لكما ، "روي جوميز" و"فيري جواو" ، راجياً ضرورة مراعاتها وتنفيذ ماورد فيها ، خلال رحلتكما من وإلى "نارسنجا"[أ] وأيضاً في فترة وجودكما هناك حيث أرسلتكما لخدمة الرب وخدمة مولانا الملك .

بند : إن رحلتكما الخارجية سوف تكون بشتى وبمختلف أنواع سبل المواصلات ، التي يمكن أن توصلكما بشكل مباشر إلى مكان الشيخ إسماعيل ، ويترتب عليكما أن تقدما له كل فروض الاحترام والتوقير ، وكل ما يستحقه من طاعة هو جدير بها بصفته حاكماً عظيماً .

بند : يجب أن ألا يستشعر تجاهكما حدوث أي نوع من النزاع أو التنافر بينكما ؛ لأنكما تدركان أي نوع من الضرر والأذى يمكن أن يحدث ، وربما يترتب على ذلك أيضاً حدوث إساءة يمكن أن تلحق بمولانا الملك ، وإذا ما حدث أي شيء من هذا القبيل فستجدوننا أكثر حرصاً على توقيع العقوبة الصارمة بحقكما .

(أ) ملحوظة المترجم : من الأخطاء الواضحة أنه يشار إلى فارس باسم "نارسنجا" .

بند : عند الوصول إلى هرمز فيجب أن تطلبا من "خواجا عطار" أن يرسل لكما مطيتين ؛ لأجل استخدامكما الشخصي ولاحقاً أي فيما بعد سوف تقومان بمطالبته بكل الأشياء التي ورد ذكرها في الخطابات التي ذودتكما بها ؛ وذلك لنفقاتكما والمصروفات الخاصة بتعجيل إجراءات رحلتكما .

بند : يجب عليكما الالتزام بتنفيذ الأوامر والتوجيهات في هذه الرحلة وكذلك وصايا وقرارات سفير الشيخ إسماعيل ، وألا تقوموا بشراء أي شيء ولو كان يمثل ذلك احتياجاتكم الخاصة ، قبل أن تأخذوا موافقته .

لا يجب أن تنفصلوا عنه لتذهبوا إلى رؤية المدن والميادين أو مشاهدة الألعاب في طرقات المدينة وأماكن التسلية والترفيه ، وكذلك لا يجب أن تسلكوا أية طريق أخرى غير التي يسلكها .

يجب أن يسير كل شيء حسبما يأمر به إذ إنكم تدركون تماماً طبيعة نوايا البربر (المسلمين) ، وما يضمرونه لنا ، فالكل يعلم أنهم يتمنون أن يلحقوا بنا الضرر في أي وقت .

بند : يجب أن تبلغوا الشيخ إسماعيل عن أنني أنصحه بأن ينتبه ويضع في اعتباره ما يتمتع به من شهرة عظيمة كحاكم له سيادته وشهامة فرسانه وتلك القوة والسطوة والعظمة التي يجب أن تكون ميزة الحاكم الجسور ، وبالتالي فعليه أن يقوم بحماية المسيحيين ويكرمهم ويحسن إليهم .

بند : ويجب أن تخبره أن مولانا جلالة الملك سيسعده أن تصل معه إلى تفاهم لإقامة الحلف بينكما ، وأن تعمل على تقديم العون والمساعدة له في حربه ضد السلطان وذلك لأجل تدميره ، وبالتالي فإنني باسمه وبالإنابة عنه أعرض عليه الأسطول والجنود والمدفعية التي بحوزتي الآن وكذلك القلاع والمدن وسيادة الملك في الهند وبالمثل ضد الأتراك .

بند : ويجب أن تبلغه أنه عندما يخرج ضد مدينة مكة ويرغب في الاستيلاء عليها ، فإنني سوف أدخل البحر الأحمر وأقوم بشن الهجوم على جدة ، ويجدر بك أن تبلغه أيضاً أنه إذا ما كان راغباً في مهاجمة أرض الجزيرة العربية ، فإنني سوف أتوجه بنفسي وبأسطول مولانا جلالة الملك وسوف أهاجم عدن وجميع مدن الساحل وشاطئ الجزيرة العربية والبحرين والقطيف ومدينة البصرة .

سوف آتي إلى الشاطئ في ساحل البحر الفارسي حيث سألتقي به وسوف أقوم بتنفيذ كل ما يأمرني ويطلب مني تنفيذه إذا ما كان في ذلك مساعدة وعوناً له ضد أعدائه .

بند : وعليك أن تبلغه أيضاً أنه إذا ما رغب في الدخول ومهاجمة إقليم "غوجارات" وكذلك سيادة ملك "كامباي" ، فإنني أعده بمهاجمة الموانئ البحرية التي يحتفظ فيها بكل مقدراته وإرادته ولا شك في أنه سوف يصبح سيدها المطلق .

بند : ويجب أن تصف له هيبة وعظمة مولانا جلالة الملك ، ومملكته وسلطانه الثراء والوفرة التي يتمتع بها ، وتميز مدنه من حيث كبر حجم وجمال مدينة "لشبونه" وطراز البناء فيها وروعة المباني والمنازل ، والكميات الضخمة من الذهب والفضة داخل المملكة ، وثراء العديد من السكان ، وكيف أصبح الملك يمتلك اثنين من مناجم الذهب حتى أصبح إقليمه يستقبل كل عام كميات ضخمة من الذهب .

تتوافر جميع أنواع السفن في المملكة بأحجام كبيرة وأساطيل ضخمة يقوم بإرسالها إلى الهند سنوياً ، وكيف أنه دأب أن يجهز أساطيل ضخمة يرسلها ضد الأتراك .

بند : أيضاً أود أن تبلغه بأن مولانا جلالة الملكة لديه الكثير من الممتلكات والمدن التي استولى عليها عنوة وبقوة السلاح في إفريقيا ، وتوضح له كيف تنمو مقدراته ومكتسباته هذه في عدة مدن صغيرة كانت أو كبيرة تنتشر على طول الساحل حتى مدينة "رأس الرجاء الصالح" ، وكيف وصلت القلاع التي يمتلكها منطقة المحيط الهندي .

تذكر له أنه "سوفالا" التي تعتبر منجماً ذهبياً فيها قلعة وكذلك قلعة "كلوة" في "موزمبيق" وإن جميع ملوك "ماليندي" و"كانانور" و"كوتشين" يخضعون له خاصة في إطار ما لديه من جنود في مختلف تلك القلاع والأماكن .

بند : يترتب عليك أن تخبره عن مدى قوة الأسطول والجنود وقوات المدفعية التي امتلكها في الهند وكذلك عن جمال وحجم وكميات قطع المدفعية التي تؤول للملك في مملكته ، وكيف أنه وفر لجميع المحاربين في البرتغال عدداً كبيراً من الخيول ، وكذلك عدته وعتاده الحربي وكيف هو تسليح الجنود وأنواع الأسلحة التي يستخدمونها في الحرب .

بند : هذا بالإضافة إلى ضرورة إقدامك على التحدث معه عن سيدتنا جلالة الملكة وابنة من هي وكيف أن أباها الملك وأمها جلالة الملكة قد أصبحت لديهما ممالك خاصة بهما وعملا على ضمها إلى مملكة جلالة الملك ، ويجب أن تحدثه عن مملكتها المهيبة وكيف أن من يقمن على خدمتها هن بنات "اللوردات" وكذلك "مركيزات" "البرتغال" الثريات اللائي يلبسن أفخر الثياب وأغلى أنواع اللؤلؤ والحجارة الكريمة وحُلي الذهب وجميع أنواع الحرير ومن ثم يتزوجن بنبلاء المملكة .

بند : أيضاً عليك أن تحدثه عن مملكة الملك ، وعن ثيابه وجواهره وأثاثه ، وكيف أنه يتناول طعامه على طاولة ترتفع أربع درجات عن الطاولة التي يجلس إليها "اللوردات" لتناول الطعام في قصره ومن هم الذين يقفون حوله وقبعاتهم في أيديهم ؛ حتى يفرغ الملك من تناول طعامه ثم يعود إلى سكنه .

بند : أيضاً حدثه عن إسطبلات الملك الضخمة والخيول والبغال

الجميلة التي يحتفظ بها في تلك الإسطبلات وعن الحلي والزخارف المصنوعة من الذهب والفضة التي تزين بها سروج الخيول .

بند : أيضاً حدثه عن المدن والقلاع التي بحوزته والثروات والبضائع النفسية التي تزخر بها المملكة .

بند : يجب أن تخبره أنه يجب أن يرسل سفراء إلى مولانا جلالة الملك لأجل توطيد روابط الصداقة وعقد التحالف معه في وقت الحرب ضد أعدائه وكذلك السماح لبضائعنا القادمة إلى ممالك البرتغال بالدخول في إقليمه عبر هرمز .

بند : عليك أن تخبره أنه في حالة إرسال سفرائه لتوطيد روابط الصداقة والنوايا الحسنة والمساعدة ، فإن جلالة الملك سوف يساعده في مواقفه ضد السلطان وضد الأتراك براً وبحراً ، ويجب أن توضح له إمكانية وصول الملك للإسكندرية والقدس وإقليم السلطان كله عن طريق الإبحار شرق البحر الأبيض المتوسط ، وكيف أنه بوسعه الدخول للبحر الأسود ومضيق "القسطنطينية" وجميع قرى ومدن إقليم الأتراك .

بند : أيضاً يجب أن تخبره بالإنابة عني أنني عندما أصل إلى هرمز وأتمنى أن يحدث هذا قريباً سوف أكون سعيداً بمقابلته لأن سفيره قد أخبرني أنه يسره أن يستقبلني لكي نتحدث سوياً .

بند : يجب أن تحدثه عن ديانتنا كي تكتشف مشاعره عنها وما

إذا كان يستوعب جيداً ما تقوله له وأرجو ألا تحدثه بإسهاب حتى لا تثير استياءه .

بند : أيضاً يجب أن تكتشف من المسيحيين الموجودين في تلك المناطق ما إذا كانوا يحتفلون بمناسباتنا ويأخذون بعين الاعتبار ويحترمون ديانتنا ويؤمنون بأن سيدنا المسيح هو ابن سيدتنا وقد مات مضحياً فوق الصليب لكي ينقذنا ومن ثم رفع في اليوم الثالث .

بند : أيضاً عليك أن ترى ما إذا كان بوسعك أن تأتي ببعض من أولئك المسيحيين ، فمن لديهم نظرة ومفهوم مغاير عن الديانة أو تجري الترتيبات اللازمة بتوجههم إلى "روما" ، على الرغم من أنه من الأفضل الذهاب عن طريق البرتغال .

بند : أيضاً يجب عليك أن تطلع على كنائسهم وزخارفهم ومذابح الكنائس وصور القديسين وما إذا كانوا يضعون الرب فوق الصليب وصور سيدتنا وكذلك رجال الدين والكهنة - كيف يعيشون وكيف يلبسون وأن تكتشف أيضاً ما إذا كان هنالك من رهبان - وشهداء ورواد (رسل) في تلك المناطق .

بند : أيضاً عليك أن تقف على أنواع السلع والبضائع في البلاد وأسعارها وما إذا كانت هنالك أحجار ثمينة ومناجم للفضة وأسعارها وأي البلاد تصدر لها هذه البضائع وكيف يتم شحنها وما هي الممالك التي تجاور بلاد الشيخ إسماعيل .

بند : إذا ما حالف الحظ الشيخ إسماعيل في الاستيلاء على "القسطنطينية" ومن ثم أصبحت تابعة له فإذا ما رغب في إرسال سفير إلى مولانا جلالة الملك وتبين لك أنك قريب من "القسطنطينية" فإنني آمرك بالاستمرار في ذلك الطريق وأن تحرص على الاستمرار في موافاتي بالأخبار بما أمكنك عمله وإبلاغي بالرسائل التي تحملها إلى الملك .

بند : يجب أن تفعل كل ما بوسعك عمله للتأكد من أن الشيخ إسماعيل قد أرسل من بلاده إلى الملك بعض الحلي القيمة والأشياء الثمينة التي لم يحدث أن رآها شخص قط في البرتغال .

بند : مرة أخرى أذكرك بأنه بالرغم من تناولك بشكل عارض بعض الأمور ذات الصلة بمملكة الملك والملكة لكن لابد لك من وصف احتفالاتهما المهيبة وكل ما يتصل بها من أنواع الثراء والأثاث والخدم والحشم جمال وثراء المنازل التي يصرفونها وكذلك النفقات الباهظة التي يقدمونها على احتفالاتهم .

بالمثل الخزائن التي تذخر بأنواع الذهب والأحجار الكريمة والجواهر المدهشة ، وضخامة البلاط الملكي والخيالة الذين يمثلون حضوراً دائماً هناك ، السفراء من البلاد المجاورة والملوك الذين يحرصون باستمرار على زيارة البلاط وكل التفاصيل الأخرى التي تخطر على بالك .

أخبره أيضاً عن ولاء وإخلاص العناصر البرتغالية وطاعتهم لمولانا الملك وذلك كي تثير رغبة الشيخ إسماعيل في السعي للتحالف معه وتوطيد علاقات الود والمساعد بحيث إنه سيجد نفسه مدفوعاً وراغباً في إيجاد علاقة وطيدة عندما يطلب منه الملوك ذلك .

بند : وآمرك أن تقرأ هذه الأوامر والتعليمات من وقت لآخر ، وأن تعمل على الالتزام بها جيداً ، وكذلك المترجم الذي يرافقك وذلك حتى لا يحدث أي تناقض أو شك في الأمور التي تطرحها وأرجو أن تدعه يراك دائماً على النحو الذي وصفته عنك في الرسائل التي بعثت بها إليه .

توقيع : "أفونسو دي البوكيرك" .

وفي العام نفسه (١٥١٠م)

بعث "دوم غونسالو فيرنانديز" "D . Gonçalo Fernandes" ، برسالة إلى "دوم مانويل الأول" "D . Manuel I" ، الرسالة كتبت بتاريخ شهر ديسمبر[أ] عام ١٥١٠م ، وكان صريحاً للغاية حيث كتب : لم تعجبني أبداً تلك الحرب الشرسة التي تشعل هنا ضد هذه الشعوب الرفيعة ، وكما ذكرت لك في رسالة من العام الماضي ، فهم يخشوننا ويكرهوننا إلى حد لا حسد معه فإنهم يتمنون أن يتخلصوا منا : [٥]

سيدي ،

لقد أمرتم سموكم في العام الماضي (١٥٠٩م) بأن ينشأ هنا هذا

(أ) رسالة كتبت في ١٥١٠م ، ربما في ديسمبر ، فهي تبدأ هكذا : "لقد أمرتم يا صاحب السمو من هنا في العام المنصرم ، السنة التاسعة ، بأن يتم تدبير هذا القسم من عودة الأسرى . . ." .

---

(٥) رقم الوثيقة والهامش.

القسم المختص بشؤون الفدية للأسراء ولم ترسلوا سموكم أية رسالة رسمية بذلك المعنى .

لقد تطورت الأمور حتى بدون ذلك ، باعتبار أن الرسائل سوف تصل خلال هذا العام .

لكن لم يحدث ذلك ، وحتى وصولها فلسوف لن يتم تنفيذ رغبات سموكم بالكامل ، فبالإضافة للذين يمتلكون الوثائق المرسلة من البرتغال ولديهم من يقوم بدفع الفدية عنهم ، فإنه يوجد آخرون يدخلون بوثائق قدمتها أنا لهم .

في غياب الوثائق في حال عدم وجود من يقوم هنا بالصلوات والدعوات في المناسبات لهذه الغاية المقدسة ، فإن المرء لا يمكنه استخدام أرواحهم النبيلة ولا قدسية هذا المكان .

إن سموكم على دراية كاملة أن الوعاظ يستفيدون من الحملات الصليبية ومنافعها ناهيك عن كونهم أكثر جذباً عن المتعلمين ، هذا النقد ينطبق أيضاً على القباطنة والنبلاء العامة .

لأصدقك القول بأن بعض الرهبان والأخوة القساوسة ممن يأتون إلى هنا يعتبرون رجالاً على قدر كبير من سوء الخلق والشخصية وهم يخطئون في تنفيذ واجباتهم بسبب الجهل والسرقة والغش في الاعترافات مما يدفع إلى الفساد وإزهاق الأرواح التي أفضل عدم ذكرها أو الإشارة إليها احتراماً لكم .

أرجو من الرب أن يغفر لنا ولكل من يخدمكم بخاصة في هذا البلد الذي يكثر فيه فعل الخطأ والسوء والأمثلة السيئة التي تقدم للمتحولين المنتظرين للتعميد ولغيرهم من الكفرة كثيرة .

(فقرة ملغية لعدم تناسبها مع المقام)

سيدي ، لقد سعيت دائماً لرزقي وتمتعت بهدية الفطنة من ربي مما أتاح لي الندم عن خطاياي لأن من يصلح من طريقه يزيد من آلامه .

أنا الآن في الأربعين من عمري وحسبما هو القول المأثور فأنا لست مجبراً فقط على القول والاعتراف ، بل وعليّ الاعتراف :

لقد أمضيت ثماني سنوات في الهند ، ولديّ فهم معقول لهذا البلد ، بخاصة وأن ديدني كان أن أطبق وأمارس أساليب قديمة عفا عنها الزمن ، بيد أنها مجربة وماضية في شجاعتها ، ولذلك يمكنني أن أتنبأ بنتائج بعض الأحداث المهمة كما في حالة هرمز و"كلكتا" و"ملقا" و"غوا" .

لقد كتبت لسموكم عن "كلكتا" قائلاً إنه كلما فتحنا بالقوة كلما كانت خسارتنا وهزيمتنا كبيرة ، أما فيما يختص باستقرار "كلكتا" فقد بدت دائماً مؤمّنة بالنسبة لي ، ومؤخراً تفادت سفينتان متحاربتان الاستيلاء عليهما : واحدة كانت قادمة من مكة والأخرى من "كامباي" ، ويمكن لك أن تشكر قبطانك القائد لنجاتهما .

إن الاستثناء الوحيد كان "سنبوقاً" أرسل منفرداً إلى "كوتشين" ، وبسبب بعض العوائق في "كلكتا" تم الاستيلاء عليه بواسطة مركب فيه اثنان- ثلاثة من بحارتنا ، ومنذ أسره وجيراننا يتعاملون معنا بشكل أسوأ من السابق بكثير .

كذلك كتب لسموكم عن "ملقا" ، وإني لأشكر "دومنغوس لوبيز" "Domingos Lopes" لأنه وجد طريقة لي لأن أكون مصدقاً سلفاً .

فيما يتعلق "بهرمز" و"غوا" فلقد قلت - ولدي الكثير من الشهود هنا - أنهما سوف تفقدان ، إنها قناعتي بأن سموكم ترسلون قباطنة وحكاماً لديهم القليل من الحب تجاه الهند ، ولسوف استمر في إرسال آرائي إليكم حول هذا إذا ما استمر توظيف وتعيين مثل هؤلاء .

لم تعجبني أبداً تلك الحرب الشرسة التي تشعل هنا ضد هذه الشعوب الرفيعة ، وكما ذكرت لك في رسالة من العام الماضي ، فهم يخشوننا ويكرهوننا إلى حد لا حسد معه فإنهم يتمنون أن يتخلصوا منا ، ومثلما ذكرت ذات مرة لنائب الملك ولـ "تريستاو دا كونها" "Tristao da Cunha" و"دوم ألفارو" "Alvaro" ، فإن هذه التجارة سوف تفقد بالتأكيد بسبب القوة التي تستخدم في ممارستها لأنه لن يكون في مقدور كل المسيحيين بل كل العالم المسيحي أن يسيطر عليها (التجارة) بالقوة .

عندما تستخدم القوة في غير ضرورة ، فإن ذلك يحط من القدر ويخلق الكراهية ، والدليل على هذا أنه من بين كل الأجناس والأمم التي احتلت هذا البلد ، فإن المسلمين فقط هم مَنْ بقوا وذلك بسبب أنهم لم يأتوا كحكام فاتحين بل كأهل جوار وجيرة .

لا أشير إلى المماليك (الأتراك) الذين لا أحترمهم دون غيرهم على الرغم من أنهم يحظون بدعم الناس هنا لأنهم يهتفون ضدنا ، لقد شاهدنا سلفاً أسطولهم الكبير من السفن الحربية وهو يتلقى سند الأهالي هنا .

لقد صرفهم الرب عن طريقهم بواسطة "دوم فرانسيسكو" الذي كان معه نفر قليل وسفن قليلة ، وأغامر بالقول بأن ذلك كان عملاً بشارة كبيرة من طرف الكنيسة الكاثوليكية المقدسة نيابة عن شعب وملوك البرتغال ، إذا لم يكن مثل هذا الحصاد لكانت تجارة الهند قد ضاعت .

عليه ، سيدي ، فإنني أؤمن أنه كلما كان ذلك ضرورياً ، فإن الله سوف يمنح النصر للمسيحيين المخلصين الذين يعرفون كيف يصونون إيمانهم ويبعدون المماليك عن المكان ولكن الأهالي الطيبين والذين كما يقول المثل (لا خبزاً لهم ولا حجر) يمكنهم أن يؤذونا .

الخبرة والمهارة يجب أن تستخدم عوضاً عن القوة للوصول إلى حل لمشكلات التي تواجهها مع هؤلاء الأهالي ، وإنني أعتقد

أن الحل يكون بإحلال السلام في كل هذه المناطق ، والسماح للأهالي بالإبحار إلى كل الجهات التي يرغبون فيها بعيداً عن القسر أو فرض الضرائب .

هذا بالتأكيد سوف ينتج عنه مصاريف كثيرة بالنسبة لنا قد لا نستطيع تحملها ، ولكن الكلفة يمكن نقصها بدفع النفقات المحلية من المداخيل المتحصل عليها محلياً : من الأرباح الناجمة عن البضائع المشحونة والممتلكات النازلة إلى الميناء ، والتجارة التي تؤخذ من الأعداء لديننا المقدس .

إنني أرى يا سيدي أننا كلما استخدمنا القوة وفشلنا في حل مشكلاتنا فربما يكون الجواب في استخدام الوسيلة الضد ، بمعنى أن نتعاون ونلجأ إلى الرحمة والعدل .

ولتحقيق هذا لابد من مذكرة عفو تعمم على طول الساحل ، تقول إنه بسبب عدم الفهم من طرف قباطنة ومسؤولي سموكم ، تمت معاملة الأهالي بشكل غير صحيح ، مما لم يعجب سمومكم ، وما إن سمعتم سموكم بذلك وفطنتم إلى ما حاق من أفعال خاطئة ببعض الأهالي من تابعيكم ، وأن الإداريين يفضلون ما يفعلون من غير طاعة لأوامر سموكم .

أخيراً وبما أن كلاً من الطرفين قد عانى ، وما كان ذلك ضمن مقاصد سموكم ، فإنكم تعتبرون ما وقع في الماضي قد مضى ونسي ، وأن المأمول والمرغوب الآن أن نعيش في سلام مع بعضنا بعضاً .

لهذه الغاية سوف يضمن سموكم ، وباستثناء أماكن محدودة ، فإن سفنهم وأهاليهم يمكنهم التجارة متى وأين رغبوا بدون معيقات أو أذى من مسؤوليك الذين سوف يكونون على العكس متساهلين ويقدمون المساعدات الممكنة .

أما إذا رغبت في مواجهة ومقاومة هذا الهجوم المستمر من المماليك أو السلطان ضد هذه المناطق والبلاد والتي هي تابعة لك وتشكل مصروفات ثانية من لدنك ، عندئذ دعهم يتصرفون حسبما يعتقدونه مناسباً ، وليقدم كل منهم بعض ضريبة عليه .

إنه من السهل شرح كل هذا لكم مباشرة من كتابته في رسالة ، حيثما أسسنا أنفسنا سيكون من الصعب التجارة . لا توجد سفن أجنبية ، والأهالي المحليون يعيشون في خوف وخنوع ، ويعاملون معاملة سيئة من طرف المحاربين الذين يصادرون كل ما يحتاجون إليه ويذهبون إلى حيث يشاؤون .

أما الأهالي المسالمون فإنهم يستقبلوننا في بيوتهم ، ولا يصادرون شيئاً وفقط يذهبون إلى حيث يسمح لهم لقد دام هذا لعدة أيام ، ولأن بعض المراكب ما تزال في البحار قادمة من الجزر ومن مناطق أخرى لا تدفع أية ضرائب ، فإن بعض الشحنات أو أية كمية تعتبر مناسبة يمكن أخذها منها باستخدام الإقناع والمنطق .

بالطبع إذا تركت أية شحنة بين أيديهم فلسوف يفهمون تصرفنا

على أنه ضعف ، ولسوف يستعجلون إعادة تحميلها ، ولسوف لن يرضخوا مثلما يتشجعون عادة إذا ما اعتقدوا أنهم يقاتلون في سبيل حياتهم وفي سبيل بضائعهم .

إذا ما فهموا أننا نتمتع بقدر من الإنسانية فلسوف يذهب عنهم خوفهم منا ، ولسوف يبحر كل واحد فيهم إلى حيث يشاء .

أعتقد ، سيدي ، أن مصروفات الهند ، بل وأكثر من هذه ، يمكن مقابلتها من مداخيل المشحونات المصادرة من الأماكن والأشخاص الذين لا يدفعون الضرائب ، فيما عدا تلك البقاع التي أقوم بجمع ضرائبها بنفسي ، وبهذه الطريقة يمكن أن ننجح فيما فشلنا فيه في أماكن أخرى .

فلينتج السلام عما تنجز وليعم الرخاء لكل أراضيك .

لا تعتبر القتال أو البحث عن الانتقام في "كلكتا" أو "كيلون" "Quilon" لأن مثل ذلك سوف يستمر هناك بدون أن تحصل على أية منافع منه .

كما أسلفت القول سابقاً ، سوف لن تدوم "كوتشين" إذا لم تحظ بقباطنة مخلصين (والذين لحسن الحظ يقومون بما هو أفضل هناك على عكس ما حدث في "كيلون" أو "ملقا") ، والذين توصلوا إلى اتفاق معهم على الرغم من عدم الوثوق بهم ، وهذا أفضل من خسارتها في أوقات بدت أفضلية لدول أعظم أن تتجه إلى الخسارة والإخفاق .

هذا ما فكرت فيه بشأن الحرب والسلم وبعض العموميات الأخرى .

كذلك ، أخطرت سموك بأخبار حول نقاط محدودة من المهم بالنسبة لك معرفتها حتى تكون على بنية من المنحى الذي خدمت به سموك هناك ، على الرغم من إنني أدرك النفع القليل الذي سوف تجلبه لشخص عديم الجدوى ، لأنه وحسبما قالت حكمة "تيرانس" "Teranes" : "يجب عليَّ أن أعاني من أجلها" إذ لا يوجد سبب لإخفاء الحقيقة عن الملك نفسه .

ليس بسبب معرفته نجح "أفونسو البوكيرك" في الحصول على النتائج الباهرة التي عادة ما تحصل عليها ، لقد أنفق مبالغ باهظة من خزانة سموكم ووضع جيشكم العظيم في مواضع تفاداها وتخلص منها بمشيئة الرب ، ونحن نعتقد أنها بسبب إخلاص سموكم وولاء المسلمين .

لقد قام بتفريغ غير ضروري لأكثر مما قيمته مائة ألف من البضائع من السفن التي كانت محملة للدفاع عن تلك القلاع والحصون ، بل وعن الجيش والأسطول ، وتركها في "غوا" بدون معرفة المصير الذي ينتظرها ، غير آبه بالمرة ، تركها في قلعة حصينة مع واحد من أكبر أساطيلك ، وفقد حوالي ثلاثمائة ألف "كروزادو" ، وهذا لا يتضمن ما تم الاستيلاء عليه والذي قيمته تتجاوز المليون من الذهب .

هنا وفي "كلكتا" ، قام بقتل حوالي خمسمائة رجل ، وإذا رغب المسلمون في تلك الأماكن ، هرمز و"كلكتا" و"غوا" ، ما كان سوف يبقى ولو رجل واحد فيما عداه هو "افونسو البوكيرك" إذ اتخذ إجراءات تحوطية مسبقاً .

هناك أمور كثيرة سوف يعلم بها سموك عنه من رجال نبلاء آخرين من قباطنة وأشخاص آخرين يذهبون إلى هناك (عائدين إلى البرتغال) عن كيفية فشله في توفير مؤن وإمدادات للثلاثة أشهر ، وعدم دفع أجور جنودك ، لقد دفع رشاوي بمقدار عشرة إلى اثني عشر "كروزادو" لقتلهم . (عاد فرسان جرحى من المعركة وقالوا لـ "افونسو البوكيرك" لقد غرست هذا الرمح في أجسادنا ، لقد قتلتنا") .

كذلك ، لقد جاء إلى "كانانور" ليسأل الملك أن يقرضه مالاً أو ، - حسب ما أعتقد - ادعى أن المبلغ المطلوب هو ضريبة مما قلب الملك ضده وضد سموك أنه غير مدرك بالمرة أن ملك "كانانور" قادر على أن يمنحنا جرادة على أن يعطي ريالاً واحداً ، وأخيراً قام بقتل "جوازيلاً" ، وهو واحد من أفضل رجالك ، ببساطة لأنه كان صديقاً لنا وزائراً دائماً للقلعة .

أرسل "أفونسو البوكيرك" طلباً إلى الملك في "كوتشين" ليساعد "غوا" في الدفاع عن نفسها ببعض الـ "Nairs" ولكن الملك لم يلتفت إلى الطلب ، بل لم يكن يتوجب عليه فعل ذلك ، لأن ذلك كان ضد عاداتهم أن يذهبوا مبحرين في البحار .

لقد تم ترك "أنطونيو ريال" "Antonio Real" من طرف ""أفونسو البوكيرك"" كقبطان هنا (في "كوتشين" ، وكان ذلك تعييناً موفقاً إذ جرده الرب هنا من سوء عمله) . على أية حال كان الوضع والأحوال سيئة وبالتالي اعتبرت حكومة وحكم "البوكيرك" شأناً ضعيفاً ونظر له بامتهان واحتقار .

ذات ليلة هرب عبد من القلعة ، وكان عددهم فيها قليل ، وذهب "البوكيرك" خارج القلعة بدون أن يحدث أحداً عن ذلك ، ومعه معاونان أو ثلاثة ، وصل إلى ملك "كوتشين" وإلى التجار هناك يسألهم البحث عن العبد الهارب ، لا أعتقد أن سموك أمره بفعل ذلك أو صدرت له تعليمات بذلك .

ذراع العدالة الأخرى التي تركها "أفونسو البوكيرك" ، والذي عدّل كل شيء هنا ، كان "فيرناندو أفيز" "Fernando Avez" والذي كان خادماً لـ "أفونسو بيريرا" "Afonso Perriera" حاكم "سنتاريم" "Sentarim" والذي كان معتاداً أن يتولى جمع الضرائب من جزاري "سنتاريم" .

لقد تم اعتقاله بسبب سرقاته من المستشفى هنا ، واعتقد أنه جاء إلى هنا من السجن ، لقد منحه "فرانسسكو بيريرا" هنا مهمة رعاية بعض الخنازير والبط تابعة له ، وكذلك بعض الشؤون الأخرى التي يجب عليّ ألا أذكرها لسموكم هنا كونها معيبة .

لقد عيّنه "افونسو البوكيرك" قاضياً هنا ، لإيلامي هنا أكثر جعلني كاتباً قضائياً له لبعض الوقت ، حسبما كتبت لسموكم العـام الماضي ، ولقد سمحت لي الظروف لاحقاً أن أتملص من تلك الوظيفة .

بعد ذلك منحه "أفونسو البوكيرك" مسؤولية المستشفى عطفاً على إدارته الجيدة لمستشفى "سنتاريم" وكذلك لبعض أعمال الكنيسة وميراثها .

إنه من العيب أن أخبركم ، سيدي ، لأنه قائدكم ، ولكن لقد قام بأخذ مبلغ كبير من المال من "فيرناندو أفيز" ، والذي كان عليه أن يمنحه ثلث مداخيل قضاياه ، لتدرك سموكم كم كان أميناً عليها .

لقد اعتبر نائب الملك أنه من الضروري في الحكم المعرفة الكاملة للرجال وعند عدم وجودها ، فإن النتائج الوخيمة لابد واقعة ، لقد كان "أفونسو البوكيرك" قد وضع شخصاً مثل "فيرناندو أفيز" هذا مسؤولاً عن العدل !

لقد كان كل من لـ "دوارتي دي فيريتاس" "Duarte de Feritas" المشرف على المستشفى ، و"أنطونيو زاجالو" "Antonio Zagalo" الكاتب و"جواو دا سيلفا" "Joao da Silva" الكاهن وهو شخصية كنيسة محترمة ، كلهم كانوا مسؤولي "أفونسو دي البوكيرك" عندما كان نائب الملك لا يأبه بمنح مسؤولية عنزة .

إن طبيعة "أفونسو دي البوكيرك" التي مهدت للكراهية والأذى اللتين حطمتا العالم وأملاك سموكم بدعوى المزيد من الفتوحات ليس فقط بواسطته هو بل وبإشراك مسؤوليه ونوابهم في ذلك التمادي الضار .

فيما يختص الاستيلاء على السفن وأخذ الغنائم ، فإن الإجراءات لم تكن سليمة التخطيط لتفيد منها خزانة سموكم ، بل تبعثرت هنا وهناك إلى جماعات متعددة .

لقد سمعت أن "لورينزو مورينو" "Lorenco Morino" ، والذي وصل إلى هنا ، كان معه التصريح لمنح ملك "كوتشين" مائة "كروزادو" عندما يحس أن ذلك يعتبر حقاً له ، وفي اعتقادي أنه يجب على سموكم أن يعرف أنني قد أملت في وكيل عوضاً ليأتي إلى هنا ليكون مظهراً للسلطة لإعطاء الملك المائة "كروزادو" عندما يستحق ذلك .

إن الرشوة تسبب الكثير جداً من الضرر والخراب ، إلى الحد الذي يصبح فيه الرجال كأنهم لا يقومون بأي خدمة إلا إذا حصلوا على رشوة . رشوة تستدعي أخرى ، والتي نقول عنها بأن (الزيت يسلك العجلة) .

في السنة الماضية صرف "المارشال" (هو "فيرناندو كوتينهو" "Fernando Coutinho") مبلغ مائتي "كروزادو" إلى ملك "كوتشين"

لأنه سهل له أول إرسالية شحن بضائع لأنها كانت محملة ببضائع شخصكم ، ومن جهة أخرى أقصى "ماتياس" "Mathias" إلى الخراب لأنه أخذ بالقوة نحاساً يخصه عندما لم يكن بمقدوره دفع الدين الذي عليه لوكالة سموكم .

إن تفاصيل شؤون تجارة سموكم والتي تكثر فيه الأخطاء وتتعاظم المساوئ ، والتي يعلم الكثيرون أنها كانت مخفية وغير ملاحظة في الماضي ، فإن سموكم يمكنه معرفتها بواسطة موظفيه المسؤولين هنا .

أنا لا أعرفها ولا أتمنى معرفتها لأنني أحصل على الحزن والتعاسة عندما أرى رجالاً وقباطنة يدينون بالكثير لسموكم يتصرفون بعدم ولاء في خدمة سموكم .

يبدو لي ، سيدي ، أنه قد يكون من العدل التعامل مع خدمكم والأهالي إذا توفر الإخلاص والإيمان ، ولكن عليهم التأكد من إبحارهم ومغادراتهم ، وإذا كان القباطنة يقومون بما لا ينبغي عليهم عمله وإذا كانوا يتقاضون أجوراً لا يستحقونها ، فإن هذا يعد محض غش وخداع .

لا أعرف إذا ما كان "بارتولوميو" "Partholomew" يبحث عن نقض عقد أبرمه وكيله حتى لا يخسر سمعته في العالم . سموكم لا يعرف قدر الحب والإخلاص الذي خدمكم به ، وما دام الأمر كذلك بخصوص هذا الموضوع ، فإن شهادات الشهود يمكن أن

تؤخذ من كل العالم ومن أسطول "افونسو البوكيرك" ، فالحقيقة تتوفر حتى بين الأعداء فيما يبدو ، وهكذا سوف تدرك إلى أي مدى قد ارتفع وهو يقوم بخدمة سموكم .

ليس كمثل "أفونسو البوكيرك" والذي ، وهو ينهي إلغاءات مغادرات السفن التي تدبر أمرها نائب الملك ، يغادر إلى "غوا" ويأخذ من الرجال مبالغ كبيرة من المال من مستحقاتهم وسموكم لم يسمع كيف يتم التعامل مع بضائعه .

عندما جاء "أفونسو دي البوكيرك" إلى "كوتشين" وفوراً منح العديد من التصاريح والرخص للإبحار إلى البرتغال بتوقيعه ، ولكن عندما غادر أرسل رسالة بأن كل من منحهم عليهم أن يرسلوا له "غاليوناً" .

هذه الأمور على هذه الشاكلة ، سيدي ، وليساعدني الرب ، وهناك كثير من الأشياء السيئة : "غوا" وهرمز وكل شيء يمكن أن يضيع لأجل المسيحية وربما بدون أن نلوم أي رجل ولكن بصعوبة يمكن أن يمر ذلك بدون شر وإحباط كبيرين .

لمثل هذا الأمر يمكن للمرء أن يقول إنه (غش معتمد) .

لأن إدارة البلاد الجيدة لابد لها أن تحاكي الإرادة السماوية ، فإنه مادام هناك السلام الدائم وبإرادة إلهنا الرب وبخاصة بما أودعه فينا ، فإنا ندرك إن هذا السلام يحمي ويحفظ العالم بينما الحرب تدمره .

عليه ، سيدي ، وبخاصة لأجل خير خدمتكم وتحسين أملاككم هنا ، أقول إنه في رأيي يجب أن نبرم السلام مع "كاليكوت" ، إذا لم نحصل عليه فستكون هناك دائماً "كاليكوت" التي تقف عقبة في طريقنا ، ولا أعرف متى يمكن لسموكم أن تدمروها ، حتى أنه لن تكون هناك أية أرباح أو موانئ أخرى آمنة عندما تعلم بحجم الدمار الذي وقع هناك في "ملقا" وكل المناطق الأخرى .

أقول ، سيدي ، إنه لسلام التجارة فمن الضروري السلام في كل العالم ، بل وأبعد من ذلك لابد أن يرسل هذا الـ "أفونسو البوكيرك" إلى خارج الهند وأن يتخلص العالم من خبثه وشروره وجبنه والذي لا يمكن للإنسان أن يصفه بكل ألسنة الناس .

سيدي ، لقد أثارتني الحروب رغبة هذه الموانئ التي تتركها متى ما تمكن القباطنة من أخذنا معهم . إن الرحمة الربانية والخير الذي سبغه سموكم عليَّ ستكون كافية للأيام القليلة المتبقية لي في هذه الدنيا ، وإذاً بالحظ الحسن فقط ، فإن ما سأتركه سيجعل سموكم أكثر غنى ، فلسوف أتركه في وصيتي ، إذ هذا هو ما أعتبره أنبل فعل للرجال أن يأمروا بأن تستخدم ممتلكاتهم في أعمال الخير ولصالح الإدارة الممتازة والمقدسة للأراضي الملكية .

رسالة أخرى من "غونسالو فيرنانديز" (؟) إلى سيدنا الملك وفي خدمته .

أحداث عام ١٥١١م

بعث الملك "دوم مانويل الأول" "D . Manuel I" ، "لشبونه" "Lisbon" ، في الثاني عشر من شهر يوليو ، عام ١٥١١م ، برسالة إلى قس "سيغوفيا" "Segovia" "دوم فراديك" "Dom Fradique" يخبره فيها عن حصار الفرس لمدينة حلب التابعة للأتراك واستلامه هدايا من ملك فارس : (٦)

القس المحترم الصديق وابن الشقيق ، نحن الملك نرسل لكم التحايا .

بعد أن كتبنا للملك (الإسباني) عن أخبار وصلتنا بشأن وصول أربع سفن من الهند ، وعن فض احتلال المسلمين لـ "غوا" ، وهم أعداء ديننا الكاثوليكي ، بواسطة القبطان القائد لتلك المناطق ، والهزيمة التي لحقت بهم ، فإن ثماني سفن أخرى وصلت محملة بالبهار .

---

(٦) رقم الوثيقة والهامش.

بهذه السفن الأخيرة وصلت رسائل من القبطان القائد والذي أخبرنا أنه أثناء وجوده في "غوا" وصل سفير أرسله الشيخ إسماعيل المعروف بالصفوي حاكم فارس والمعروف بأعمال كبيرة .

جاء إلينا بهدايا إلى ملك "غوا" ، ولكن وجد القبطان القائد ممثلنا وسيد وحاكم كل مملكة "غوا" ، والحمد لله ، سلمه الهدايا بالإنابة .

قام القبطان القائد بإرسال الهدايا إلينا والتي تكونت من أغطية للخيل وملابس ثمينة ومزينة بالذهب والحرير ، وكذلك قطع قماش الحرير من كل أنواع تلك البلاد (...) وغيرها من الزينة التي يستخدمها جنود الشيخ إسماعيل حتى يتعرف الواحد منهم على الآخر أثناء الحرب .

لقد قدم لقبطاننا القائد الصداقة من جانب سيده وملكه ، وفي المقابل أرسل القبطان القائد إلى الشيخ إسماعيل أحد رجالنا حتى نتعرف به على الملك وعاداته .

كتب القبطان القائد وأخبرنا أن شيخ إسماعيل قد حاصر مدينة حلب التي يقول عنها إنها مدينة عظيمة وأخبرنا أنه يشتبك في معركة دائمة مع الأتراك . اعتقدنا أنه من الصائب أن نكتب عن هذه الأمور مثلما فعلنا في السابق حتى يمكنك إخطار الملك (الإسباني) نيابة عنا ، نعتبره أبانا المحترم والمحبوب .

نأمل أن نكتب له قريباً بأخبار من البحر الأحمر .

كتب في "لشبونه" في الثاني عشر من شهر يوليو ، عام ١٥١١م بواسطة السكرتير .

الملك "دوم أنطونيو" .

****

إلى الأسقف في "سيغوفيا" ، مع أخبار أخرى من الهند جاءت في السفن الثمانية الأخيرة .

على الغلاف الخلفي : إلى الملك ، إلى القس المحترم "دوم فراديك" أسقف "سيغوفيا" ، وابن أخيه المحبوب .

وفي العام نفسه (١٥١١م)

بعـث كاتب مجهول مـن "رودسـ" "Rhodes" ، في الخامس والعشريـن مـن شهر أغسطسـ ، عـام ١٥١١م ، برسالة إلـى عنـوان مجهول ، وفيهـا أخبار عن الملـك إسماعيل الصفوي أتـت عـبر "رودس" والبندقية في عام ١٥١١م ، حيث ثار أحد قباطنة الملك إسماعيل الصفوي واستولـى على كرمان ، فقام الأتـراك بإرسال قـوات إلـى كرمان ، لكـن القبطان الفارسي هجم عليهم وقضى على معظم القوات التركية : (٧)

في هذا الشهر (مايو) ، ثار أحد قباطنة الصفوي من ذوي القبعات الحمر "كزلباش" واستولى على جزء كبير من "كرمان" ، ووصل إلى "ستيلياس" (أنتاليا؟) وأخذ مدناً عديدة وقرى وأحرقها وعاث فيها قتلاً بالسيف... جاؤوا إلى... واحتلوا مدينة كبيرة تدعى "تصمولي" وقتلوا الأطفال والنساء ولم يدعوا حياً .

(٧) رقم الوثيقة والهامش.

وصلت الأخبار إلى الأتراك فأرسل عظيمهم قبطانين ، أحدهما على رأس ثلاثة وعشرين ألف رجل والآخر على رأس أربعة وعشرين ألف جندي ، وتحركا ضد قبطان الصفوي .

عندما علم قائد الفرس بمقدمهما بدأ تجهيزاته واستعداده . تقدم أحد القباطنة الأتراك ظناً منه أنه سوف يفلح وحده في هزيمة الفرس ليحظى بالشرق ، ودارت المعركة وانهزم التركي وقتل أغلب الجند .

بعد ثلاثة أيام من المعركة وصل القبطان الآخر ودارت معركته وانكسرت شوكة الأتراك وقتل كثيرون منهم .

عندما علم السلطان التركي بهزيمة جيوشه ومقتلهم وأن جنود الصفوي قد أضروا كثيراً بالأتراك وفي تركيا ، وأرسل ابنه الذي كان قريباً من فارس بجيش قوامه خمسون ألف محارب وفي معيته "كونستانتين بارا" "Constantine Bara" فتوجهوا إلى "انتاليا" "Antalia" .

عندما سمع رجال الصفوي بأمر الجيش القادم غادروا صوب بلادهم لأنهم اعتقدوا أن جيش الترك قوي جداً بالمقارنة لهم ، وكذلك لأنهم كانوا يتقدمون بمسيرة يومين في صالحهم ضد الأتراك الذين لم يكن بمقدورهم اللحاق بهم .

ذهب جيش الصفوي لينضم إلى جيوش وقباطنة آخرين قدموا من بلاد فارس بأمر الصفوي لمساعدة الجيش الأول .

تقابل الجيشان بفرح واستراحوا طوال شهر يونيو وفي شهر

يوليو عادوا جميعاً ليجدوا ساحة الوغى... وقعت المعركة لدرجة ، وجاءت الأخبار بأن أربعين ألف تركي قد قتلوا بما فيهم قباطنتهم . الأخبار مؤكدة لأن مئتين من مسيحيي تركيا هربوا خشية الصفوي و .... إلى القلعة الحمراء ... والآن ، فإن الوزير الكبير قد أرسل السفن لإعادتهم إلى هناك .

سيدي ، عندما كان رجال الصفوي يهاجمون "أنتاليا" فإنه كان بمقدورنا مساعدتهم بسفن "الغليون"... وبمنحهم المدفعية والسفن إذا احتاجوا إليها ، ولكن عندما وصلنا إلى هناك كانوا قد غادروا ، ولم نتحدث إليهم .

عندما شعر عظيم الترك أنه لا يستطيع إخطار "أنتاليا" عن طريق البر أرسل بالبحر "كورتوجلي" "Cortugli" شقيق "كونالو" "Conalo" في أربع سفن سريعة "فوستا" بالمعلومات والعون .

كنا في "فنيك" مع سفن "الغليون" ، وقبل الشروق جاؤوا يهاجموننا فاستجمعنا الجنود للمعركة ، وقتل هو في تلك الواقعة ، مات أتراك كثيرون ، ولكن بقينا سالمين (البرتغاليون) .

سيدي ، قبطان الصفوي هذا فعل أشياء لا يوجد ملك على ظهر البسيطة يعتقد أنه محظوظ ليفعلها ، وبعدد قليل من الجنود لا يصل عددهم حتى إلى ثلاثين ألف في جملتهم ، ولكن كانوا كلهم على ظهر خيولهم ومسلحين ، لقد خاف الأتراك لأنهم لم يعرفوا من أين أتى هؤلاء الناس وقالوا إنهم شياطين وليسوا بآدميين .

قيل إنه في هذه المعركة الأخيرة قتل حوالي خمسة آلاف من الإنكشارية إلى جانب عدد من الرجال الأتراك .

كتبت في "رودس" ، في الخامس والعشرين من أغسطس عام ألف وخمسمائة وأحد عشر .

وفي العام نفسه (١٥١١م)

بعث "أفونسو دي البوكيرك" "Afonso de Albuquerque" ، برسالة إلـى الملك ، "سانتو أنطونيو" "Santo Antonio" ، في الطريق إلـى "غوا" ، في الثلاثين من شهر أكتوبر ، عام ١٥١١م ، يبلغه أخبار مفاوضات السلطان التركي مع حاكم عدن ، وكذلك الرحلات البحرية في المضائق ؛ فلو استولـى البرتغاليون على عدن فإن التجارة ستأمن إلـى الأبد : [٨]

يخبر الملك أنه يرسل ، عبر "جواو سيرا" ، رسائل الرجال الذين تم أسرهم في عدن وأن تلك الأخبار سيئة بالنسبة للهند ، بالإضافة إلى أنهم قد أغلقوا المدخل إلى المضائق ، فإن المسلمين بصدد بناء قاعدة في عدن ، مما يلحق بنا الكثير من الأضرار ، بينما يبحرون على هواهم عبر البحار بشحنات التوابل والبهارات .

(٨) رقم الوثيقة والهامش.

يخبره عن ثلاثة يهود وصلوا من القاهرة جالبين أنباء بأن السلطان التركي قد طلب مبلغ مائة ألف "أشرفي" من شيخ عدن ، والذي رفض الطلب ، مما دفع السلطان للرغبة في قتله ، طلب الاهتمام بهذا الأمر والتفكير فيه بجديه ومنحه الأولوية لأنه سوف يؤثر على بعض الشؤون الهندية .

كذلك نصح بأنه على استعداد للذهاب مبحراً إلى المضايق خلال تلك السنة على الرغم من نقص السفن لمثل هذه المغامرة .

فيما يتعلق بـ "عدن" والمضايق ، ليس فقط أنه لا يوجد معارضة من القباطنة ، أو الجنود أو النبلاء بالنسبة لأخذي سفن النقل (والشحن) معي ، بل إنهم لا يعتقدون البتة بأن سفن الشحن سوف تفقد .

إنهم على قناعة أنه إذا ما حاصرنا عدن واستولينا عليها وسيطرنا على المدخل إلى المضائق ، فإن التجارة سوف تؤمن للأبد وأن السفن الخاصة بالنقل والشحن سيمكنها أن تجلب حمولاتها من البضائع اعتباراً من العام المقبل .

سوف أحرص على اطلاعكم تفصيلياً على ما يحدث حتى وقت مغادرة سفن الشحن من البرتغال ، وفي الوقت الحاضر لا يسعني غير أن أحيطكم بما يحدث في الهند وبما أنوي عمله .

أرغب في تذكيركم مرة أخرى ، سيدي ، بأنكم تمسكون في

أيديكم بأهم شيئين : "غوا" و"ملقا" ، وأنكم قد فضلتم الهند لمدة ثلاث سنوات فوفرتم لها الرجال والسلاح والسفن وقلاع الحجر والحدادين والنجارين وكل ما هو ضروري لبناء القلاع الحصينة القوية .

إن الرب سوف يسهل الشكوك والتردد اللذين تعيش فيهما كنتيجة لما قيل لكم يومياً عن الهند ، وكذلك الظنون التي عند بعض الناس الآخرين حول الهند وقضاياها ، وهو ارتياب يفرض عليكم في بعض الأحايين عدم السرور .

فليدع سموكم الخوف جانباً بسبب الأكلاف التي فرضتها الأجور والتموين لأن الرب سوف يمكنك من كسب المال الكافي من هنا لتغطية المصروفات مثلما أخبرتكم كتابة مسبقاً ، وإذا ما سلمت لي الأرباح المجنية بواسطة أسطولكم والمحطات التجارية والبهار والتجارة فلسوف أدفع للناس هنا أجورهم كافة .

هناك ثروة كبيرة في الهند ، وإذا ما كانت المصاريف الذاهبة إلى الناس والسفن تأتي من مداخيل المحطات التجارية ، فلسوف يعرف سموكم أن الكثير يصرف هنا على أمور أخرى ، بل إنه حتى مبلغ المائتي ألف "كروزادو" المطلوبة للدفع لأربعة آلاف رجل لا تساوي شيئاً ، إذا ما اعتبرنا تلك البضائع التي أمر سموكم باقتسامها فيما بيننا وتصل قيمتها إلى مليون وثلاثمائة ألف "كروزادو" .

إذا أعطاك الرب هرمز وعدن بالإضافة إلى "ملاقا" والتي هي تحت سيطرتك ، فلسوف يتوفر دخل كافٍ لمقابلة كل المنصرفات التي يرغب سموكم في الالتزام بها .

إذا ما وافقتم سموكم على ترك الأرباح من تجارة هذه الأقاليم والدخل من البضائع والضرائب والعشور والسفن لدفع المصاريف المستلزمة في هذه الممالك ، فإنكم بمقدوركم الحصول على عشرة آلاف رجل في الهند وأربعة – خمسة مسؤولين في المواقع الحساسة والتي بعون الله سوف تكون كافية للدفاعات .

أما الرجال الذين قال لنا سموكم ألا نطلبهم ، فهم جد ضروريين نسبة للحالات التي تنشأ وتطرأ كل سنة ولا يمكن التعامل معها بدون الرجال ، ولسنا هاهنا في وضع يؤهلنا لأن نجد رجالاً إضافيين أو أن نجد رجالاً كلما كان الأمر يستدعي ذلك .

سموكم على معرفة بالأوامر التي أصدرتها لنا ، وأنه يجب علينا أن نذهب إلى حيث يشاء سموكم . إنه من الحكمة أن يكون لنا الرجال الذين نحتاج إليهم ، على أنه ليس بمقدوري أن أحدد كم عددهم ، إذ إن هذه الأمور ليست بعد أكيدة وواقعة .

لسوف أذكر الرجال السلاح وأمور أخرى ضرورية لسلامة الهند ، مثلما فعل مسؤولوك بشأن النحاس ، فلقد رأوا أن هناك كمية من النحاس من المراكز التجارية وكتبوا أنه لا يجب أن ترسل

باعتبار إنها لم تستخدم ولكن أخيراً تم استخدامها كلها واستغرق ذلك ثلاث سنوات لأجل طلب المزيد من النحاس ليصل ولبضائع ليتم تسليمها .

نفس الشيء سوف يقع مع الرجال والسلاح ، رجاء ، يا صاحب السمو ، فأنا أستخدم كل التواضع والمعرفة التي منحني إياها الرب في الدفاع عن مصالح سموكم في الهند .

ساعدني في هذا الخصوص بتوفير الضروريات حتى يمكن للرجال الذين معي ألا يأخذوا رواتبهم وهم لا يقومون بعمل شيء ، أنا أعتبر كل التوابل وشحناتهم وعائداتها والتي ترسل من هنا وكأنها الديون الآَجلة حتى يحين وقت أرى أوضاعكم في الهند متجذرة لا في البحر فقط بل في الأرض وفي المواقع والأماكن التي تعارض رغباتكم ومصالحكم .

منذ اكتشافها والهند تحت أسطول سموكم الكبير والقوي ، ولكن ذلك لم يطور التجارة وموقع سموكم فيها ، أو يفلح في خفض المصروفات ، بل ولم يوسع حتى من مصداقيتكم أو سمعتكم ، جربوا ما أقترحه أنا الآن ، ولسوف تتحسن الأمور بالنسبة لكم ، وهذا ما فهمته من رسائلكم بأنه رغبات سموكم .

أرسلوا لي رجالاً وسفناً نحتاجها في هذا الأثناء لتحقيق أهدافكم ، لأن أي تأخير في مثل هذه الأمور يبدو دائماً سبب ازدياد المشاكل ، بل هو ما يجعلها عصية على الحلول .

كتبت في "سانتو أنطونيو" ، في طريقها إلى الهند ،

في الثلاثين من شهر أكتوبر ، عام ١٥١١م .

خادمكم المخلص "أفونسو دي البوكيرك" .

أحداث عام ١٥١٢م

بعث الراهب "أمارال" "Amaral" قائد "فيرا كروز" "Vera Cruz" ، برسالة إلى الملك بتاريخ التاسع والعشرين من شهر مارس ، عام ١٥١٢م الذي توفرت له الأخبار عمّا يقوم به السلطان التركي : (٩)

سيدي ومولاي الأقوى نفوذاً والأرفع مكانة ، مع أن هذه الرسالة أرسلها بمحض الصدفة لتصل إلى يدك إلا أنني لن أكف عن كتابة كل ما في خاطري وما أراه لازماً يصب في مصلحة خدمة سموكم .

سيدي ؛

يجب أن يعرف سيدي أنه للعامين المنصرمين لاسيما بعدما غادر "ألفارو فازالي" "Alvaro Vasali" إلى "Soria" فقد عقد (السلطان)

(٩) رقم الوثيقة والهامش.

العزم على السعي لتخريب كل الأشياء التي تؤول إلى سموكم في "الانديز" وفي إطار هذه النوايا اتجه إلى جمع كل السفن التي قام ببنائها في "السويس" ، وهي تعتبر رأس البحر الأحمر ووجهها إلى "القاهرة" على مبعدة رحلة يومين من المدينة المذكورة .

بالرغم من التأخير الكبير الذي واجهه عندما استولينا على سفنه في خليج "جاسا" (؟) "ولوهيم" "Lohim" (؟) ، بالرغم من كل هذا فقد عبر بنفسه للإسكندرية حاملاً كل شيء معه وها هو الآن يعد نفسه كما ذكرت من خلال رسالة أخرى كنت قد أرسلتها بواسطة "شس" "xis" .

الآن توفرت لنا الأخبار الموثوقة فيما يتعلق بخطته لعمل عشرين سفينة "Baslardas 10" والتي يعمل فيها بكل جد واحتراز ، ولقد أقبل منكباً على هذا العمل بعدما تلقى نصيحة من "ألفارو فاز فونسيكو" "Alvaro Vas Vonsico" الذي أصبح مملوكاً بالفعل ويتقدم بخطى ثابتة في نفس المشروع .

أذكر أنني قد كتبت منذ وقت طويل مخاطباً سموكم بشأن هذا الأمر ، ولقد أشرت إلى ضرورة إيجاد علاج لهذا الأمر عن طريق إرسال اثنتين من السفن إلى تلك المناطق التي تتم فيها صناعة السفن المذكورة بحيث إنه قبل بنائها أو تجهيزها يصار إلى إحراقها .

هذا ويعتقد كل فرد أن هذه السفن المذكورة سوف تكون جاهزة

خلال شهر سبتمبر القادم لكني لا أعتقد أن هذا سيحدث وإنها لن تكون جاهزة عند حلول ذلك الوقت ، لكن بالرغم من هذا فليحتاط سموكم لهذا الأمر إذا لم تكن بالفعل قد تكهنت به مسبقاً ولا يجب أن تتساهل تجاه هذا الأمر لأن عدم الاكتراث واللامبالاة لهذا الأمر الآن .

في المستقبل لن يقدم لسموكم الاعتبار والاحترام اللازم وعليك أن تعرف أن "سولدان" (السلطان) لا يهتم لشيء غير هذا وإنه إذا ما نجح في هذا فعليك أن تتيقن إن شؤونه (؟) سوف تخلق كل مشاكل جمة في هذه الأنحاء بل سيبلغ الأمر حداً كبيراً من الحرج وفقدان الرجال . أما إذا احترز سموكم واتخذ الحيطة اللازمة في الأمر للمضي قدماً لكبح توهمه فإنه لن يتمكن من فعل شيء أو حتى تسيير أسطول في البحر الأحمر .

هذا وفي حالة عدم قدرته لتكوين واحد فيجب أن يظل سموكم هادئاً ساكناً ، ويبدو أن السيد الكبير قد أوجس خيفة أثر عدم تلقيه رسائل من قبل سموكم رداً على رسائله التي أبلغ فيها سموكم عن الاستيلاء على أسطول "سولدان" (السلطان) لأن البابا وجلالة ملك إسبانيا وملك بريطانيا وبقية الأمراء المسيحيين الذين لا يعنيهم الأمر أكثر من أن يكونوا سعداء في قلب أولئك الملحدين الذين أجابوا بالفعل وحمدوا له كثيراً .

إن سموكم الذي يصار إلى عمل كل هذا لأجله تحت إمرتي

فيجب ألا تعتبر أن هذه الخدمة العظيمة أمراً لا تفسير له مهما كانت الأسباب ، وفي الوقت الذي سأبلغ عنه فإنني سوف أتجاوز عن الشيء بحجة أن الرسائل لابد أن يكون مصيرها الضياع والفقدان .

يجب أن يعلم سموكم وإنني متأكد أن العديد من الرسائل التي بعثت بها إليك قد تم احتجازها ولم تصل إلى يدك وهذا ما كنت أتخيله في هذه المسألة لأنني أدركت مؤخراً أن رسائل السيد الكبير التي كنت قد أرسلتها من نقطة "دسبولا" "Despola" (؟) بلد رئيس دير "كارت" ، والذي توفي قبل ثلاث سنوات مضت .

لقد كتب لي كي يخبرني أن سموكم قد تلقيت تلك الرسائل مؤخراً بالتالي أصبحت أدرك أن تلك الرسائل قد كان مصيرها التأخير والإهمال على هذا النحو ، ويماثل ذلك الرسائل التي أرسلت إلى هنا ، ولذلك آليت على نفسي أن أقف على حقيقة هذا الأمر لأنني لم أكتب قط لسموكم إلا بخصوص المسائل بالغة الأهمية بالنسبة لخدمتكم .

الآن يوجد هنا شخص سيغادر في أول فرصة تتاح له وقد قدم من القاهرة وسوف يخبر سموكم كيف تجرى الأمور هنا وبالمثل أيضاً عن التوجيهات والنصائح التي يسديها ألفارو إلى "سولدان" (السلطان) كي يعمل بها وبواسطته سوف أكتب لك بشكل مكثف .

إن اللصوص واليهود في "لانقويدوك" في فرنسا قد تواطأوا بشكل جعل ملك فرنسا يقوم على إرسال سفيره إلى "سولدان" (السلطان) غير إنني أعرف كيف نعمل على تأمين مرور أسطوله بسلام وعليه فيجب عليك أن تتفق معه على توقيع السلام والتعاون معه حتى لا توجه شحنات التوابل لمصلحة البندقية وأنهم سوف يقومون بشراء جميع البضائع من فرنسا .

لقد وعده ملك فرنسا "سولدان" (السلطان) بأنه لن يشتري من حكامه التوابل من البرتغال ويقال إن السفير المذكور لا شك لديه بشأن هذه المهمة بتاتاً لأن السيد الكبير أخبرني بأنه قد علم وذلك من السفير وبالمثل يجب إبلاغ سموكم أن كل فرد يقوم بتخزين توابل البرتغال لأنها لا تعطي.... (بقلم الرصاص (Juey rodas) .

يترتب على ذلك خسائر جمة ، وبالتالي فليحتاط سموكم لهذا الأمر ويحذره لأنه من المعروف تماماً أن فيه الكثير من الخسائر الفادحة وإشانة السمعة لأن الجميع يشعرون بالغيرة والحسد .

كتب الراهب "جورج فييرا" "George Viera" من إخوانيه "سام جيسو دي لابرام" "Sam Giso de la Bram" إلى السيد الكبير وإليَ شخصياً فيما يتعلق بموافقة سموكم بأن الراهب "أفيس دي فيتويردو" "Avis de Vituerido" يمكنه التصرف حيث يشاء ، الأمر الذي أذهل السيد الكبير وجميع من في الدير بأنه بعد الأمر الذي

اتسم بإشارة جيدة لخدمة سموكم حيث خدم الراهب المذكور "جورج" بشكل رائع .

استحق على خدمته إفضال ومكارم سموكم ويأتي بعد ذلك هذا التقريع واللوم الذي نسب إليه ، لكن أؤكد لسموكم بأنه واحد من أفضل سادة المملكة والذي يمكن التعويل عليه ليكون مسؤولاً من بعض السفن في "الانديز" إذ إنني عندما تم تعييني ولمرتين قائداً لسفننا ، كان دائماً هو القائد لإحدى السفن ، ولقد شهد له بالتصرف المسؤول في "جاسو" .

عليه فإنني أتوسل لسموكم أن تأمروا بإعطائه المنزلة (الرتبة) وألا تسمحوا لأي أحد آخر بأن يفاخر بها ، أو الحصول عليها ، خشية أن يخرب كل تجارة "لسام جوام" - ولن يمر كثير وقت حتى أتمكن من إرسال أحد المبعوثين وبواسطته سوف أكتب لكم المزيد من التقارير التفصيلية .

ولهذا السبب هل يسمح لي سموكم بأن أنهي هذا الخطاب وأن أبقى مستمراً في خدمة سموكم كي أقبل أيادي سموكم الملكي راجياً من الرب أن يطيل في عمر سموكم ويمن عليكم بمزيد من القوة لدولتكم الفتية ويحقق لكم المجد والرخاء حسبما تحبون .

من "رودس" في يوم التاسع والعشرين من شهر مارس ، عام ١٥١٢م ، خادمكم المطيع

رئيس قضاة "روداس" – الراهب "امارال"

قائد "فيرا كروز"

سيدي صاحب السمو والمقام الرفيع ، بما أن هذا الأمر بالغ الأهمية حسبما أرى ، فعموماً كثيراً ما وجدت أن هذا الرجل يقدم نصائحه في جميع الأمور ذات الصلة بدوافع الخارج "سولدام" "Soldam" لكن دائماً يظل هناك من الحديث مالم يذكر ولذا يراقب كل ذلك واضعاً في حسبانه بأن كل هذا سيصار إلى تنفيذه بواسطة السفن التي تتخذ نهجاً مخالفاً لفن الملاحة بخلاف تلك التي اعتادت الإبحار في تلك المياه .

هناك الحاجة لرجال شجعان كبحارة خبراء وهذا الأمر أعلمه جيداً من خلال الخبرة فبالرغم من أنهم يبدون فعل ذلك ظاهرياً إلَّا أنهم عنيدون إزاء من لا يعرف وحتى بالنسبة للذين يعملون هنالك فرق كبير بين رجال ورجال كما هو الحال بالنسبة للأشياء الأخرى التي تحدث في العالم .

لهذا السبب فإنني أغامر بتذكير سموكم أنه يوجد هنا بحار من "كاتالونيا" وهو شاب يبلغ من العمر سبعة وعشرين عاماً ويعتبر من أذكى الشباب الذين عرفوا هنا لأنه يصدر الأمر لسفننا بنحو لم يسبقه عليه أحد من قبل سواء تعلق الأمر بالملاحة أو غيره من الأمور الأخرى كالتسليح أو الأثاث وغيره .

عليه فيبدو لي ، فإذا ما رأى سموكم ضرورة في المصلحة لخدمتكم أن تأمرني بفعل ذلك وإذا ما كنت تريد أن تراه فلابد من أن ترسل إلى هنا "His Carasa Lades..."[أ] وأي شحنة ستكون كافية لكي تسدد بها الفوائد ونفقات حضوره ، وإنني أقول هذا لأن هذا الشخص رجل متزوج ولديه طفلان ويريد أن يصطحب معه زوجته إذا ما قدم .

أيضاً فإنه إذا ما تم إرساله وقام بتلك المخاطرة بالسفن من ميناء لآخر فسيتطلب الأمر خدمة طويلة وهذا العمل لا يحتمل التأخير وحتى لا يرجع العدو وفي هذه النقطة فالأمر يتوقف على سموكم فيما إذا كان سموكم يرغب في البقاء كسيد للسلام أو العكس في حالة لم يتسن العلاج .

بالإضافة لهذا فإنك تدرك أن البحر الأحمر منطقة عاصفة هائجة بسبب مرتفعات وجبال "إثيوبيا" و"صنعاء" و"سيناء" "Synaey" وأيضاً نظراً لأنه بحر ضيق . صحيح إن الرياح السائدة تهب على طول الساحل لأنها دائماً مقدسة وهي الجنوبية وفي أوقات أخرى وفي مواسم أخرى نجدها "mestre trasmontana" وهذه هي الأسماء التي تطلق عليها في هذه المناطق لأنني لا أذكر المصطلحات المستخدمة هناك سيما وقد غبت عنها حوالي اثنين وثلاثين عاماً .

(أ) في هذه الوثيقة ورد لفظ غير مشفر (cucres) (؟) وألفاظ أخرى محذوفة .

بالتالي ، فإن تلك التي أرسلت لهذه الملاحة قد ورد تحذير بشأنها ، من ناحية وجانب الجزيرة العربية فعليهم الاختباء في كل ليلة وبالتالي وحسبما كتبت من قبل في رسائلي من "إثيوبيا" بخصوص وجود عدة موانئ إلا أن هذه تعرف إنها غير أكيدة وليست هنالك أمواج كبيرة بالنسبة للرياح .

قبيل كتابتي تلك سيكون من الأفضل إرسال مجموعة المراكب حوالي أربعة أو خمسة بحيث يمكن العمل بتجديفها لأن هذا البحار إذا ما رغب سيعرف لمن يصدر له الأوامر بسبب أنها مراكب يمكن تسييرها بأقل عدد من لإبحار وبوسعها أن تحدث الكثير من الأذى أكثر من السفن .

حرر من غير توقيع أو تاريخ

سيدي الأرفع مقاماً ، إن كل ما حفظته يداي لسموكم فيما يتعلق بالترتيبات التي يقوم بها "سولدان"- لا تحسب أنها ليست سوى دعاية أو طرفة ولكن يجب أن يأخذها سموكم محمل الجد والآن لقد جاء شخص من القاهرة وأفاد قائلاً : بأن هذا الخارج من "ألفارو" قد أخبر "سولدان" أنه بإرساله هذا الأسطول كي يرحمونه إذا لم يعطوه جميع القلاع - المراكب والتجارة التي يحتفظ بها سموكم في "الانديز" وبحرية "إثيوبيا" وبالمثل جزيرة "سوقطرة" .

هذا ولقد تسبب الملك المذكور والذي يمتلك تلك الجزيرة من

إزعاج بواسطة مجموعة من سفرائه الذين أرسلهم إلى "سلدام" لكي يرسل له الأسطول .

هذا الرجل لأنه من أقرب الأقربين إليه من أصدقائه ذلك الرجل الجنوبي الذي وجه للقاء بسموكم وقد أقنعته بالعودة للقاهرة حتى يكتسب الخبرة الكافية عن ماهية تلك المناطق ويصبح صديقاً للمشرف على مصنع السفن وواحداً من الذين بوسعهم الوصول إلى أقصى مناطق الجنوب الشرقي .

لقد زودته ببعض المال وبشرته بأنه إذا ما رجع إلى سموكم برد موثوق ، فإن سموكم لن تبخلوا عليه بمكارمكم وأفضالكم ، وهكذا كان قد رحل في نفس التاريخ الذي سطرت لك فيه هذا الخطاب .

عموماً فإنه من دواعي غبطتي وسروري أن أعلم بطبيعة التوجيهات والأوامر التي أصدرها سموكم والمقابل عن ذلك إذ حقيقة فنحن في أمس الحاجة إلى شخص من ذوي الخبرة والحكمة وأصالة الرأي للتعامل في ذلك الأمر ، لأنه حقيقة من الأمور التي يجب ألا يكلف بها أحد من البحارة الصغار بل يكلف بها (بقلم الرصاص Guy abaston) (؟) الذي تدفعه روحه الوثابة للوصول إلى عدن .

خال من التوقيع وذكر التاريخ

معنون إلى :

إلى سيدي الأقوى نفوذاً وأسمى مكانة مولانا جلالة ملك البرتغال من... "أمارال" - بشأن الأخبار الواردة عن الأسطول .

وفي العام نفسه (١٥١٢م)

صدرت رسالة من "أنطونيو كاميلو" "Antonio Camello" ، بتاريخ عام ١٥١٢م إلى "د .مانويل الأول" "D . Manuel I" ، يخبره بسحق الجيش المصري في "ديو" "Diu" وأن السلطان المصري طلب من السلطان التركي أن يرسل له خبيراً في الحرب لأنه سيقوم بالانتقام من البرتغاليين : (١٠)

سيدي ،

أنا "أنطونيو كاميلو" الموظف في بلاط خدمتكم ، أفيد جلالتكم أنني قد رافقت نائب ملككم إلى الهند ، حيث قضيت معظم هذا الوقت في قلعة "كانانور" مع "لورينسو دى بريتو" .

وهناك كان العديد من الملوك العرب قد كتبوا إلى نائب الملك ، لقد قمت بترجمة رسائلهم تلك من العربية إلى لغتنا ، وبما أنني

(١٠) رقم الوثيقة والهامش.

غير متيقن من أن سموكم قد علم بهذا الأمر ، فقد عمدت إلى تلخيصها في النقاط التالية بعدما اطلعت عليها :

بند : في ظل ما يعتقده حاكم هرمز بأن نائب الملك رجل حكيم وحصيف فقد كتب له مرتين متسائلاً عما بوسعه عمله فيما يختص باتفاقية السلام مع "أفونسو دى البوكيرك" .

قد أجاب نائب ملكك مثنياً عليه ومشيداً بحسن تصرفه وبين له أنه طالما طلب منه أن ينصحه فإنه يوصيه أن يصبح تابعاً لسموكم ، لأنه بذلك يكون قد عزز من موقفه بحيث يمكنه بعد ذلك المحافظة على سيادته .

بعدما تم سحق المصريين في "ديو" وبلغت هذه الأخبار مسامع سلطان القاهرة استاء السلطان ، ومن ثم قفل على نفسه عدة أيام ، وبعدها كتب بشكل عاجل إلى السلطان التركي طالباً منه أن يرسل إليه ضابطاً جيداً متميزاً في مجال الحرب البحرية إذ إنه بهدف إعداد وتجهيز أسطول كي يرسله للهند في العام المقبل .

حينها أجاب السلطان التركي معتذراً ، حيث أشار أن الرجل المقصود ليس موجوداً الآن إذ أرسله في مهمة إلى جهة ما ، لكن إذا ما رغب في قادة آخرين فإنه على استعداد لإرسالهم له ، وكان أحد قادة السلطان باسم "عبد نوس" قد علم بفحوى رد السلطان ، ومن ثم تطوع بالعمل كقائد أعلى في الأسطول .

هنا شكره السلطان ، وأمره بأن يختار من بلاطه ما يحتاجه من الرجال ، لكن رد "عبد نوس" أنه سوف يختار فقط من يرغب في العمل معه ، وحينها تم تزويده بأربعة آلاف من الرجال .

بند : أيضاً كتب السلطان للملك في "كاليكوت" طالباً منه عدم إبرام اتفاقية السلام مع سموكم ، ووعده بأنه سوف يعمل على تكوين أسطول قوامه أكثر من خمسين سفينة لطرد أتباع سموكم من الهند .

هناك شخص باسم "خواجا أمين" يقيم في "كاليكوت" وهو من مواليد هرمز ومعروف بإخلاصه لسموكم وقد أرسل هذه الرسالة السرية إلى "لورينسو دى بريتو" .

بند : لقد أرسل "السابايو" "Sapayo" حاكم "غوا" رسالة سرية إلى ملك "كانانور" يخبره فيها أنه يسعى لتكوين جيش لمواجهة سموكم ، لكنه يريد أن يعرف مدى استعداده لمساعدته في هذه الحرب أو حقيقة رغبته في المحافظة على السلام مع سموكم .

أجاب ملك "كانانور" أنه يدرك أن "سابايو" قائد عظيم وذكر أنه كان قد سبق أن دمر سفنه وألحق به خسائر كبيرة في الأرواح . كان حامل رسالة "سابايو" هو أحد كهنته ، وقد أتى مخولاً بسلطات من قبل سيده بحيث إنه أعرب عن استعداده لدفع تعويضات مقابل الأضرار والخسائر التى تسبب فيها لملك "كانانور" ، عموماً لم يقف

"لورينسو دى بريتو" على حقيقة رد ملك "كانانور" أو ما إذا كان الكاهن قد توجه سراً من هناك قاصداً "كاليكوت" .

أما بخصوص مسألة السلام الذي تم إبرامه مع "أفونسو دى البوكيرك" ، فقد أرسل "لورينسو دي بريتو" "Lorenco de Breito" أحد الأعيان العرب من هرمز من المقيمين في "كانانور" واسمه "خواجا أمين" إلى ملك هرمز ، لكنه في طريقه التقى بسفن "سابايو" ، ووجدوا الرسالة التي بعث بها "لورينسو دى بريتو" ومن ثم أخذوا ذلك العربي إلى "غوا" حيث رغب "سابايو" في قطع عنقه .

لكن بعدما تبين أنه من الأعيان وافق "سابايو" على زجه في السجن . عموماً تمكن هذا السجين من إرسال خطاب إلى "لورينسو دى بريتو" كان قد أخفاه داخل كرة صغيرة من الشمع وأخبره أنهم يقومون في "غوا" ببناء خمسين سفينة تشابه سفننا ، وأن "سابايو" يتجه إلى إحدى مدنه بعدما أُبلغ أن أحد الملوك من أعدائه قد نجح في محاصرتها .

عموماً وقبل مغادرته جمع كل ضباطه الذين يقومون ببناء تلك السفن وأمرهم بوضع قائمة لكل الاحتياجات الخاصة ببناء السفن ، كما أمر بضرورة توفير كل المستلزمات فوراً بحيث يكون كل شيء جاهزاً عند عودته وإلا فإنه سوف يعاقبهم بشدة في حالة فشلهم في إكمال العمل ، وعندما أكمل الضباط القائمة قام بتسليمها إلى أحد الحكام وأمره بالإشراف والمتابعة في فترة غيابه .

بعد مرور عشرة أو اثني عشر يوماً وصلت سفينتان إلى مكان ما بالقرب من عدن يسمى الشحر تحملان شحنات من المنسوجات والألبسة والمشدات .

سيدي ، أفيد سموكم إن هذا هو واقع الأمر .

بند : قبل مرور عام من مغادرة نائب الملك إلى مكة وجدة وبربرة و"زيلع" ، كانت هناك سبع سفن قد غادرت "كاليكوت" ، لكن حدث أن ثلاثاً من هذه السفن قد ضلت طريقها بسبب تعرضها لعاصفة عنيفة ، أما بقية السفن فقد اتجهت إلى تلك الموانئ المذكورة سابقاً .

أما التوابل فقد اشتملت على "بهر" من الفلفل أي بواقع (هذه العبارة غير مترجمة بالانجليزية) أربع قناطير بقيمة ثمانين "أشرفياً" ويساوي "الأشرفي" ثلاثمائة وثمانين "ريساً" ، و"بهر" من القرفة بقيمة ستين "أشرفياً" ، وقد عادت هذه السفن إلى "كاليكوت" وقد كتب "خواجا أمين" مالك إحدى هذه السفن رسالة إلى "لورينسو دى بريتو" أخبره فيها بكل هذه الأحداث بكل أمانة .

بواسطة ملك "كامباي" كتب السلطان مخاطباً مالك عياض حاكم "ديو" منذراً إياه بأنه قادم في طريقه لمهاجمته ، وعمل السلطان على إرسال قائده الأعلى أمير حسين في ست من السفن وستة مراكب شراعية معتقداً أن الميناء سوف يستقبل سفنه تلك ، غير أن الأخبار التي تلقاها أفادت بأن مالك عياض قد باعه إلى نائب الملك .

قد قام مالك عياض بإرسال هذه الرسالة إلى نائب الملك ، وقد رد نائب ملكهم مفيداً بأنه قادم في طريقه وفي هذا الحين يترتب على مالك عياض أن يراقب الموقف في مدينته وفي الموانئ بكل الوسائل الممكنة ، مضيفاً بأنه سوف يطلب من سموكم مده بالمساعدة .

بما أنني قد علمت بكل هذه الأمور ، فإنني عمدت إلى أخبار سموكم بها حتى تتمكن من اتخاذ الإجراءات التي ترى أنها الأفضل .

(في الهامش) : من "أنطونيو كاميلو"... الذي قدم من الهند .

وفي العام نفسه (١٥١٢م)

بعث "دوارتي غالفاو" "Duarte Galvão" في عام ١٥١٢م ، برسالة إلى "أفونسو دي البوكيرك" "Afonso de Albuquerque" يبيّن له ما أصاب المسلمين بالتفرقة وأنه يجب محاربة الإسلام : [١١]

منذ رحيلك إلى "ملقا" ، انتشرت في المنطقة الشائعات ، وبلغ الحدس بالناس درجة جعلهم يظنون أن الهند قد سقطت بالفعل ، وبالتالي ظللنا قلقين نفكر في الأسباب التي أدت إلى ذلك .

لكن يبدو لي أن العكس هو واقع الأمر ، وكثيراً ما كنت أردد هذا القول إلى جلالة الملك ، لأن ما يحدث خارج هذه المنطقة يكون فوق فهمنا وتصورنا ، وهذه أمور بيد الرب وحده وليست بأيدينا .

أضيف إلى هذا أملي في تلقي أخبار جيدة لأنه إذا ما كانت

(١١) رقم الوثيقة والهامش.

الأخبار سيئة هناك فإننا لا نعرفها إلا من خلال القاهرة نظراً لأن الأخبار تأخذ طريقها إلى هناك أولاً ولن نصبح على علم بها إلا بعد مرور عدة شهور ، أي عندما تعود سفننا .

كثيراً ما كنت أتواصل مع البابا ، الذي يبلغ الآن من العمر حوالي سبعين عاماً ، حيث يدور حديثنا حول الملحدين ، وكثيراً ما كان يسارع بإعطائي سوابق لأجل إيقاظ همم وحث مجموعة المسيحيين هنا ، كي يشاركوا في الحملة الصليبية العامة ضدهم خاصة في الوقت الراهن ، في ظل ما يدور من خلافات في أوساط الأتراك الذين نصبوا ابن الحاكم التركي إمبراطوراً في القسطنطينية[أ] .

لقد انطلق الابن الأكبر يرافق الصفوي الذي قدم أول أبنائه كرهينة مقابل العودة لمساعدته ضد شقيقه ، ما بدا أنه هو السر الإلهي الأكبر في تقويض نفوذ محمد (صلى الله عليه وسلم) وما يدور من خلافات وصراعات في الدين الإسلامي بحيث شملت أيضاً الكفرة والملحدين ... مثل صراع أتباع الصفوي ضد أتباع محمد (صلى الله عليه وسلم) الذين يقتلون بعضهم بعضاً بقوة السيف والنار من دون رحمة بعد ما ظلوا متحدين ومتآزرين طيلة فترة الثمانية قرون الماضية ضد عقيدتنا .

يبدو أن الرب قد حفز الشيطان كي ينقلب على نفسه كي

(أ) يُعزى غموض المعنى في هذه الفقرة إلى أخطاء الناسخ .

يحدث هذا الانفصال ، وذلك بسبب التغرير والتضليل الذي غطى العالم مؤخراً من خلال نشر ديانة محمد (صلى الله عليه وسلم) كما حدث في الماضي من خلال رجز ووثنية الهمج حينما دمرت نفسها مرة أخرى وسارعت إلى نهايتها حسبما يقول معلمنا في رسالته .

إن الرب تعالى يهيئ لنا جميعاً هذه الفرص ، لكننا لا نفيد منها بسبب ضلالنا وعدم استعدادنا ، فالبابا يتخذ جميع القرارات ويبدي موافقته أو رفضه بحسب النتائج ، هذا يتطابق مع ما كتبته لك ، ويمكنك ملاحظته من رسائلي .

كل هذه العجلة للإبحار في مختلف الجهات والأنحاء تنفي وجود عناصر الشك ، وهو أشبه بوجود إثم خطير بين أعمال صالحة . فالرب يريد لنا أن نواصل أعمالنا في هذه البلاد كي تكون بمثابة مهماز نوقظ به الأمراء هناك .

هكذا ، فإن ما يبدو مستحيلاً في تلك المنطقة يمكن تذليله ليصبح ممكناً فقط إذا ما تم اتخاذ الخطوة الأولى في هذا المشروع ضد محمد (صلى الله عليه وسلم) ، وأتمنى أن يستمر هذا المفهوم كي يصبح شأناً هاماً .

ليس ببعيد أن يكون الموجودون هناك أول من يشاهد حركات التصدي والعصيان ضد محمد (صلى الله عليه وسلم) ، وبالتالي

يبدو لي أن قيامك بالخطوة الأولى في هذا المشروع سوف يكسبك رضا الرب الذي يدخرك لهذا العمل لتنال الشرف والنصر قبل أي شخص آخر فتكون السباق في ذلك .

هل هناك شرف أعظم من شرف تدمير بيت عدو الرب وعدونا الذي داس على نفوسنا بقدمه؟ وهل هناك من عمل أشرف من استعادة مدينتنا القدس التي فقدناها نتيجة أخطائنا ولم تعد ملكاً لنا؟!

في هذا الوقت ، وفي إطار ما يقوله جلالة الملك ، يبدو لي الآن أن وصمة العار والخزي الذي أصاب المسيحية بظهور محمد (صلى الله عليه وسلم) قد كان أمراً تم إعداده بشكل مرتب ومنظم من خلال سر مقدس ، يظل "بريستر جون" على قيد الحياة في بلاده مع شعبه يدين بالمسيحية في تلك المناطق .

بناء على ذلك فعندما تكتمل عملية إبحارنا ووصولنا في تلك المنطقة فإننا سنجد المسيحيين هناك ومجموعات أخرى من الناس من أتباع النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) وبالتالي سوف يناضل المسيحيون ويحاربون للفوز بمكة التي تمثل قاعدة لهم (المسلمين) ، وحينها لن تكون قوية بما يكفي كي تزود عن نفسها .

في ظل ما يراودنا من أمل في سحق المسلمين بشكل نهائي ، إنني أعتقد أن نهايتهم قد دنت خاصة إذا ما وضعنا في الحسبان

هــذه الصــراعات التي نشــأت فــي أوساطهم حول الديانة الإسلامية نفسها .

عندما غادر نائب الملك إلى تلك المنطقة وأصبح في عرض البحر ، تحدثت إليه بشكل جاد حول مدى صعوبة مجاهدته في الحصول على معلومات عن "بريستر جون" .

الآن يجب أن تعلم أن حالة التكهنات والتنبؤات التي تدور حول محمد (صلى الله عليه وسلم) أو بالأصح تلك الديانة العظيمة التي استمرت تنتشر طيلة هذا الوقت لابد من تدميرها عاجلاً وبشكل كامل ، أيضاً يُشار بوضوح أن مكة سوف تسقط ويُستولى عليها وسوف يتم استئصال ومحو الدين الآخر إذ يبدو أن هناك الكثير من الفرص المتاحة لتحقيق ذلك .

يجب أن تعلم أنه في الشهور الأربعة الماضية إن هذه المدينة قد شهدت وصول اثنين من الرهبان جاءا من بلاد "بريستر جون" ، وفي الحقيقة وحتى الآن لم يحدث أن شوهد أعضاء من تلك الإخوانية في هذه المنطقة إذ لم يمض على تأسيسها أكثر من أربعين أو خمسين سنة .

لقد كتب لهم الملك عدة خطابات كُلفتُ بحملها لهم سراً ، ومؤخراً ظهر أيضاً اثنان من كهنة تلك المنطقة في المدينة أحدهما "دومونيكي" "Domonike" والآخر "فرانسيسكي" "Franciske"

وكانا يسافران على متن سفننا ، وقد أصيب الراهب "الدومينيكي" الذي كان يقوم بقراءة القداس وهو رجل مستنير ومتعلم ، أصيب بوعكة صحية ظل بعدها يعاني من المرض .

إنني لا أعلم ما إذا كانا سوف يعودان ، لكن بالفعل تمت كتابة الرسائل لهما ، وعندما وصلت من "ايفورا" حدث أن قابلت هنا "دومونيكياً" آخر ينتمي إلى نفس البلاد وأخبرني أن رفيقه قد توفي أثناء الرحلة ، وقد ذهبوا جميعاً إلى "سانتياغو" ومنها قدموا لمقابلة الملك وذلك بسبب انتشار أخبار انتصاراتنا التي بلغت ذلك الجزء من العالم .

الجميع متفقون على وجود سبعة أشخاص بيض من بلادنا في بلاط "بريستر جون" ، ويقولون أيضاً بوجود ميناءين في البحر الأحمر ، ومدينة ضخمة تسمى مصوع وأخرى تسمى سواكن .

يدفع سكانها الجزية إلى "بريستر جون" "Preser John" ، وعندما يسافرون في البر فإنهم يغشون هذه الموانئ التي تسكنها مجموعة من المسلمين الأشرار . أما في البر وفي الموانئ نفسها فالمنطقة تعتبر بكاملها ملكاً لـ "بريستر جون" وهي منطقة آمنة يمكن للمرء السفر فيها بسلام ، ومن المعروف أن مقر إقامته يقع على مسافة تقدر بمسيرة عشرة أو اثني عشر يوماً .

يبدو أن بإمكانك أن تقف على صحة هذه الأمور هناك ومن ثم ترسل رسالة إلى "بريستر جون" لتعود بالرد للملك فيما يتعلق

بغزو مكة ، فهؤلاء الرهبان يقولون عنه إنه زعيم قوي شديد البأس ويمتلك قوة ضخمة من المحاربين . هذا إلى جانب أن لديه حركة تجارية دائبة تشمل العديد من السلع كالنحاس والزنجبيل وأصناف شتى من البضائع التجارية .

كان الملك قد كتب أيضاً رسائل أخرى بهدف إرسالها عن طريق البر لأنه سبق أن بعث برسائل عديدة إلى "بريستر جون" ، لكنه حتى الآن لم يحدث قط أن تلقى رداً منه ، وربما شاءت إرادة الرب أن يتأخر ذلك إلى حين لحظة لقائنا به .

عند ذلك يترتب عليه بذل أقصى جهوده معنا من خلال مينائي "سوفالا" و"ماليندي" وحتى البحر الأحمر ، وكذلك الموانئ الداخلية حتى "بربرة" و"زيلع" من أجل التواصل معنا عبر الرسائل .

أما جلالة الملك فيجب عليه من جانبه أن يأمر باتخاذ إجراء بالمثل سيما وإن الرب يتيح لنا الفرص ويبارك هذا التواصل والأخذ والعطاء المتبادل .

سيدي ، الآن يجب أن تعمل على الإفادة من "بريستر جون" لأن نجاح هذا الأمر سيكون خالصاً لوجه الرب ولخدمته ، وأيضاً لمجد نأمل أن يعود على البرتغال وللعالم بأسره وعلى سموك أيضاً عندما تدرك أنه من خلاله تم القضاء على محمد (صلى الله عليه وسلم) وتم القضاء على مكة .

بما أن "أفونسو دي البوكيرك" أعظم قادتك موجود في الهند ، فقد التزم بالشروع في هذا الأمر ، بعدما تم التخطيط له هنا منذ بدايته ، وطالما كان ذلك قد حدث ويجب أن يحدث فسوف يكون من دواعي سروري ، وهذا ما أشرت به على الملك ، أن يصدر لي أمراً بالمساعدة فيه ، وسوف أقوم به لقاء مكسب أو منفعة بسيطة ، ليس مهماً كم أصبحت أبلغ من العمر ، لأنني ما بين هذه المرحلة المتقدمة من العمر وبين الموت ، لقادر على تنفيذ كل ما يُصدر لي من أمر في هذا العالم .

بالرغم من معاناتي من مرض الحمى إلا أنني على استعداد بالمجازفة وخوض المغامرات تنفيذاً لأوامره لأن الرب يقول حين توجد الإرادة ويوجد الدافع ، فلا المرض أو تقدم العمر يمكن أن يقف حائلاً يعوق العبد عن أداء واجبه نحو الخالق ، إذ إن القديس "بول" يقول : "إنني أحس بأنني أكثر قوة عندما أكون مريضاً" .

لا أظن أنني في حاجة إلى دليل أكثر من هذا كي أرى ما يحققه البرتغاليون هناك ، وكلي أمل في تحقيق المزيد من الإنجاز في المستقبل لأننا بذلك سننعم بالمزيد من رحمة الرب تماماً كما تحقق للاثني عشر رجلاً من رسله من خلال إيمانهم واستقامتهم .

الآن ها هم البرتغاليون مستمرون في العمل هناك تأسياً بالرسل ، وبالتالي دمرت الوثنية بواسطة الرسل الاثني عشر وانتشرت الديانة الكاثوليكية ، وأيضاً بإمكان البرتغاليين بالرغم من قلة عددهم وقلة

مصادرهم في هذا المشروع أن يبدأوا بسحق أفكار الدين الآخر ومعتقداته الزائفة .

إنني أكتب لك هذه الرسالة عوضاً عن الرسائل التي أكتبها له ، لكل فرد هناك كل عام ، وسوف أكون ممتناً لك إذا ما أطلعت ابني عليها إذ ربما سعى لتجنيد نفسه والانخراط في أداء هذه الواجبات المقدسة بنفس الحماس ونفس النهج الذي اتبعته .

إنني أناشدك وأتوسل إليك أن تقوم بخدمة واحدة لي وهي أن تتصرف وفق مسؤولياتك بقدر استطاعتك ، بحيث تنصحه ألا يكون مبذراً ومتلافاً فيما يتعلق بتوزيع المساكن والملابس ، هذا إلى جانب حقيقة أنه ليس مفوضاً في ذلك الأمر ، أرجو أن يُصار إلى منعه كي يكف عن ذلك التصرف ، هذا إذا لم يكن بالفعل قد تصرف حسب هواه .

وفقاً لأمر جلالة الملك الذي صدر بشكل مفصل فإنني لن أرسل لك رسائل منه أو من أي فرد آخر ، لأنه سبق أن أخبرني في رسالة تلقيتها مؤخراً في السفن التي قدمت من هناك ما يفيد بعدم جدوى ذلك ، والشكر موصول لك إذ إنه تلقى من طرفك كل هذه المعلومات بشكل دقيق ومفصل ، وعن هذا أقبل أيديكم[أ] الكريمة .

(أ) BNL . AL Cob 297 (475) in printed catalogue) fols 175-176r .

نسخة بخط اليد يعود تاريخها إلى نهاية القرن الثامن عشر .

وفي العام نفسه (١٥١٢م)

بعث "أفونسو دي البوكيرك" "Afonso de Albuquerque" برسالة إلى الملك "د . مانويل" "D . Manuel" ، فيما يتعلق بالفوائد التي تحققت بموجب العهد الذي أبرمه مع سفير هرمز ، من "غوا" "Goa" ، الثامن من شهر نوفمبر عام ١٥١٢م ، ويؤكد أنه ملتزم بالاتفاقية ويطلب منه ألا يحيد عن عهد "خواجا عطار" : (١٢)

سيدي ،

لقد كان معي سعادة سفير هرمز وقد مكث معي لمدة أيام حيث حمل لي رسائل من الملك ومن "الكوجيتار" ، وحقيقة قدم هذا السفير ومعه علبة جواهر مغلفة ورسائل مختومة لجلالتكم ، ولم أشأ أن تمتد يدي لأي من الأشياء التي جاء بها أو أفتح أية رسالة

(١٢) رقم الوثيقة والهامش.

من تلك الرسائل ، وهو رجل ستدرك جلالتكم أنه يتمتع بالكثير من الذكاء والبراعة .

أتمنى من جلالتكم ألا تحيد عن العهد والاتفاقية التي أبرمها معه لأن البربر (المسلمين) قد جعلوا من أنفسهم وسطاء في هذا الأمر .

أعتقد أن مبلغ الثلاثين ألف "أشرفي" التي يجب أن تدفع كضريبة لا تعنى شيئاً بالنسبة لـ هرمز ، ولكن أعتقد أن الضرر والأذى يكمن في حقيقة ألا يكون لجلالتكم قلعة أو مؤسسة أو مصنع يتم فيها توظيف البرتغاليين ، الذين يدركون تماماً حقيقة وأهمية هرمز .

يتولى "فالكوجيثار" المراقبة والإشراف على هذه الأشياء لأنه يدرك حقيقة كم هي عظيمة تلك الجزيرة (هرمز) ، ونظراً لرغبة أي فرد في الاستيلاء عليها ، إذ لا توجد أي مخاوف من جانب فارس ، فيبدو الأمن مستتب إذ لا توجد سفن لنقل الناس .

أتمنى أن يعمل جلالتكم على أن يجد هذا السفير كل الاحترام والتقدير واقترح أن تظهروا له بعض مما لديكم في المملكة لأن لدى ملك هرمز كل الأنواع من كل شيء مثل الخيام وأدوات الصيد من صقور وكلاب ونمور ، كما لديه أيضاً خيالة يرافقونه من ترحاله ويقفون على أبواب قصره بخيولهم وبغالهم وأيضاً لديه قادة وقباطنة وحراس يلتفون حوله في القصر .

حُرر في "غوا" في اليوم الثامن من نوفمبر ، عام ١٥١٢م .

كتب بخط خادم سموكم

"أفونسو دي البوكيرك"

معنون إلى جلالة مولانا الملك .

وفي العام نفسه (١٥١٢م)

بعث "أنطونيو كاميلو" "Antonio Camello" ، بتاريخ عام ١٥١٢م برسالة إلـى "د .مانويل الأول" "D . Manuel I" محذراً عمّا يقوم به سلطان مصر من استعدادات للانتقام من البرتغاليين بعد أن هزموه في "ديو" "Diu" : (١٣)

سيدي ، أنا "أنطونيو كاميلو" الموظف في بلاط خدمتكم ، أفيد جلالتكم أنني قد رافقت نائب ملككم إلى الهند ، حيث قضيت معظم هذا الوقت في قلعة "كانانور" مع "لورينسو دي بريتو" .

هناك كان العديد من الملوك العرب قد كتبوا إلى نائب الملك ، ولقد قمت بترجمة رسائلهم تلك من العربية إلى لغتنا ، وبما أنني غير متيقن من أن سموكم قد علم بهذا الأمر فقد عمدت إلى تلخيصها في النقاط التالية بعدما اطلعت عليها :

---

(١٣) رقم الوثيقة والهامش.

بند : في ظل ما يعتقده حاكم هرمز بأن نائب الملك رجل حكيم وحصيف فقد كتب له مرتين متسائلاً عما بوسعه عمله فيما يختص باتفاقية السلام مع "أفونسو دي البوكيرك" .

قد أجاب نائب ملكك مثنياً عليه ومشيداً بحسن تصرفه وبين له أنه طالما طلب منه أن ينصحه فإنه يوصيه أن يصبح تابعاً لسموكم ، لأنه بذلك يكون قد عزز من موقفه بحيث يمكنه بعد ذلك المحافظة على سيادته .

بعدما تم سحق المصريين في "ديو" وبلغت هذه الأخبار مسامع سلطان القاهرة استاء السلطان ، ومن ثم قفل على نفسه عدة أيام ، وبعدها كتب بشكل عاجل إلى السلطان التركي طالباً منه أن يرسل إليه ضابطاً جيداً متميزاً في مجال الحرب البحرية ، إذ إنه بهدف إعداد وتجهيز أسطول كي يرسله للهند في العام المقبل .

حينها أجاب السلطان التركي معتذراً ، حيث أشار أن الرجل المقصود ليس موجوداً الآن إذ أرسله في مهمة إلى جهة ما ، لكن إذا ما رغب في قادة آخرين فإنه على استعداد لإرسالهم له .

كان أحد قادة السلطان باسم "عبد نوس" قد علم بفحوى رد السلطان ، ومن ثم تطوع بالعمل كقائد أعلى في الأسطول ، وهنا شكره السلطان ، وأمره بأن يختار من بلاطه ما يحتاجه من الرجال ، لكن رد "عبد نوس" أنه سوف يختار فقط من يرغب في العمل معه ، وحينها تم تزويده بأربعة آلاف من الرجال .

بند : أيضاً كتب السلطان للملك في "كاليكوت" طالباً منه عدم إبرام اتفاقية السلام مع سموكم ، ووعده بأنه سوف يعمل على تكوين أسطول قوامه أكثر من خمسين سفينة لطرد أتباع سموكم من الهند .

هناك شخص باسم "خواجا أمين" يقيم في "كاليكوت" وهو من مواليد هرمز ومعروف بإخلاصه لسموكم وقد أرسل هذه الرسالة السرية إلى "لورينسو دي بريتو" .

بند : لقد أرسل "السابايو" حاكم "غوا" رسالة سرية إلى ملك "كانانور" يخبره فيها أنه يسعى لتكوين جيش لمواجهة سموكم ، لكنه يريد أن يعرف مدى استعداده لمساعدته في هذه الحرب أو حقيقة رغبته في المحافظة على السلام مع سموكم ، فأجاب ملك "كانانور" أنه يدرك أن "سابايو" قائد عظيم وذكر أنه كان قد سبق أن دمر سفنه وألحق به خسائر كبيرة في الأرواح .

كان حامل رسالة "سابايو" هو أحد كهنته ، وقد أتى مخولاً بسلطات من قبل سيده ، بحيث إنه أعرب عن استعداده لدفع تعويضات مقابل الأضرار والخسائر التي تسبب فيها لملك "كانانور" .

عموماً لم يقف "لورينسو دي بريتو" على حقيقة رد ملك "كانانور" أو ما إذا كان الكاهن قد توجه سراً من هناك قاصداً "كاليكوت" .

أما بخصوص مسألة السلام الذي تم إبرامه مع "أفونسو دي

البوكيرك" ، فقد أرسل "لورينسو دي بريتو" أحد الأعيان العرب من هرمز من المقيمين في "كانانور" واسمه "خواجا أمين" إلى ملك هرمز ، لكنه في طريقه التقى بسفن "سابايو" ، ووجدوا الرسالة التي بعث بها "لورينسو دي بريتو" ومن ثم أخذوا ذلك العربي إلى "غوا" حيث رغب "سابايو" في قطع عنقه .

لكن بعدما تبين أنه من الأعيان وافق "سابايو" على زجه في السجن ، عموماً تمكن هذا السجين من إرسال خطاب إلى "لورينسو دي بريتو" كان قد أخفاه داخل كرة صغيرة من الشمع وأخبره أنهم يقومون في "غوا" ببناء خمسين سفينة تشابه سفننا ، وأن "سابايو" يتجه إلى إحدى مدنه بعدما أُبلغ أن أحد الملوك من أعدائه قد نجح في محاصرتها .

عموماً وقبل مغادرته جمع كل ضباطه الذين يقومون ببناء تلك السفن وأمرهم بوضع قائمة لكل الاحتياجات الخاصة ببناء السفن ، كما أمر بضرورة توفير كل المستلزمات فوراً بحيث يكون كل شيء جاهزاً عند عودته ، وإلا فإنه سوف يعاقبهم بشدة في حالة فشلهم في إكمال العمل ، وعندما أكمل الضباط القائمة قام بتسليمها إلى أحد الحكام وأمره بالإشراف والمتابعة في فترة غيابه .

بعد مرور عشرة أو اثني عشر يوماً وصلت سفينتان إلى مكان ما بالقرب من عدن يسمى "الشحر" تحملان شحنات من المنسوجات والألبسة والمشدات .

سيدي ، أفيد سموكم إن هذا هو واقع الأمر .

بند : قبل مرور عام من مغادرة نائب الملك إلى مكة وجدة و"بربرة" و"زيلع" ، كانت هناك سبع سفن قد غادرت "كاليكوت" ، لكن حدث أن ثلاثاً من هذه السفن قد ضلت طريقها بسبب تعرضها لعاصفة عنيفة ، أما بقية السفن فقد اتجهت إلى تلك الموانئ المذكورة سابقاً .

أما التوابل فقد اشتملت على "بهر" من الفلفل أي بواقع أربعة قناطير بقيمة ثمانين "أشرفياً" ويساوى الأشرفي ثلاثمائة وثمانين "ريساً" ، و"بهر" من القرفة بقيمة ستين "أشرفياً" ، وقد عادت هذه السفن إلى "كاليكوت" وقد كتب "خواجا أمين" مالك إحدى هذه السفن رسالة إلى "لورينسو دي بريتو" أخبره فيها بكل هذه الأحداث بكل أمانة .

بواسطة ملك "كامباي" كتب السلطان مخاطباً مالك عياض حاكم "ديو" ، منذراً إياه بأنه قادم في طريقه لمهاجمته ، وعمل السلطان على إرسال قائده الأعلى أمير حسين في ست من السفن وستة مراكب شراعية معتقداً أن الميناء سوف يستقبل سفنه تلك ، غير أن الأخبار التي تلقاها أفادت بأن مالك عياض قد باعه إلى نائب الملك .

قد قام مالك عياض بإرسال هذه الرسالة إلى نائب الملك ، وقد رد نائب ملكهم مفيداً بأنه قادم في طريقه وفي هذا الحين يترتب على

مالك عياض أن يراقب الموقف في مدينته وفي الموانئ بكل الوسائل الممكنة ، مضيفاً بأنه سوف يطلب من سموكم مده بالمساعدة .

بما أنني قد علمت بكل هذه الأمور ، فإنني عمدت إلى إخبار سموكم بها حتى تتمكن من اتخاذ الإجراءات التي ترى أنها الأفضل .

(في الهامش) : من "أنطونيو كاميلو"... الذي قدم من الهند .

وفي العام نفسه (١٥١٢م)

بـعثت رسالـة إلـى الملـك "مانويل" "Manuel" ، من "غوا" "Goa" ، بتاريخ الثامن عشر من شهر ديسمبر ، عام ١٥١٢م من "فرانسيسكو دي البوكيرك" "Afonso de Albuquerque"- يهودي في الهند ، تبيّن تلك الرسالة الترتيبات التي يقوم بها سلطان مصر وسلطان عدن للانتقام من البرتغاليين : (١٤)

سيدي ،

سوف يعلم سموكم أنه قبل مضي عامين كان اثنان من اليهود الإسبان المنفيين بواسطة ملك "قشتالة" "فيردناند" "Ferdinand" قد وصلا إلى الهند ، قادمين من عدن على متن إحدى سفن التجار وقد تم القبض عليهما بواسطة "سيماو مارتنز" .

لقد تم أخذنا لمقابلة القائد الأعلى الذي سر سروراً عظيماً لأننا

(١٤) رقم الوثيقة والهامش.

أخبرناه بالكثير من المعلومات وعن كل ما فعله السلطان في القاهرة عندما كنا هناك ، وأيضاً كل ما يعرفه أهالي عدن عما يحدث في القاهرة ، وعن الكيفية التي تتخذ لتجهيز الأسطول هناك والأماكن التي تجلب منها الأخشاب .

لقد قطع لنا وعداً بمساندتنا إذا ما تبين له صدق رغبتنا في خدمته ، وهكذا بدأنا العمل ، وحينما نكون في "غوا" نظل نعمل دائماً كمترجمين له في مختلف اللغات ، في العربية والفارسية والتركية ولغة "غوجاراتي" ، وإذا ما كانت هناك لغات أخرى فإننا نعمل أيضاً على تعلمها .

بند : جميع الرسائل التي ترد من ملوك "فياجانجار" "Vajayanjar" أو "كامباي" ، "باكتال" "شول" "Chaul" ، "غوجارات" أو هرمز تصل إلى أيدينا لنقوم بقراءتها ، وكنا بالفعل مصدر الثقة ، أيضاً حصلنا على كل ما هو ضروري ولازم بالنسبة لاحتياجات للقلعة مثل فحم الوقود ، الجير وكذلك العمال ، بل أصبح كل شيء يتم إنجازه بواسطتنا .

بند : لقد استقر رأينا على أن تكون أجور العمال أقل بواقع الثلث عن الأجر الذي كان يدفع بواسطة القائد العام ، والحال نفسه بالنسبة للهدايا والعطايا التي كان يقدمها للقباطنة الوثنيين وذلك بحكم معرفتنا بعادات البلاد ، وكذلك طريقة معاملة الملوك العرب لهم فيما يتعلق بالهدايا والأجور التي يدفعونها لهم ، وبوسع سموكم أن يقف على كل هذه الأمور من خلال القائد الأعلى .

بند : عندما كنا مبحرين في طريقنا إلى "ملقا" ، تم القبض على خمسة من سفن "غوجارات" ، وكنت أتدبر الأمر بيع اثنتين منها مقابل خمسة وثلاثين ألف "كروزادو" ذهباً (من منانج كابو) أي ما يُعادل اثنين وعشرين ونصف قيراط .

لكن لم يشأ المسؤولون الذين يقومون بتوزيع الغنائم أن نكمل عملية بيعها ، وذلك لأنهم لم يكملوا بعد عملية تقسيمها إلى أعشار حسبما كانوا يفعلون دائماً ، حيث يخصّون أنفسهم بنصيب الثلث .

عليه فقد أعطوا الأمر بعدم بيعها ، ومن ثم أخذوها إلى "ملقا" ، وهناك قام القائد الأعلى بتسليم إحدى السفينتين للمسؤولين لأجل توزيع الأنصبة ، وبالفعل تم بيعها مقابل تسعة آلاف وخمسمائة "كروزادو" ذهباً وهي بالطبع ليست أكثر من قيمة ستة عشر قيراطاً ولا تعادل سبعة آلاف من قيمة الذهب الذي عُرض عليّ كقيمة للبيع ، لقد فعلوا ذلك لأنه بدت لهم كثرة الذهب ، بالرغم من أن قيمته الفعلية أقل ، وبالتالي لم يكن الفرق أكبر كثيراً مما حصلت عليه .

بند : إن كل الخدمات التي ذكرتها أعلاه والكثير من الخدمات الأخرى التي آمل أن يعينني الرب على إنجازها ، قد قمت بأدائها انطلاقاً من إيماني أن المرء في مسيرة حياته يظل يعمل كي يحقق واحدة من ثلاث غايات : وهي السؤدد والفائدة والحصول على وسيلة لإنقاذ روحه "أي إبراء ذمته" .

لأجل تحقيق واحدة من هذه الغايات الثلاث يجب عليه أن يتحمل الكثير من التعب والألم بل والمخاطرة بالمال والروح ، ولقد تبين لي من خلال وجودي بجانب القائد العام ، أنني قد حققت الغايات الثلاث ، وذلك لأنني نلت سمعة طيبة واستفدت كثيراً من خدمتي لسموكم .

أما بالنسبة لإبراء الذمة وخلاص النفس ، فإن نفسي آمنة مطمئنة لأنني أصبحت مسيحياً أحمل اسم "فرانسيسكو دي البوكيرك" ، وحسبي الآن أن أكتب مخاطباً سموكم الكريم .

بند : عندما بلغنا "ملقا" وجدنا هناك "روي دي أروجو" "Rui de Arojo" ، ومعه مجموعة كبيرة من المسيحيين الذين بقوا في الأسر مدة عامين ، وتبين لنا عدم معرفتهم بعادات ولغة البلاد الأمر الذي لا يمكن أن يُصدق- .

قبل أن يمضي شهر واحد فقط ، تمكنت من معرفة تقاليد أهل البلد وأصبحت ملماً بالأوزان والإجراءات وأيضاً لغات القادمين والمغادرين ، حتى عجب الجميع ولم يصدقوا قط أنني لست واحداً من أهالي "ملقا" ، أو لم يحدث أن كنت فيها من قبل .

بند : عندما أصدر القائد الأعلى أمراً ببناء قلعة في مدينة "ملقا" ، تبين أن البرتغاليين قد أصبحوا في حالة من الضعف ، بحيث إنهم لن يستطيعوا حمل الحجارة ومواد البناء وتحمل هذه الأعمال

الشاقة ، لذا فقد اقترحت على القائد الأعلى أن أرحل للبر الرئيس لإيجاد بعض العمال للقيام ببناء القلعة ، خاصة بعدما أدركت عجز البرتغاليين وعدم قدرتهم على العمل .

بسبب ضيق الوقت عمل القائد الأعلى على وقف عملية البناء أو التوجه إلى "ملقا" ويمتنع عن العودة للهند لوقت طويل ، وعندما عاد للهند اكتشف أن الكثيرين قد تورطوا في بعض الأمور ، وهناك عدة انتهاكات قد حدثت في "كانانور" وفي بعض المناطق الأخرى ، إنني لم أرغب في قول المزيد لسموكم والخوض في هذا الموضوع لأنه غير مسموح لي بذلك .

لقد سمح لي القائد الأعلى بالذهاب شريطة ألا أقدم على إحداث أية انتهاكات في البر ، ولقد تعهدت له بأنني سوف آتي بما يكفي من الرجال لبناء القلعة ، دون أن أتسبب في إيذاء أي فرد ، وإنني على استعداد أن أدفع "كروزادو" لكل من يشتكي عليّ ، ولقد فعلت ذلك سيدي بالكامل لأجل خدمة سموكم ولأجل الحصول على المكافأة التي آمل أن أُحظى بها نظير إنجازي هذه المهمة .

قد أمر بأن أمنح خيلاً بحيث يمكنني بواسطته أن أمارس عملية الإشراف على العاملين وسير العمل في بناء القلعة ، إذ لدي أربعمائة عامل يعملون يومياً ، وعشرين عاملاً يقومون بقطع الحجارة ، ولا يوجد من البرتغاليين من يجرؤ على الذهاب إلى حيث أذهب أنا .

هناك مركب "ينك"[أ] تؤول ملكيته إلى ملك "ملقا" و"البندار" ، وكانت قد قدمت من "كروماندل" "Coromandel" محملة بأنواع فاخرة من المنسوجات وقد تم القبض عليها ، عموماً لا أحد من "ملقا" يدرك كم هي قيمة تلك الشحنة ، وحتى لو علموا ذلك لما أمكنهم القول ، ولكنني اكتشفت قيمتها .

عندما كان "روي دي أروجو" "Rui de Arogo" يقوم بفحص تلك المنسوجات ، طلبت منه باسم سموكم وبالإنابة عن القائد الأعلى ألا يقوم ببيع هذه الشحنة ، وأخبرته أنني سوف آتيه بضعف القيمة التي سوف يحصل عليها نظير بيعها ، وأبلغت القائد الأعلى أنني أعلم كل شيء يأتي من تلك البلاد ، سواء تعلق الأمر بالسعر وأنواع السلع وكل شيء آخر ، وبالتالي لماذا يأمر ببيع تلك المنسوجات دون أن يحفل بما أقول ودون أن يخبرني بثمنها؟

بعد ذلك عملت على بيع تلك الشحنة مقابل سعر يبلغ ضعفي السعر الذي حصل عليه "روي دي أروجو" ، وأعتقد أن القائد الأعلى سوف يخبر سموكم بهذا الأمر بشكل مطول ، وسوف يخبرك أيضاً أي نوع من الرجال أنا ، ولا أشك أنه يدرك تماماً ألا أحد يعرف كل التجار كما أعرفهم أنا ، وبالمثل من له معرفة بجميع وبكل عادات أهل الهند وتقاليدهم وعادات أهل تلك البلاد .

(أ) نوع من السفن الشراعية الصينية .

إنني أناشد سموكم أن تتفضل عليّ ، مقابل كل الخدمات التي أؤديها لسموكم وتمنحني لقب "دوم" وتشرفني بمنح الامتياز اللائق ، فربما كان القائد الأعلى يعاملني على ذلك النحو ، إلا أنني أحب أن أحصل عليه من سموكم بمرسوم ملكي ، لأن ذلك كفيل بتشجيعي في العمل في خدمة سموكم ، خاصة ونحن ذاهبون الآن عبر مضيق مكة ، حيث آمل أن أظهر حسن نواياي في خدمة سموكم .

لعل سموكم يكون قد وقف على حقيقة ما أؤديه من خدمة من خلال كتاباتي لسموكم ، وعندما نتمكن من الاستيلاء على عدن ، سوف أخبر القائد الأعلى عن التزامي بتمشيط كل البحار حتى جدة فقط بسفينتين ، وسوف أفرض هيمنتي على البلد بكاملها وأجعلها تأتي طائعة كي تدفع الجزية لسموكم .

بواسطة هاتين السفينتين سوف أقوم باحتلال الجزيرة المسماة "دهلك" حيث توجد بلاد "بريستر جون" التي تسمى "اركيك" وكذلك "كوينون" وهي بلاد أخرى ، هذه البلاد تدفع لملك "دهلك" جزية تقدر بحوالي مائة أوقية من الذهب سنوياً .

لا أرى سبباً لاحتفاظه في وسط النهر بسفينة من القاهرة مسلحة بأربع قاذفات مدفعية ، سوى أنه يعتزم استخدامها لأجل قهر وإذلال كل فرد ، على حدود إقليم "بريستر جور" يوجد بلدان هما "زيلع" و"بيريرا" ، وهذان سوف تستسلمان عاجلاً وتخضعان لنفوذكم ،

إذ ليس أمامهما سوى ذلك (ولماذا لا تخضعان لك؟) ، وكذلك الحال بالنسبة لجزيرة سواكن .

إنني أعاهدك أنني بواسطة استخدام سفينة واحدة سأتمكن من إجبارهم على دفع الجزية لسموكم ، لأن تلك الجزيرة مليئة بكل ما هو غالٍ ونفيس من ذهب وغيره... ولأن سكانها ليسوا محاربين .

عندما يصبح سموكم سيداً على المضيق ستدين لك الهند بكاملها ، لأن من يملك مفتاح الصندوق يصبح المالك المطلق على ما بداخله ، ومن تكن له اليد العليا في مضيق مكة لا شك بأنه سوف يصبح سيد الهند بكاملها ، لأن التجار في الهند سوف يسعون لإيجاد شخص ما للتعامل معه ، وهذا ما أخبرت به القائد الأعلى .

بند : إذا ما ارتأى سموكم أن يمنحني منصب قاضي قضاة الهند ، فإنني سوف أدفع لسموكم مقابل ذلك ألف "كروزادو" ، وبعدها لن يتم إصدار أي ترخيص بالمرور لأية سفينة إلا بواسطة شخصي ، وبموجب ما تقدم سوف يصار إلى مراعاة توجيهات سموكم في كل شيء .

أما مبلغ الألف "كروزادو" فسوف ألتزم بدفعه سنوياً ، هذا إلى جانب التزامي وتعهدي بمراعاة جميع الشروط التي يفرضها سموكم عليّ فيما يختص بخدمتكم .

إنني أكتب لك هذا لأنني سبق أن طرحت هذا الاقتراح على

القائد العام ، وقد أخبرني أن الأمر في يد سموكم الكريم ، وعليه فإذا ما كنت تعتبر أن هذا يصب في مصلحة سموكم ، فليكن ذلك من خلال تفويض من قبلكم ، وهذا سوف يعطيني لقب "دوم" وليس لقب "العبد" لأن من كان بغير رأس لا حاجة له للقبعة" .

من مدينة "غوا" الملكية هذه بتاريخ الثامن عشر من شهر ديسمبر ، عام ١٥١٢م .

(في الخلف) مرسل إلى مولاي الملك - رسالة من مجموعة اليهود في الهند - تم الرد عليها سلفاً .

****

تمت المصادقة عليها - رسالة من مجموعة اليهود في الهند .. للنظر .

أحداث عام ١٥١٣م

في بداية تلك السنة ، وبعد أن تمت المراسلات بين سلطان مصر والسلطان التركي على تأسيس جيش قوي للانتقام من البرتغاليين الذين انتصروا على الجيش المصري في معركة جزيرة "ديو" "Diu" لمساندتهم المسلمين الهنود ضد البرتغاليين .

تروي تلك الأحداث ، غزو الجيش البرتغالي لعدن لاحتلالها ، منعاً من قدوم الجيش المصري من خلال باب المندب ، ودارت المعارك بين القوات البرتغالية الغازية وأهل عدن ، حيث اندحرت القوات الغازية ، جاء ذلك في كتاب تاريخ اكتشاف وفتح الهند بواسطة البرتغاليين ، لمؤلفه "فيرناو لوبيز دي كاستانهيدا" "Fernao Lopes de Castanheda" ، من الفصل الثالث بعد المائة إلى الفصل التاسع بعد المائة : [١٥]

(١٥) رقم الوثيقة والهامش.

الفصل الثالث بعد المائة :

قد كان الحاكم في "جواو" مشغولاً ببناء القلعة في "بيناستاريم" ، التي تم بناء جدرانها الخارجية خلال شهر يناير ١٥١٣م ، بالإضافة إلى بناء برج حجري من أربعة طوابق بالكامل ، وقد كان له أبراج مراقبة على كل جانب ، وقد كان متصل ببرج آخر وصل حتى أول طابق به .

قد أطل هذا المبنى الأصغر حجماً على النهر ، وقد كان مبنياً من الخشب وبعض الأعمدة السميكة : وقد كان محاطاً بشرفة مفتوحة مقابلة للبر الرئيس ، وقد تم تثبيت أجزاء المدفعيات الكبيرة عليها ، وقد كانت هناك بئر مياه بالقرب من البرج الأكبر ؛ إلى جانب ذلك أمر الحاكم ببناء برج آخر في "بانجيم" ، وأبراج أخرى في معبر "نوروا" "Norua" و"باسو سيكو" "Passo siko" .

بينما استمر العمل بتلك الطريقة ، علم الحاكم باقتراب "دوم جارسيا" واستعد للمغادرة إلى البحر الأحمر . بعد وصول "دوم جارسيا" قام بتأجيل مغادرته لخمسة أيام أخرى .

خلال تلك الفترة أرسل رجلاً يسمى "فرانسيسكو نوجويرا" "Francisco Nujoira" ، و"غونسالو مينديس" (الذي كان الوكيل التجاري "لكانانور" سابقاً) للذهاب والتفاوض على معاهدة مع ملك "كاليكوت" ، كي يعطيهم مكاناً يمكنهم بناء قلعة به ، كما أخبر الأمير "دوم جارسيا" .

بعد أن غادر هؤلاء الرجال ، قام الحاكم باستدعاء كل الضباط في سفينته الخاصة ، وأخبرهم بأن الأوامر التي أصدرها الملك لن يتم مناقشتها في المجلس ، لذلك أبلغهم بقرار الملك ، وهو أن عليه الذهاب إلى عدن ، والاستيلاء عليها إن أمكن ، ومن هناك يكمل في الإبحار إلى مضيق مكة ، لكن إن كان لديهم أي اعتراض على تلك الحملة فعليهم أن يصرحوا بذلك .

قد قالوا جميعهم إنه لا يوجد لديهم اعتراض وإنه من الضروري القيام بتلك الرحلة التي أمر الملك بها ، وبعد ذلك وقعوا بأسمائهم على محضر الاجتماع ، وعادوا إلى سفنهم ومراكبهم ، والتي كان عددها ثمانية عشر بالإضافة إلى سفينة "كارافيل" .

بالإضافة إلى الحاكم كان الضباط كالتالي : "دوم جارسيا دي نورونها" "D . Garcia de Noronha" ، و"مانويل دي لاسيردا" "Manuel de la Serda" ، و"لوبو فاز دي سمبايو" "Lopo Vas de Sampaio" ، و"دوم جواو دي ليما" "D . Joao de Lima" ، و"دوم جواو دي إيكا" "D . Joao de Eka" ، و"بيرو دا فونسيكا دي كراستو" "Pero da Vonsica de Crasto" ، و"سيماو فيلهو" "Simao Velho" ، و"فيرناو جومز دي ليموس" "Fernao Gomez de Limos" ، و"أيريس دا سيلفا" "Aires da Silva" ، و"سيماو دي أندراد" ، و"أنطونيو رابوسو" "Antonio Raposo" ، و"دوراتي دي ميلو" "Duarte de Milo" ، و"ريو جالفاو" "Rio Galvao" ، و"جورجي دا سيلفيرا" ، و"جارسيا دي سوسا" ،

و"ديوجو فيرنانديس دي بيجا" "Diogo Fernandes de Pega" ، و"جواو جوميس تشييرا دينهيرو" "Joao Gomez Cheira Denheiro" .

قد حمل هذا الأسطول ألف وسبعمائة رجل برتغالي ، وكذلك ألف من سكان "كاناريم" و"مالابار" ، وقد ترك الحاكم أربعمائة من رجالنا في "غوا" ، عدا المواطنين ، وستة قوارب شراعية صغيرة في البحر ، تحت القيادة العامة "لجواو ماشادو" "Joao Machadu" .

قد ترك "ريو بيريرا" "Rio Periera" كقائد أعلى لقلعة "بيناستاريم" ، التي كانت مخزنة بالعديد من المدفعيات ، مثلما كانت قلعة "غوا" ، وقد ذكرت في اليوم الذي أعقب اجتماع المجلس أن الحاكم قد غادر حدود "غوا" وتوجه إلى "رأس جواردافوي" .

وقد كان ذلك في شهر مارس ١٥١٣م ، حيث إنه لم تكن هناك من رياح في الخليج (بحر العرب حتى غرب الهند ، وليس الخليج الفارسي) ، وقد تم احتجازه أكثر مما توقع ، نتيجة لذلك نفذت منه المياه ، لذلك كان عليه الذهاب وأخذ بعض المياه في "سوقطرة" ، حيث رأى هناك بعض "الفرتاق" "Fartaq" : وهم العرب الذين هربوا خوفاً من أسطولنا .

قبل أن يقوم الحاكم برمي المرساة ، قام بإرسال "جواو جومز" للذهاب والتجسس حول "رأس كالانسيا" ، لمعرفة إذا ما كان هناك سفينة من "فارتاق" هناك ، وإن كان الأمر كذلك ، عليه أن يمسك

بها ، كي يمنعها من نقل الأخبار حول وصولنا لبعض السفن العربية من المضيق ، التي تأتي لأخذ المياه من الجزيرة .

لم يجد "جواو جومز" أي شيء ، ولكن في طريق عودته رأى سفينة من "شول" تبحر باتجاه المضيق ، وقد أجبرها الحاكم على الوقوف كي يساعده ربانها في أيجاد الطريق إلى عدن ، حيث إنه لم يكن لديه ربابنة سفينة ؛ وحيث إنه كان يعلم أن عدن هو مكان مهم جداً ودفاعاتها جاهزة ، وقد أراد معرفة كيف يقرر بالضبط كيف يقود الهجوم مقدماً ؛ ويمكنه القيام بذلك .

حيث إنه لديه بعض المعلومات عن موقع عدن ، لذلك قام بجمع ضباطه وأخبرهم : "سادتي ، جميعكم يعرف أن الخطر غير المتوقع يوحي بخوف أكثر بكثير من الخطر الذي يستعد له الإنسان ، وأنا أتحدث بخصوص عدن ، والتي نحن بصدد مهاجمتها ، حيث إن سكانها لا يشكون بعد بأننا في طريقنا لهم .

لذلك سيكونون غير مستعدين ، كلما قل توقعهم لنا ، كلما زاد خوفهم عند وصولنا ، لأنهم يعلمون كم أن ربنا قد ساعدنا في الهند ، الحمد لله ، وبتلك الطريقة سوف يظنون أننا سنفعل معهم مثل ما فعلنا في الهند ، ونتيجة لتلك السمعة ، سيكونون أكثر خوفاً إذا قمنا بالهجوم عليهم بمجرد وصولنا ، على أن نؤجل القتال .

إن كان هناك أي تأخير قد يستطيعون تمالك مشاعرهم ، وسوف

يتذكرون أنهم رجال ، وأنهم يمتلكون أسلحة هجومية ودفاعية ، خاصة وأنهم قريبون جداً للمدن الأخرى التي يمكن أن ترسل لهم الإمدادات بسرعة جداً ، لذلك يجب علينا ، إذا لم يمنعنا أي شيء ، أن ننزل عندهم عند وصولنا ، ويمكننا إما تدمير بواباتهم بالكباش الناطحة ، إذا أغلقوها ، أو صعود الأسوار بالسلالم" .

بمجرد أن تم تسوية ذلك الأمر ، قام بالإبحار بعيداً ، ولكن عندما ترك "سوقطرة" وراءه فجأة هبت عاصفة من جنوب الجنوب الشرقي ، وقد كانت الرياح قوية جداً لدرجة أن سفننا فقدت تلك المراكب الصغيرة (caturs*) التي كانت مربوطة في مؤخرة سفنهم ، وقد أكملوا حتى وصلوا إلى الساحل الأفريقي شمال "رأس جواردافوي" ، وقد تبعوا الرياح حتى رأوا عدن .

الفصل الرابع بعد المائة :

تُعد عدن ميناءً بحرياً على الساحل العربي ، وتقع على مسافة ثلاثين فرسخاً من مضيق مكة ، وقد كانت منطقتها في أحد الأوقات أكبر من "ايفورا" "Evora" في جنوب البرتغال ، وعدد سكانها مثل عدد سكان بيجا ، وقد كانت جميلة جداً ، ومنازلها شاهقة الارتفاع ، وتتكون من طوابق ، ومحاطة بشرفات مفتوحة ، وبها العديد من النوافذ والمداخن شبيهة بمداخننا ، وجدرانها مكسوة بالجص - وكذلك كانت جدران المدينة ، والأبراج والمعاقل ومواقع أخرى ، كما يتضح ذلك من على بعد .

هي على شكل جزيرة تقريباً ، وتقع بالقرب من سلسلة من الجبال تمتد من المناطق الداخلية إلى البحر ، وهي مبنية على منحدر شديد الانحدار ، ويوجد حول هذا المنحدر جدران المدينة ، وبالتالي ، فإن الجبال في حد ذاتها تعتبر حصناً ، ولا يوجد هناك حاجة لبناء جدران في جانبيها .

على جانب البحر يوجد برجان ومعقل ، كلاهما مخزن بالكثير من المدفعيات ، تسمى سلسلة الجبال التي أشرت لها "ايزينا" (Aizina) ، وتتكون من الصخر تماماً ، بدون أي أشجار أو زراعة ، ويوجد عند سفحها ميناء المدينة والذي يسمى "فوجات" (Fugat) ، حيث يوجد به في الغالب السفن الأجنبية .

عند سفح نفس الجبل في الميناء توجد جزيرة تسمى (صيرة) ، يمتد من عندها خلد يصل حتى الميناء ؛ ويُعتبر حماية من الرياح الشرقية ، وعند نهاية الخلد في البر الرئيس يوجد معقل قوي جداً ، ولا يوجد مياه على تلك الجزيرة .

يوجد للمدينة بوابتان ، أحداهما مقابلة للمنطقة الداخلية ، والأخرى مقابلة للبحر ، ويوجد أيضاً ميناء آخر يسمى "حقوفو" وهو يقع خلف الجبال باتجاه الشرق ، وهو محمي من كل الرياح ، ومياهه تتمتع بعمق جيد ، ولكن لا يتم استخدامه بقدر استخدام ميناء فوجات .

يوجد على هذا الجانب خور ، بحيث إن المدينة أصبحت جزيرة تقريباً ، ذلك لأنه بدلاً من العودة إلى البحر ، فإن الخور يمتد في مجال يشكل سلسلة من البحيرات ، ويجري خلالها طريق كبير من المدينة ، وينتهي عند برج رائع وخلاب يصل المدينة بالبر الرئيس .

إن جزء البر الرئيس في المدينة يسمى (زبيد) ، حيث يسكن شيخ عدن ، يوجد أمام سلسة جبال عدن ، على بعد فرسخين من ميناء "حقوفو" ، توجد قرية تسمى "روباكا" "Rubaca" ، يوجد بها حوالي ست عشرة بئر مياه .

تتدفق المياه خلال بعض الأنابيب إلى صهريج كبير يقع على بعد ميل واحد من المدينة ، ولا يوجد أي مصدر آخر للحصول على مياه صالحة للشرب في أي مكان ، لأن الأرض حارة وجافة جداً ، بحيث إن الأمطار لا تسقط أحياناً لمدة ثلاث سنوات ، وخلال تلك الفترة يكون هناك أحياناً رعد ، لكن بدون أمطار .

خلال قمة سلسة جبال "ازينا" (Aizina) ، يوجد العديد من القلاع الصغيرة (وهي على الأرجح حصون أو أبراج) ويمكن رؤيتها من البحر ، ويوجد الكثير منها بحيث يبدو أن الهدف منها تجميل المدينة ، وليس تحصينها ، وهي تضاء بالنيران في الليل في حال وجود أي هجوم من العدو ، وتلك إشارة لسكان البر الرئيس لإرسال تعزيزات .

بالرغم من أن الأرض قاحلة جداً ، يوجد وفرة من المؤن في المدينة ، بما فيها اللحوم ، والقمح ، والفاكهة مثلنا ، ويتم إحضار الأرز إلى هناك من الهند ، وهي تعتبر ميناءً تجارياً نشطاً ، خاصة بعد أن استقر البرتغاليون في الهند ، لأن التجار من المضيق كانوا يخافون من أسطولنا ، ولم يبحروا في الوقت المناسب – نتيجة لذلك .

عـندما عادوا من الهند كان الوقت متأخراً جداً للإبحار في المضيق ، وكان عليهم البقاء في عدن ، لهذا السبب ذهب العديد من التجار من "فلسطين" للعيش هناك ، وعندما انضموا للتجار الذين كانوا مستقرين هناك ، وبالفعل زادت النشاطات التجارية .

يوجد في الميناء دوماً العديد من السفن من "فلسطين" ، وتكون محملة بالنحاس ، والزئبق وصبغ الزنجفر ، والمرجان ، والحرير ، والمنسوجات الصوفية ، ويوجد أيضاً مدن من "بربرة" و"زيلع" محملة بالذهب والعاج ، وسفن من "مالابار" محملة بالتوابل والأدوية ، وسفن من "كامباي" محملة بالملابس القطنية والبضائع الأخرى القيمة .

يسكنها "الموروس" "Moors" (العرب) وبعض اليهود ، وجميعهم بيض البشرة ، الرجال والنساء ، وبشكل عام ، فإن تصرفاتهم مرحة ، ويتحدثون العربية ، لديهم العديد من العيوب وأسلوب حياتهم مدلل جداً ، ويأكلون ويلبسون بشكل جيد .

يرتدون أفضل أنواع القطن ، والحرير والمنسوجات الصوفية ، ولا

يريدون ترك منازلهم للقتال في الحروب ، ولكن إن تم مهاجمتهم فإنهم يدافعون عن أنفسهم جيداً ، يمتطي النبلاء الخيول ، حيث يوجد بينهم فرسان ماهرون .

كذلك توجد الجمال التي يستخدمونها لأغراض محلية ، ويوجد لديهم حاكم يلقب بالشيخ ، وهو مالك الأرض والكنوز ، وقد عاش دوماً في مدن راقية في المناطق الداخلية ، كما ذكرت ، وقد كان لديه حاكم في عدن حبشي يسمى "ميرا ميرجينا" ، وهو فارس شجاع لديه العديد من المحاربين .

الفصل الخامس بعد المائة :

بعد أن رأى الحاكم عدن مساء خميس العهد يوم الخميس ، أكمل إلى الميناء ، حيث وصل هناك في الظهيرة في اليوم التالي ، في الجمعة العظيمة ، وبالرغم من أنه قد قرر الهجوم بمجرد وصوله بدا ذلك مستحيلاً ، حيث كانت هناك رياح شرقية قوية وضعت سفننا تحت الخطر .

بالإضافة إلى ذلك ، لم يكونوا قادرين على دخول أكثر الأماكن حماية في الميناء ، وقد تم تولي هذا الأمر من قبل سفن أخرى ، محلية وأجنبية – حوالي ستين منها ؛ لذلك اضطروا لإلقاء المرساة خارج الميناء تقريباً ، بسبب العاصفة ، وقد استغرق بعض الوقت كي يرسو الأسطول بأمان ، حيث كان يوجد هناك بعض السفن التي احتاجت ليس لأقل من أربعة مراسي .

قد كانت العاصفة والتأخر الناتج أول عقبة منعتنا من الاستيلاء على المدينة ، وإن كنا قد هاجمناهم على الفور لكانوا لن يتجرأوا (العرب) على الدفاع عن أنفسهم ، وقد كان هذا ناجماً عن خوفهم من وصولنا المفاجئ .

في الحقيقة لم يكن هناك حتى أي بوابة عند المدخل المقابل للبحر ، ولكن عندما رأى "ميرا ميرجينا" بأن رجالنا لن يقوموا بمهاجمته ، قام على الفور بإرسال في طلب المساعدة من البر الرئيس ، وقام بتحصين المدينة بأفضل شكل ممكن .

بعد أن هدأت الرياح حاول (الحبشي) التلاعب لبعض الوقت من خلال التظاهر بأنه يريد السلام ، وبإرسال عربي من "كانانور" لسؤال الحاكم عمن يكون وماذا يريد؟ وقد أجاب الحاكم بأنه رئيس الأركان وحاكم الهند وممثل لملك البرتغال ، وأنه قد جاء لإخضاع المدينة له .

كان ينوي من هناك الذهاب إلى "فلسطين" والسويس بحثاً عن "الروميليوتس" ، الذي أرادهم أن يقاتلوا لأن العرب في الهند أخبروه بأن السلطان كان يقوم ببناء أسطول هناك ، من أجل إرساله ضد البرتغاليين في الهند ، ومن أجل حل المشاكل وليبين لهم أنه لم يكن خائفاً منهم أبداً فقد قرر الذهاب والبحث عنهم .

قد رد الحاكم بتلك الطريقة ، لأنه كان يعلم أن العرب متبجحين

جداً ، وفي نفس الوقت يخافون من التهديد ، وقد كان "ميرا ميرجينا" خائفاً من تهديدات الحاكم ، وقد أرسل لهم هدية تتضمن أسلحة ، والدجاج ، وكمية كبيرة من الفاكهة ، قائلاً إن تلك المدينة تابعة لملك البرتغال ، ويمكنه أن يقوم بأي شيء يريده هناك بالتأكيد .

قد تظاهر الحاكم ، الذي أراد إخافة العرب أكثر وأكثر من أجل إجبارهم على الاستسلام ، تظاهر بأنه لا يريد قبول الهدية حتى يتم الاتفاق على اتفاقية صداقة ، في تلك الحالة سوف يكون رسول "ميرا ميرجينا" مسروراً جداً إذا قبل الهدية ، وقد أخبره الرسول بأن يعتمد على صداقة المدينة .

قد أخبره الحاكم بأن يفكر جيداً فيما قاله ، لأن تلك هي الحالة الوحيدة التي يمكن أن يقبل بها الهدية ، وقد قال له بأن يخبر "ميرا ميرجينا" "Mira Mergina" بأن يفتح بوابات المدينة إن كان تابعاً لملك البرتغال كما يدعي ، وأيضاً أن يستقبل رايتنا ورجالنا ، لأن ذلك هو ما قام به ملوك وحكام الهند .

قد أرسل أيضاً رسالة إلى التجار المحليين والأجانب الذين كانت سفنهم في الميناء ، وأخبرهم بالذهاب إلى سفنهم ، وأنه سوف يعطيهم جواز المرور ، وسوف يعيد كل البضائع التي تم الاستيلاء عليها منهم من قبل رجالنا ، وقد أخبرهم بذلك كي يغادروا المدينة ، وبتلك الطريقة سيكون عدد الرجال تحت تصرف "ميرا ميرجينا" أقل ، وبالتالي يستسلم بسرعة أكبر .

إلا أن الأخير كان يتلاعب بالوقت ، وأرسل رده للحاكم ، قائلاً إنه قد تولى سلطته من الشيخ ، وإنه قد حكم المدينة بالنيابة عنه ، لذلك لم يستطع تسليم المدينة بدون استشارته أولاً ، وقد أرسل بالفعل خطاباً بذلك إلى الشيخ ، وقد طلب من الحاكم الآن مقابلته على الشاطئ ، بينما انتظروا جواب الشيخ ؛ وقد كان كل منهم بصحبة عشرين رجلاً .

قد رد التجار بأنه إن لم يكن قد أمسك رجالنا بالفعل بسفنهم سيكونون سعداء بالعودة لها والإبحار بعيداً ؛ إلا أنهم كانوا يفكرون أنه من الأفضل البقاء في المدينة ، وبعد أن استلم تلك الردود ظن الحاكم أن "ميرا ميرجينا" كان مجرد خائن لتلاعبه بالوقت .

لكن بما أن الوقت قد تأخر ، ولم يعد هناك من وقت للقيام بأي شيء هذا اليوم ، فقد قرر أيضاً أن يلعب ذات اللعبة ، وقد قال إنه لا يوجد حاجة لهم للتقابل سوياً عدا عندما يذهب هو إلى المدينة ، وأخبر التجار مرة أخرى بالذهاب إلى سفنهم ، لأنه قد وعد بإرجاع أي شيء سرقه منهم .

حيث إن "ميرا ميرجينا" رأى أنه في ذلك اليوم لن يتمكن الحاكم من مهاجمة المدينة ، وبالتالي سيكون لديه وقت لتحصين المدينة ، فقد كتب له خطاباً على الفور كي يوضح الأمور ، وقد قال فيه بأن تجار الأرض قد أطاعوا فقط تعليمات حاكمهم أو محافظهم- لذلك يجب عليه أن يكتب لواحد منهم وليس للتجار .

قد قال أيضاً إنه بالكاد يصدق أن البرتغاليين قد جاءوا لأخذ عدن فقط من أجل بعض الفضلات ، وبعد أن قرأ هذا الخطاب ، فهم الحاكم أن عليه الاستيلاء على المدينة بالقوة ، وقد استدعى ضباط الأسطول فقط لاجتماع المجلس وقال لهم : " بما أن ربنا برحمته قد فضلنا بأن جعلنا أول البرتغاليين الذين يهاجمون عدن ، فمن الصحيح أن نضع ثقتنا في رحمته ، وأن نقوم بأفضل ما في وسعنا .

دعونا نتصرف بطريقة لن تجعل أي أحد يقول إن جاء آخرون بألا يقوموا بأفضل من ذلك ، وإذا قمنا بذلك سوف ننتقم من الطريقة التي أهان بها هؤلاء الكلاب الجلالة الإلهية ، وسوف يزيدنا هذا فخراً ، وسوف نحصل على الكثير من المكاسب ، لأن تلك المدينة مشهورة جداً ، وتعتبر محطة وقوف لكل التجار من البحر الأحمر ، وهي المفتاح للسيطرة على المضيق .

بمجرد أن نستولي عليها سوف يفقد السلطان كل الآمال في القدرة على إرسال أساطيل إلى الهند ، ولن نحتاج إلى القلق بعد ذلك دوماً من وصول "الروميليوتس" ، بالإضافة إلى ذلك ، سوف يفقد العرب في الهند أيضاً كل الآمال ، لذلك سيصبحون في النهاية أتباعاً للملك سيدنا .

بتلك الطريقة سوف نتمكن من الراحة ، ونتحرر من ويلات الحرب . عندما تنتهي الحرب الحالية ، سوف نتخلص من العديد من

الجهود المضنية – وبالرغم من أننا في حاجة للقيام بجهد كبير ، يجب علينا أن ننظر للأمر وكأنه شيء مريح ، لأن الراحة ستكون مكافأتنا .

إن نصرنا يعتمد على قتالنا بشكل جيد جداً ، والسيطرة على بوابات الجبال ؛ وإن لم نقم بذلك فلن نحقق شيئاً ، لأن عددنا قليل جداً ، وسوف تأتي أعداد كبيرة لإنقاذ رجال العدو ، وإذا استعاد العدو سيطرته على البوابات سوف تصل لهم كل تلك الإمدادات ، وسوف يجبروننا على العودة لسفننا .

على الجانب الآخر إذا استولينا عليها ، سوف نقاوم أي هجوم بكل سهولة ، مهما كان قوياً ، لهذا السبب ، سيدي ، أتوسل لك بألا تنسى ما قلته لك ، وأن تتذكر أنك تقاتل من أجل ربنا" ، وقد ردوا جميعاً بأنهم سوف يقومون بذلك ، وأنهم يأملون أن يتموا مهمتهم بمساعدة الرب ، لأنهم يثقون في رحمته وأنهم متأكدين بأنه سيدبر الأمور لصالحهم .

قد تم الاتفاق على أن يهاجموا المدينة من البحر ، حيث تمتد الأسوار بشكل واسع ، وسيتم تقسيم الضباط إلى مجموعتين ، تتكون إحداها من "مانويل دي لاسيردا" ، و"أيريس دا سيلفا" ، و"دوم جواو دي ليما" ، و"دوم جواو دي إيكا" ، و"جارسيا دي سوسا" ، و"جورجي دا سيلفيرا" ، و"دوراتي دي ميلو" ، و"أنطونيو رابوسو" ، و"جواو جومز شييرا دينهيرو" : وسيتم قيادة تلك المجموعة

من قبل "جواو فيدالجو" "Joao Fidalgo" ، وسوف يتبعون الحاكم ، ويصعدون على أسوار المدينة في المكان الذي ذكرته .

قد كان الضباط الباقون هم : "سيماو دي أندراد" ، و"ديوجو فيرنانديس دي بيجا" ، و"لوبو فاز دي سامبايو" ، و"ريو جالفاو" ، و"بيرو دا فونسيكا دي كراستو" ، و"سيماو فيلهو" و"فيرناو جومز دي ليموس" ؛ وسيتم قيادة هؤلاء من قبل "دوم جارسيا" .

بمجرد أن يبدأ الحاكم وسريته في الصعود على الأسوار ، عليه مهاجمة بوابات المدينة ، وقد كانت البوابات مواجهة للبحر ، وشكلت جزءاً من السور الممتد الذي سيقوم الحاكم بمهاجمته ، وبمجرد أن يصعدوا السور يجب على الفور أن يحاولوا مرة أخرى أن يستعيدوا السيطرة على البوابة المواجهة للجبال .

لم يبد من الحكمة لرجالنا الصعود على الأسوار في أي جزء آخر من المدينة ، وكذلك في الموقع المتفق عليه ، حيث إن عدد رجالنا كان قليلاً كما قلت ، ولم يكن لديهم ما يكفي من السلالم ، وإذا هاجموا أجزاء مختلفة من الأسوار فلن يتمكنوا من حشد عدد كبير كافي من الرجال .

هو ما يكفي إذا أراد رجالنا النزول من الأسوار إلى داخل المدينة بدون خوف ، لذلك ، يجب أن يتركز الهجوم في موقع واحد ، وبعد أن تم الاتفاق على ذلك ، قرروا جميعهم الذهاب إلى الصلاة للاعتراف ، خلال تلك الليلة ، أو الليلة السابقة .

تم الإمساك بحبشي مسيحي قد هرب من المدينة ، من قبل العرب عندما ذهب إلى الحج إلى القدس ، وبعد ذلك تم إحضاره إلى عدن ، وقد علم الحاكم منه بأن "ماثيو" ، سفير الراهب "جون" ، كان رجلاً تثق فيه أم الراهب بشكل كبير ، وقد قامت بإرساله كسفير للعديد من المناطق : لم يكن جاسوس السلطان ، كما زعم رجالنا في الهند .

قد أعطاه الهارب الحبشي معلومات كافية حول الراهب وملكياته ؛ إلا أنه عندما تم الإمساك به كأسير ، لم يستطع إخباره بأي شيء عن خطط العدو ، ولكنه قال بأنه إن قاتل رجالنا جيداً سوف يستولون على المدينة بالتأكيد . كانت تلك حقيقة بالفعل ، لأن "ميرا ميرجينا" لم يثق في رجاله ، وهو ما قد تم اكتشافه لاحقاً .

هو يثق بشكل كبير في الأجانب ، وقد أخبرهم بالكثير ، وحثهم على القتال ، وذكّرهم بأن حربهم لن تستمر طويلاً في تلك المناطق إذا استولى رجالنا على المدينة ؛ وسوف يتولون ويدمرون قريباً جداً بيت مكة ، والذي قد يسبب إهانة كبيرة لشريعتهم .

قد وافقوا على أنه يجب أن يدافعوا عن الجبل بكل قوتهم ، حيث يمكنهم طلب اللجوء هنا إذا نجح رجالنا في دخول المدينة ، ويمكنهم الانتظار هنا إلى أن تصل المساعدة ، وقد نصبوا جداراً شائكاً عند مداخل الشوارع التي تؤدي إلى الجبال ، ووضعوا عليها مدفعياتهم ، وقد أغلقوا أيضاً البوابة المقابلة للبحر ، باستخدام دفة

قيادة السفن ، لأنهم كانوا في عجلة من أمرهم ، ولم يجدوا أفضل من ذلك ، ومن ثم انتظروا ليروا ما يمكن لرجالنا القيام به .

الفصل السادس بعد المائة :

في اليوم التالي ، عشية عيد الصفح ، وقبل أن تشرق الشمس ، صعد الحاكم وكل ضباطه ورجال الأسطول على متن البوارج . وبمجرد أن حل الليل تقدموا إلى المدينة ، وقد كان بصحبة الحاكم قسيس يرتدي الرداء الكهنوتي ويمسك بصليب فضي أمامه ، وقد تحدث بصوت مرتفع عن كيفية أن تلك الصورة تمثل الرب الحقيقي ، الذي تم صلبه كي يمكنهم التمتع ببهجة الجنة .

لذلك يجب أن يقوموا من أجله بقصارى جهدهم لتمجيد دينه المقدس ، وقد قال أشياء أخرى جعلت الجميع يشعرون بتقوى كبيرة ، وبذلك وصلوا إلى الشاطئ ، حيث نزلوا إلى اليابسة بدون أي مشاكل ، لأن كل رجال العدو كانوا داخل المدينة ، ويمكن رؤية البعض منهم أعلى الأسوار ، وكان عددهم قليلاً جداً ولا يكفي لمقاومة رجالنا .

مع ذلك فقد تكبد رجالنا أضراراً كثيرة بسبب الضباط الذين قد تم تعيينهم لتسلق الأسوار ؛ تمنوا القيام بذلك قبل رجالنا ، إما لأنهم أرادوا أن يحصلوا على فخر أول من يدخل المدينة ، أو لأنهم أرادوا أن يثبتوا أنهم هم فرسان عظام - بالرغم من أنه كان من الأفضل لهم أن يثبتوا أنهم كانوا ضباطاً عظاماً .

قـد كـان أول من وضع سلمه على السور هو "دوم جواو دي ليما" ، وقد صعد على الفور مع أحد خادميه ، الذي كان يسمى "ديوجو ايستاكو" "Diogo Estaco" ، الذي جاء من "إيفورا" ، وقد كان حامل الراية الخاصة به ، وعندما رأى العرب الواقفون على السور كلاهما يصعدان جاءوا للدفاع عن المكان .

بدأوا في رشق العديد من السهام ورمي العديد من الحجارة عليهم – وقد كانت النتيجة قتل "ديوجو ايسكاتو" ، و"دوم جواو دي ليما" ، الذي جرح ست مرات ، وكذلك ضُرب بالعديد من الحجارة ، وبعد ذلك لم يرغب أحد في اللحاق به على السور .

عندما رأى أن أحداً لم يصعد وأنه لم يستطع مقاومة خصومه وحده ، فقد نزل مرة أخرى ، أثناء ذلك صعد له "دوم جارسيا دي نورونها" ، وقال إنه يرغب في صعود الأسوار ، ولكن "دوم جواو دي ليما" منعه من القيام بذلك ، وأخبره أنه لن يكون من الجيد له أن يصعد ، لأنه إن حدثت له أي مصيبة ستكون تلك خسارة كبيرة من جانبنا .

لهذا السبب ظل "دوم جارسيا" في الأسفل ، بينما صعد البقية ، خلال ذلك الوقت كان "جورجي دا سيلفيرا" قد صعد بالفعل على السور ، وقد كان ثاني شخص يصعد بعد "دوم جواو" ، وتبعه خادم له ، ولم يلتق بأي مقاومين لأن العرب كانوا بعيدين عن المكان الذي صعد منه ، وقام بوضع رايته على الأسوار ، وصرخ "النصر ، النصر" .

عندما رأى رجالنا ، الذين كانوا قد وضعوا سلالمهم بالفعل على الأسوار ، عندما رأوا الراية في الأعلى انتابتهم الحماسة وبدأوا في الصعود بسرعة ، وقد صعد "جواو دي إيكا" على الفور ، ومعه "جاسبار جواو" "Gaspar Joao" ورجل يسمى "جورج دا هورتا" "George da Orta" ، وعقبه ثمانية من الجنود ، ولم يكن هناك أي مقاومين أيضاً ، لأنهم صعدوا على نفس الموقع الذي صعد منه "جورجي دا سيلفيرا" .

بالرغم من أن العرب الذين كانوا واقفين على الأسوار قليلي العدد لم يهربوا عندما رأوا رجالنا ، بل قاوموا بعزم شديد ، خاصة في المكان الذي صعد له "مانويل دي لاسيردا" و"جواو جومز دينهيرو" ، وقد جرح بعض رجالنا في هذا الاشتباك ، وقد كان من بينهم "أنطونيو فيريرا فوجاسا" "Antonio Ferreira Vogasa" الذي تم إلقائهم من على السلم .

حيث إن الضباط كانوا أول من صعدوا ، تم ترك رجالهم في الأسفل بدون أحد يعيطهم الأوامر ، نتيجة لذلك كان هناك اضطراب كبير ، بحيث تجمع الكثيرون حول السلالم محاولين الصعود كلهم مرة واحدة – وبدأت السلالم في التصدع ، وكان سلم "جارسيا دي سوسا" هو أول سلم تكسر .

عندما حدث ذلك كان "دوم جارسيا" بالقرب من القمة ، وبالتالي تشبث في السور وظل معلقاً ، وقد كان الحاكم غاضباً جداً

من طريقة الضباط غير المنظمة في تسلق الأسوار ، وصرخ عليهم بألا يتصرفوا بتلك الطريقة ، ولكن بدون فائدة ، وبسبب الفوضى الكبيرة لم يستطيعوا حتى سماعه .

عندما رأى أن سلم "جارسيا دي سوسا" قد تكسر أرسل له واحداً آخر ، كي يمكنه النزول ، وبعد ذلك لم يتمن "جارسيا دي سوسا" الصعود مرة أخرى على السلالم ، ومشى بمحاذاة السور ، وقد وجد في الجوار فتحة منخفضة على السور .

حيث تم وضع قطعة مدفعية هناك ، وقد قام بإزالة المدفع بمساعدة رجاله وقام بالدخول ، ومن ثم تبعه رجاله ، الذين تزايد عددهم إلى ستين رجلاً ، وقد أخذ موقعه عند الفتحة ، حيث يمكنه الدفاع عن نفسه حتى يمكن للمزيد من رجالنا الدخول .

بتلك الطريقة يمكنهم التقدم إلى المدينة ككتلة واحدة ، والتحرك لمقاتلة العدو ، الذي يبدو من على بعد كثير العدد ، حيث إنهم انسحبوا جميعاً إلى جانب الجبال ، ولم يتجرؤوا بعد على مقاومتنا ، وفي غضون ذلك كان لا يزال رجالنا مستعجلين جداً لصعود السلالم بدون سماع ما كان الحاكم يقوله لهم .

خوفاً من أن تكسر السلالم ، أرسل الحاكم جنود المطرد الذين كانوا يحرسونه كي يستخدموا مطاردهم لدعم السلالم ، من خلال تقاطعها ؛ بالتالي يشكلون مفترق طرق ، ولكن كان ذلك بلا جدوى

لأن السلالم تكسرت ، والمطارد تكسرت ، وقد سحق جنود المطرد أسفل الرجال الذين سقطوا عليهم .

بعضهم تم دهسه ، والبعض الآخر جُرحوا جروحاً طفيفةً ، ولكنهم نهضوا جميعاً على الفور ، وفي تلك الأثناء كسر سلم مجموعة أخرى ، بعد أن تسلق بالفعل أحد ضباطها ، وهو "هنريك هوميم" "Henrique Homim" ، ومعه حوالي مائة آخرين أعلى السور .

قد كان الضابط الآخر لتلك المجموعة ، وهو "جواو فيدالجو" ، أسفل السور ، وقد أمره الحاكم بأن يذهب على الفور إلى الجبل ، من خلال تتبع الأسوار حتى وصل إليه ، وقد حاول تسلقه ، ومن هناك يمكنه النزول إلى المدينة ، حيث ينضم إلى قوات "هنريك هوميم" ، الذي كان في طريقه إلى الجبل أيضاً .

بعد أن أصدر هذا الأمر ، عاد الحاكم إلى الرجال الذين سقطوا من على السلالم ، ووجد أن "جارسيا دي سوسا" قد استولى على فتحة السور ، وقام برفع رايته ، وقد وجد هناك أيضاً الرجال الذين صعدوا أعلى السور ، قبل أن تتكسر السلالم .

قد كان من بينهم "فيسينتي دي البوكيرك" "Vicente de Albuquerque" ، و"ريو بالها دي سانتاريم" "Rui Balha de Santarim" ، و"جواو غونسالفيس دي كاستيلو برانكو" "Joao Goncalves de Castello Branco" ، و"مانويل دي

كوستا" "Manuel da Costa" الذي كان الوكيل التجاري للبضائع التي تم الاستيلاء عليها ، و"جواو دي أتايد" "Joao de Ataide" و"دوم ألفارو دي كاسترو" "D . Alvaro de Castro" .

قد كان الجنود المشتركون يتدافعون للدخول من الفتحة ، ولكن حيث إنها لم تسعهم جميعاً جعلهم الحاكم يكشفون فتحة مدفعيات أخرى ، والتي كانت قريبة أيضاً من الأرض القريبة من هناك ، وقد ظهر العديد من العرب عند تلك الفتحة الثانية ، والتي تطل على ميدان عام كبير من المدينة .

على الفور أعطى الحاكم أوامر إلى حاملي البندقيات وحاملي القوس والنشابة بالإطلاق ، وقد أجبروا العرب على الانسحاب إلى أحد الجوانب ، لذلك بدأ رجالنا في الدخول ، وقد كان أول من قام بذلك القس ومعه صليبه ، والذي طلب من الجميع الدخول ، من أجل الرب ، وقد قاموا بذلك ، وقد كانوا : "إيريس دا سيلفا" ، و"أنطونيو رابوسو" ، و"دوراتي دي ميلو" وأربعين آخرين .

في تلك الأثناء وصل "دوم جارسيا" بعد أن فشل في اقتحام البوابات ، كما طُلب منه ذلك ؛ إذ إنه عند وصوله إليها وجدها مغلقة بإحكام ، بالرغم من أنها لم تكن قوية كفاية ، حيث كان بها صدعان ، يمكن من خلالهما رؤية ما يوجد خلفهما ، لم يكن هناك العديد من الرجال ، ولا حتى في البرجين اللذين كان يتم استخدامهما لحراسة البوابات من كلا الجانبين .

قد استدعى ضباط "دوم جارسيا" بعد ذلك الكبش الناطح الذي تم إحضاره لكسر البوابات ، ولكن رجالنا بذلوا القليل من الجهد قي مهمتهم ، بحيث إنهم بينما كانوا يصدمون البوابات قام العدو بتعزيزها بالصخور والطمي من الداخل ، ولم يتمكن رجالنا من إيقافهم .

إلى جانب ذلك ، ألقى العرب العديد من الصخور الكبيرة من أعلى الأسوار والأبراج ، وقد أصابت "سيماو دي أندراد" ، وفي غضون ذلك أنهوا تعزيز البوابات ، وعندما رأى "دوم جارسيا" ذلك رأى أن البقاء هناك أكثر من ذلك يعتبر مضيعة للوقت ، ومن أجل تجنب أي خسائر في الأرواح ذهب للانضمام للحاكم .

قد كان الحاكم يطلب من الضباط والرجال ، وكل من تجمع هناك ، بأن يدخلوا من خلال فتحة المدفعيات التي قام بكشفها ، وقد ساعد "دوم جارسيا" أيضاً الحاكم في محاولة إدخالهم ، ولكن لم يقبل أي من الضباط الدخول .

قد كان سبب ذلك أن "دوم جارسيا" قد ظل في الخارج ، حيث إنه كان قائدهم قبل كل شيء ، بينما كانوا هم مجرد ضباط تابعين ، وقد جعهلم ذلك الأمر غاضبين ولم يريدوا الدخول ، وإذا دخل "دوم جارسيا" ، سوف يدخلوا هم أيضاً .

السبب الآخر الذي أبقاهم في الخارج هو أنهم كانوا يغارون من

"جارسيا دي سوسا" ، الذي ذهب أولاً ؛ إذ إنه إذا تم الاستيلاء على المدينة في نهاية اليوم ، فسوف يجني كل المجد وحده ، وحيث إنهم ظلوا في الخارج ، فإن رجالهم لم يريدوا الدخول .

إذا كانوا قد دخلوا ، كان سيتم الاستيلاء على المدينة ، لأنه يبدو أن العرب لم يتجرؤوا على القيام بأي خطوة ، وكأنهم كانوا مشلولين ، وقد كان ذلك واضحاً ، لأنه عندما دخل كل من أنطونيو "رابوسو" ، و"أيريس دا سيلفا" وغيرهم ممن قد أشرت إليهم ، لم يتجرأ العرب على مهاجمتهم ، بالرغم من أنه كان لا يزال القليل منهم هناك .

قد انتظر "أيريس دا سيلفا" قدوم المزيد من الرجال ، كي ينضموا ويهجموا على العرب ، الذين كانوا يبدون في أعداد كبيرة عند مداخل الشوارع ، وقد انتظر في الميدان العام حيث تؤدي الفتحات ، وعندما رأى أن أحداً لم يدخل وينضم إليه ، طلب من "جارسيا دي سوسا" الدخول كي يمكنهم مهاجمة العرب .

لكن "جارسيا دي سوسا" طلب منه الانضمام إليه بدلاً من ذلك ، كي يكونوا في موقع آمن حتى يدخل المزيد من الرجال ، وهذا هو ما قام به "كونت مونسانتو" عندما استولى على "أرزيلا" ، وسوف يكون ذلك أفضل من مهاجمة العرب بعدد قليل من الرجال ، لأنه خلال وقت قصير سوف يتمكنون من الهجوم بأعداد كبيرة .

بتلك الطريقة سوف يضمنون النصر ، إلا أن "أيريس دا سيلفا" لم ينضم له ، وهو سبب آخر أيضاً حول عدم الاستيلاء على المدينة ، وقد استمر النقاش ؛ حيث يريد "دوم جارسيا" إدخال الرجال ، بينما يرفض الضباط ذلك ، في تلك الأثناء قام الرجل الذي كان يحمل راية "مانويل دي لاسيردا" (الذي لم أتمكن من معرفة اسمه) قام بغرس الرمح في الرمال .

سحب سيفه ، ووضع درعه أمامه ، وقال للرجال بأن يفسحوا الطريق لأنه أراد الدخول ، وقد دخل ، وتبعه "جواو دي ميرا" "Joao de Mira" والراهب "كريستاوفو كارناتشي" "Christofao Carnachi" ، وهو طبيب فارس من جماعة "سانت جون" من القدس ، وخلف هؤلاء الاثنين "بالتاسار مونتييرو دو بورتو" "Balthazar Montero do Porto" ، و"هنريك فيجويرا" "Henrique Figueira" ابن أحد القضاة في "لشبونه" ، و"جواو دي كامينها" "Joao de Caminha" ، وهو مراقب الآن في خدمة "انفانتا إيزابيل" "Infanta Isabel" .

قد كان هؤلاء الرجال تابعين لسرية "مانويل دي لاسيردا" ، ولكن الأخير لم يرد الدخول معهم ، ولا أي أحد آخر ، ظناً منهم أن الآخرين سوف يتبعونهم ، قام هؤلاء الرجال الذين دخلوا بإطلاق صرخة الحرب وهاجموا العرب ، كما قام أيضاً "أيريس دا سيلفا"

ورجاله – في تلك الأثناء توقف حاملو البندقيات وحاملو القوس والنشاب بإيقاف الإطلاق .

كيلا يقتلوهم ، وقد ظن العرب أيضاً أن المزيد من رجالنا سوف يأتون من الخلف ، وظلوا في مكانهم ، بالرغم من أن أعدادهم كانت أكثر بكثير منا ، ومن مكانهم قاموا بالدفاع عن أنفسهم جيداً ، ولكن رجالنا قتلوا البعض منهم ، عدا الكثيرين الذين قُتلوا بالفعل على يد حاملي البنادق وحاملي القوس والنشابة .

في غضون ذلك ، ركض "هنريك هوميم" الذي ظل خارج الأسوار مع رجاله ، ركض عبر الأسوار حتى وصل إلى الجبل– الذي تسلقه بعد ذلك ، كي ينزل إلى المدينة ، ولكن العرب لم يسمحوا لهم للقيام بذلك ، وقاوموا بشدة ، وأطلقوا السهام وألقوا حجر الرحى من أعلى الجبل ، وقد قتلوا بعض رجالنا وأجبروهم على الهرب .

قد كان تراجعهم أسفل الجبل غير منظم بالمرة ، بحيث ركضوا بين رجال "جواو فيدالجو" ، الذين كانوا يصعدون ، وقد تعثروا فوق بعضهم بعضاً ، وكانت هناك فوضى كبيرة ، بحيث إن الحاكم (الذي جاءهم) لم يكن قادراً على إرجاعهم ، وعندما رأى "ميرا ميرجينا" بأن هجوم رجالنا على الجبل قد فشل .

إن هؤلاء الذين ذكرتهم فقط هم من دخلوا للمدينة ، فقد فكر أن

من كانوا داخل الأسوار كانوا ضائعين ، وقام بامتطاء فرسه ، وتسلّح بتنورة من الدروع وخوذة ، واستدعى رجاله للنزول على رجالنا ، وعندما وصل إلى الأسوار في المكان الذي صعد منه "جورجي دا سيلفيرا" .

قام أحد العرب بأخذ الراية التي غرزها وقام بإنزالها . وعندما رأى "جورجي دا سيلفيرا" ذلك ألقى على الفور بنفسه من على الأسوار ، فقد كان فارساً شجاعاً على غير العادة ، فقد سقط بين رجال العدو في محاولة استعادة رايته ، وبدأ في توجيه الضربات يميناً ويساراً ، ولكنه لم يبتعد لأن "ميرا ميرجينا" "Mirna Merjina" جاء على الفور وأوقعه على الأرض بفرسه ، وقد قُتل هناك .

كاد "دوم جواو دي إيكا" أن يشاركه مصيره ، حيث كان واقفاً عند فتحة "جارسيا دي سوسا" ، فقد قفز إلى الأرض للذهاب وإنقاذ "جورجي دا سيلفييرا" ، ولكن عندما رأى أنه قد قُتل عاد بمساعدة رجل مدفعية يسمى "غيلز" "Gills" ، الذي ساعده كي يمكنه التسلق مرة أخرى .

من هنا قام هو والآخرون بالدفاع عن أنفسهم من العرب ، الذين جاءوا لقتالهم ، وقد تقدم "ميرا ميرجينا" وهاجم "أيريس دا سيلفا" ورجاله ، وقد كانوا يقاتلون بعض العرب ، وقد قاتلوا رجالنا بضراوة لدرجة أنهم أجبروهم على الانسحاب إلى الفتحة التي أخذ "جارسيا دي سوسا" موقعه عندها .

خلال هذا الانسحاب جُرح العديد من رجالنا ، خاصة "أيريس دي سيلفا" ، الذي يُقال إنه قد تُرك فاقداً للوعي تقريباً ، و"جواو دي ميرا" ، الذي قُطعت رجله عن جسده تقريباً ، وقد أُصيب "جواو دي كامينها" بسهم في أحد أصابع يده اليمنى ، والذي فقده بعد ذلك .

قد كان رجالنا في حالة سيئة ، بحيث إنه إن ضغط عليهم العرب سوف يقتلونهم جميعاً إلا أنهم لم يتجرؤوا على الاقتراب من فتحة المدفعيات ، لأن حاملي البنادق وحاملي القوس والنشابة كانوا من الممكن أن يطلقوا عليهم من هناك .

قد كان "جارسيا دي سوسا" عند الفتحة ولم يتمكن من إنقاذ مَنْ قاموا بالانسحاب ، لأنه هو ورجاله كانوا مشغولين بالدفاع عن أنفسهم من العرب ، وقد كان العرب يطلقون العديد من السهام ويرمون الصخور عليهم ، في حين أنه ورجاله لم يتمكنوا من النيل منهم ، حيث إنه لم يكن لديهم أي رماح - وقد كان السبب في ذلك أنهم قد جاؤوا بهدف تسلق الأسوار .

بالإضافة إلى ذلك كان العرب فائقي العدد ، وكانت المساحة حول الفتحة صغيرة جداً لدرجة أنهم لم يتمكنوا من التحرك بسهولة ، ونتيجة لذلك لم يتمكنوا من مساعدة أنفسهم أو من انسحبوا ، وقد أنقذهم ربنا من مجزرة محققة ، بصورة معجزة .

عندما رأى العرب أنه لا يمكنهم الاقتراب كفاية من رجالنا ، بسبب حاملي البنادق التابعين لنا ، قرروا محاولة إحراقهم ، وقد حصلوا على حزمة من القش التي وضعوها على رماحهم ، وقد كانوا يعنون بتلك الطريقة حرق رجالنا بدون تعريض أنفسهم لبنادقنا .

قد لجوا لتلك الحيلة لأنه لم يكن لديهم أي أداة أخرى للحرق ، إلا أن هذا هو ما أنقذ رجالنا ، لأنه عندما أشعل العرب النيران في القش كان هناك الكثير من الدخان ، بحيث لم يتمكن أي من الجانبين رؤية الآخر ، وعندما رأى رجالنا كم أن ربنا يساعدهم تراجعوا بسرعة .

قاموا بحمل من كانوا قد جرحوا بشدة على ظهورهم أو قاموا بسحبهم ، وبتلك الطريقة قاموا بالهرب ، ويبدو أن ربنا هو من كان السبب في أن العرب قد حاولوا إحراق رجالنا بتلك الطريقة ، لأنهم إن لم يقوموا بذلك لم يكن قد تبقى أي منهم على قيد الحياة .

الفصل السابع بعد المائة :

إن حالة الفوضى الشديدة التي كنا بها جعلت من المستحيل الاستيلاء على تلك المدينة ، وقد كان ذلك عقاباً أيضاً على ذنوبنا ، وبعد انسحابنا كان العرب مبتهجين جداً ، حيث إنهم اجتمعوا كلهم على الفور أمام الأسوار والفتحة ، وقاموا بالهجوم بضراوة بحيث تساقطت الصخور والسهام على رجالنا كالمطر .

قد رأى العرب أن رجالنا لا يمكنهم رد الضربات بسهولة بسبب الأسباب التي ذكرتها ، وكانوا قد اقتربوا من الأسوار بدون خوف ، وقد سأل "جارسيا دي سوسا" الحاكم (الذي رأى جيداً أنه في مشكلة كبيرة) عما يجب عليه القيام به ، وقد كان فارساً شجاعاً ، لذلك لم يرد القيام بأي شيء يجعله ينادى عليه كجبان .

بالرغم من أنه كان في خطر كبير ، لذلك لم يرد أن يقفز على الأرض ، كما قام البعض ، بعد أن تم إخبارهم القيام بذلك من قبل من كانوا في الخارج ، وقد كان الحاكم غاضباً جداً لأنه قد خسر المدينة بتلك الطريقة – فقد تم خسارتها بسبب تصرفنا غير المنظم .

بحيث لم يقم بالرد عليه ؛ وقد طلب "دوم جارسيا" بعض الحبال كي يمكنه أن يقوم بربط العديد من الرماح ببعضها ، وبالتالي سيقوم بالنزول إلى الأرض ، عندما رأى "جارسيا دي سوسا" أن الحاكم لم يرد عليه ، رأى أنه لا يوجد أمل له .

كان يأمل في أن يموت كفارس وليس كرجل بائس ، وألقى بنفسه من الفتحة والتي كانت مرتفعة قليلاً ، وأخذ معه "جاسبار كاو" "Gaspar Cao" ، و"ديوجو ايستاكو" من "إيفورا" ، (الذي كان عم "ديوجو ايستاكو" الآخر) الذي كان يحمل راية "دوم جواو دي ليما" ، وقد دفعوا أنفسهم جميعاً بغضب شديد ، واختطفوا بعض رماح العدو من أيديهم .

بتلك الطريقة تصرفوا كدرع لمن كانوا في الخلف ، مانعين العدو من الوصول لهم ، وقد جرح "ديوغو ايستاكو" بصخره كادت تكسر أنفه ، وقد كان ذلك مؤلماً جداً لدرجة أنه قد أُغمى عليه ، وقد اخترقت سهم كتف "جاسبار كاو" ، وكانت دروعهم مغطاة بالسهام والتي استقرت بها .

خلال هذا الوقت كان لايزال "جواو دي إيكا" على السور ، يرفض القفز إلى الأسفل كالآخرين ، بالرغم من ذلك فقد حثوه على القيام بذلك حتى أنهوا تجهيز الحبال ، ولكنه رفض وأخبر "مانويل دي لاسيردا" ، الذي كان يلح عليه للنزول ، أنه لن يقوم بشيء لم يقم به أبوه أو أجداده .

إن كان يريد إنقاذه عليه وضع سلم بجانب السور ، لأنه سينزل فقط بالطريقة التي صعد بها ، وقتها تم ربط أحد السلالم المكسورة بسرعة ونزل عليه ، وبعد ذلك أعطى الرجال عند الفتحة حبلاً مربوطاً حول رمحين ، بحيث يصبح مرتفعاً كفاية ويصل إلى الفتحة ، وبعد أن أمسكوا بالحبل ربطوه بفتحات السور ونزلوا إلى الأسفل .

في تلك الأثناء كان الحاكم يتراجع بالفعل إلى الأسطول ، كما كان "دوم جارسيا" ورجاله ، وقد كان الأمر غير منظم تماماً ، لأن "ميرا ميرجينا" قد وضع قطعتين من المدفعية في المكان الذي حاول منه رجالنا دخول المدينة ، وقد سبب ذلك خسارة كبير لقواتنا ؛

إلى جانب ذلك ، كان المد قد بدأ في الارتفاع بحيث غطت المياه الشاطئ أمام المدينة .

عندما رأى الضباط الآخرون بأن الحاكم و"دوم جارسيا" كانوا سيصعدون على متن السفن ، انسحبوا بسرعة كبيرة ، وقد تم ترك الجنود المشتركين في الخلف تقريباً ؛ وإذا كان العرب قد خرجوا من المدينة في تلك اللحظة ، كان رجالنا سيصبحون في خطر كبير .

قد رأى "مانويل دي لاسيردا" هذا ، ولم يرغب في الصعود على متن السفينة - وظل على الشاطئ حتى صعدوا جميعاً ، وقد أمر حتى بأن يتم إحضار أجزاء السلالم المكسرة إلى البوارج ، كيلا يمكنهم أن يشهدوا مدى الفوضى التي وصلنا لها .

في تلك الأثناء وصل "جاسبار كاو" إلى فتحة المدفعيات ، بعد أن نزل الجميع بالفعل ؛ وقد قام بذلك بعد موت "جارسيا دي سوسا" ، وقد كان منشغلاً جداً في القتال لدرجة أنه لم يلاحظ أن الآخرين كانوا يغادرون ، وعندما كان وحيداً ذهب إلى فتحات السور ، بحيث لم توجد أي حبال متبقية .

قد صرخ عليه كل من "مانويل دي لاسيردا" ، و"أنطونيو فيرييرا" و"فوغاسو" "Vogaso" وغيرهم الذين كانوا معاً ، صرخوا عليه كي ينضم لهم ، ولكنه لم يتمكن من سماعهم لأن العرب كانوا قريبين جداً منه ، وكانت هناك ضوضاء كبيرة داخل وخارج المدينة .

عندما وجد أنه لا توجد حبال ، قام بوضع علامة الصليب وقام بالقفز - وقد كسرت إحدى قدميه ، وحيث إنه كان مجروحاً من قبل فقد خسر الكثير من الدماء ، نتيجة لذلك توفي لاحقاً في جزيرة "كمران" ، وبعد أن قفز لحقه شخص أخر ، وهو رجل مدفعية من سفينة "جارسيا دي سوسا" ، الذي قام بحمل قوس ونشاب تحت ذراعه ولم يصب بأذى .

بعد أن صعدوا جميعهم على متن السفن ، وهو ما قد تم بعد الظهر هناك ، قام على الفور باستدعاء الحاكم لاجتماع المجلس ، من أجل مناقشة ما إذا كان عليهم محاولة الاستيلاء على المعقل الموجود عند الخلد الممتد من جزيرة صيرة إلى المدينة ، حيث كان العدو يطلق النيران على أسطولنا ، الذي كان قريباً جداً منه ، خاصة سفينة "مانويل دي لاسيردا" .

بينما كان الحاكم والضباط يناقشون أفضل طريقة للإمساك بها ، بدا ربان سفينة "مانويل دي لاسيردا" ، وهو رجل يسمى "ألفارو ماريرو" "Alvaro Mareiro" ، الذي لم يكن على دراية باجتماع المجلس ، بدأ الغضب من الطريقة التي يتم إطلاق النيران فيها على سفنه ، وقال إنه لا يتحمل أن يتم إطلاق النيران عليه من قبل رجل أسود (كان يشير إلى رجل مدفعية عربي من العدو) .

قام بجمع ربابنة السفن ، وقفز إلى مركب شراعي صغير معهم ، وأخذوا معهم رماحهم وسيوفهم وقاموا بالتجديف باتجاه المعقل ،

وحيث إن هذا الموقع كان مؤهلاً فقط برجل مدفعية واحد ، فقد هرب عندما رأى رجالنا ووقع المعقل في أيدي البحارة ، الذين وجدوا به سبعاً وعشرين قطعة مدفعية حديدية - وقد كان من بينها قطع يمكنها إطلاق كرات صخرية بحجم التي يتم إطلاقها من خلال مدافعنا "جمالنا" .

عندما أنهى الحاكم اجتماع المجلس ، الذي قرر خلاله الاستيلاء على المعقل ، وجد أنه قد تم الاستيلاء عليه بالفعل ، وكان مسرور جداً ؛ وقد أشاد واحترم "ألفارو ماريرو" والذين ذهبوا معه ، وأمر بإحضار المدافع إلى السفن .

بعد الاستيلاء على هذا المعقل ، تحمس الرجال ، الذين صدموا من فشلنا في الاستيلاء على المدينة ، وبدأوا يقولون إن عليهم ضربها بالمدفعيات ، لهذا السبب يجب أخذ المدفعيات إلى الشاطئ من أجل تدمير جزء من الأسوار ، ولكن الحاكم لم يرد ذلك ، وقال إن ذلك سوف يسبب تأخيراً ولا يوجد لديهم ما يكفي من المياه .

التي يمكن الحصول عليها من جزيرة كمراك ؛ تقع تلك الجزيرة خلف المدخل المؤدي إلى المضيق ، ويمكنهم الذهاب هناك فقط من خلال الرياح الموسمية الشرقية ، والتي كادت على الانتهاء ، لذلك إن ذهبوا ، يجب عليهم إمضاء الشتاء هناك ، مما قد يكون له عواقب وخيمة ، لأنه سيتوجب عليهم الانتظار لشهرين قبل أن يعودوا ، لأن تلك هي الفترة التي يستمر خلالها الشتاء في الهند .

نتيجة لذلك ، لم يكن هناك من طريقة لطلب اللجوء في أي من موانئنا ، وإن ظلوا في "كمران" ، قد يرسل العدو قوة كبيرة ضدهم ، ولن يتمكنوا من مقاومتها ، لذلك لم يكن من الممكن المخاطرة بأي تأخير ، ولكن الحقيقة كانت أن الحاكم أراد الذهاب إلى السويس ليرى أسطول السلطان ويقاتله- وإن تبين أنه من المستحيل القيام بذلك .

قد كان ينوي الذهاب إلى مصوع ، لكي يكتشف حقيقة الراهب "جون" ، وكي يبني قلعة هناك إن لم يكن قادراً على بنائها في المضيق - وإن كان الأمر كذلك فلسوف يذهب ليمضي الشتاء في هرمز ، ويحاول الاستيلاء عليها ، ولم يفصح عن أفكاره لأي أحد آخر ، إلا أنه قد حاول سحب الأسطول من الميناء ، وقد استغرق منه يومين القيام بذلك .

خلال هذا الوقت أعطى أوامره بأن يتم تفريغ وإحراق سفن التجار التي كانت راسية في الميناء ، وقد أعطى أيضاً أوامره بأن يتم استكشاف وفحص ميناء (Ugufu) "أجوفو" ، وقد تم ذلك من قبل "سيماو دي أندراد" و"بيرو دا فونسيكا دي كراستو" و"سيماو فيلهو" ، الذين ذهبوا في بوارجهم ، متتبعين الخور حتى رأوا أعمدة الجسور التي ذكرتها من قبل .

الفصل الثامن بعد المائة :

في ثاني أو آخر أيام الفصح ، وبعد مغادرة ميناء عدن ، أبحر

الحاكم إلى مصب المضيق (الذي يقع على بعد ثلاثين فرسخاً من عدن) ، وحيث إنه أخفى نواياه لم يقم باستشارة أي من الربانة أو الضباط ، وقد أثار ذلك استياءهم كثيراً ، وقد اجتمع الربابنة وذهبوا ليطلبوا منه ألا يبحر إلى المضيق ، لأن الطريقة الوحيدة للإبحار هناك هو عبر الرياح الشرقية .

سوف تستمر تلك الرياح الموسمية فقط حتى نهاية إبريل ، وهو موعد قريب جداً ، بالتالي سيكون من المستحيل الرجوع إلى الهند بسبب حلول الشتاء ، وسوف يضلون بسبب ذلك ؛ وإذا توجب عليهم إمضاء الشتاء في المضيق يمكنهم فقط القيام بذلك في جزيرة "كمران" - وبالرغم من أنه يمكنهم الحصول على المياه من هناك .

إن الجزيرة لا يوجد بها أية مؤن ، بالتالي سوف يموت الرجال من الجوع ، لذلك قالوا للحاكم بأن يفكر فيما كان ينوي فعله ، وإلا سوف يخسرون ، وقد قام الضباط بالطلب ذاته ، ولكنه رد بأنه مدرك لما يقوم به ، لأنه كان يطيع أوامر الملك ، وبالرغم من أنهم كانوا يعرفون أنهم محقون ، وكانوا متأكدين إلى حد كبير أنهم سوف يموتون .

إن ولاءهم البرتغالي جعلهم يذهبون عن طيب خاطر ، وتبعوا الرجل الذي كانوا يعرفون أنه يأخذهم إلى المكان الذي ستكون فيه أرواحهم في خطر ، وقد تقدم الحاكم في رحلته ، والتي استغرقت يومين ، بسبب سوء حالة الطقس ؛ وقد وجد أن الساحل بأكمله

كان نظيفاً وعميقاً كفاية له ليتمكن من إلقاء المرساة في أي مكان بامتداد الشاطئ ، وصولاً إلى مدخل المضيق ، الذي يطلق عليه العرب باب المندب .

إن البحر هنا ضيق جداً ، لذلك يطلقون عليها اسم بوابات المضيق ، وإلى الجنوب تقع "إثيوبيا" ، أرض الراهب "جون" ، التي يطلق عليها العرب (عجم) ، والتي تقع في بلاد الحبشة ، تمتد صحراء جزيرة العرب إلى شمالها – وهي تعرف أيضا باسم (بتريا) ، ويطلق عليها العرب "جزيرة العرب" .

عند المصب أو "بوابات" المضيق ، يوجد جزيرة يطلق عليها العرب (ميهوم) ، تقع على المصب عند الجانب العربي ، وهي تتكون من الصخور تماماً أو من الحجارة الصغيرة المفككة ، ولا يوجد بها مياه ، ولا يمكن لأحد إيجاد أي شجرة أو نبات هناك ، ومن النادر أن تمطر .

يوجد قناة بين تلك الجزيرة والبر الرئيس ، والتي تبحر من خلالها كل سفن العرب إلى ممر البحر الأحمر ، يوجد مقابل تلك الجزيرة توجد جزيرة أخرى ، والتي لا يوجد بها أيضاً مياه ، والتي يسكنها الربابنة الذين يأخذون السفن إلى "فلسطين" : يطلق العرب عليهم العرب (الربابنة) وهم يعرفون البحر جيداً جداً ، بالإضافة إلى مواقع كل الأرصفة ؛ وهم يتقاضون ما يصل إلى ثلاثين كروزادوساً في كل رحلة ، وعند المد المنخفض يمكن لأي شخص أن يسير من "ميهوم" إلى تلك الجزيرة وهو منتعل بدون أن

يبتل ، توجد قناة أخرى بين "ميهوم" وأرض الراهب جون ، على عمق خمس وعشرين أو ثلاثين ذراعاً .

لكن عدد قليل من السفن يبحر من خلالها ، يطلق العرب على هذا البحر بحر القلزم ، والذي يعني في اللغة العربية " البحر المغلق" (وقد يعني أيضاً "الغميق" ، "المكثف") ؛ إلا أن الاسم الذي نطلقه عليه ، وهو البحر الأحمر ، لمناسب أكثر ، لأنه يمكن الرؤية خلاله للعديد من بقع المياه الحمراء كالدم .

لا يمكنني إيجاد السبب وراء هذا اللون ، عدا أنه بسبب تحرك المياه خلال المد والجزر ، لأنه يبدو أن هناك بعض الأجزاء أسفل البحر التي تتكون من الرمال الحمراء ، حتى إنه يقال إنه يوجد هناك رمال حمراء أسفل البحر كله ؛ حيث إنه لا يوجد تيارات هناك ، عدا المد والجزر الغامر والمنحسر ، والتي تتدفق منه وإليه .

حيث إنه مقسم (وأنا لست متأكداً كفاية ماذا يعني ذلك ، ولكنه على الأغلب يشير إلى حقيقة أن البحر الأحمر قد سُميِّ كذلك ليتم تفريقه عن المحيط الهندي) وهو ليس عميقاً جداً ، وعندما تكون هناك رياح غربية قوية تتدفق المياه خارجه بسرعة كبيرة ، وعلى العكس ، عندما تكون هناك رياح شرقية قوية تتدفق المياه داخله بشكل أسرع .

يُعتبر كلا النوعين من الرياح اللذان يهبان غالباً عبر البحر

الأحمر ، ومن النادر أن تهبا من البر ، ولا يوجد أبداً أي رياح معاكسة ، أو عواصف رعدية ، أو زوابع من أي نوع ، يمكن الإبحار هناك في كل الأوقات ، ويمكن أن يتم ذلك في سفن صغيرة تسمى "جلفاز" ، يتم دعمها بالمجاديف ، أو الأشرعة ، إذا كان الطقس مناسباً لذلك .

توجد مسافة ثلاثمائة خمسة وخمسين فرسخاً امتداداً من بوابات المضيق حتى مدينة السويس ، التي تقع عند الطرف الآخر ، على طول البحر ، أما العرض فيتسع إلى ثلاثين فرسخاً ، وقد قسمه العرب إلى ثلاثة أقسام للإبحار ، وإلى اثني عشر "جيمازا" والذي يشكل ثلاثة مسارات من عشرة فراسخ .

تضم أربعة "جيماز" ، التي تشكل مساراً واحداً ، يمتد بطول بحر العرب إلى السويس مروراً عبر كل الجزر والحواف الصخرية التي تتواجد في مساره ، ويتراوح عمقه من تسع إلى اثنتي عشرة ذراعاً ، ويمكن لسفننا الإبحار خلاله في النهار ، إذا كانوا حذرين ؛ ولكن ليس خلال المساء .

تمتد أربعة "جيماز" أخرى خلال أراضي الراهب "جون" "إثيوبيا" وحتى ميناء يسمى القصير ، والذي يقع تقريباً في جنوب الطور مباشرةً على الساحل العربي . المسار الآخر من أربعة جيماز يمتد خلال وسط البحر ، الذي يطلقون عليه "البحر الواسع" ويصل عمقه من خمس وعشرين إلى خمس وأربعين ذراعاً ، وعلى أي

حال إن البحر ضيق جداً بحيث إن أي أحد يبحر خلاله يمكنه أن يرى اليابسة على كلا الجانبين .

لا يتم استخدام الربابنة عند الإبحار عبر البحر المفتوح ، ولكن فقط عندما يكون الطقس سيئاً ، لأنهم يمكنهم أن يقودوا أي أحد للأماكن المناسبة في أي من السواحل ، وأن يشيروا إلى المواقع الجيدة لإلقاء المراساة ، يمكنهم أيضاً توجيه أي أحد عبر الجزر والأرصفة .

لكن الربابنة الذين يسافرون من الهند يعتبرون قادرين إلى حد بعيد على إرشاد أي أحد عبر وسط البحر الأحمر ، في منتصف هذا "البحر الواسع" توجد جزيرة تسمى (جبل الطور) ، ويقع خلفها ، مقابل "فلسطين" توجد جزيرة أخرى تسمى "سيبان" ، يوجد في كلاهما المرسى الجيد .

امتداداً من بوابات المضيق حتى جزيرة "كمران" ، تتبع كل الأقاليم على الجانب العربي إلى شيخ عدن ، ويوجد فقط قرى بامتداد هذا الساحل ، ولا توجد موانئ مهمة ، فقط نتوءات خليجية ، تعتبر بعضها كحماية ضد الرياح الغربية ، والبعض الآخر ضد الرياح الشرقية .

حكم شريف القلزم (Gizm) ، وهو سيد عربي عظيم يمتلك حوالي ستمائة فارس ، حكم عبر الأراضي الممتدة من جزيرة "كمران" حتى "فلسطين" تقريباً ، وقد تبعت الأقاليم الواقعة بين

"فلسطين" و"الطوار" ، التي تبعد عن بعضها مسافة مائة وثلاثين فرسخاً ، تبعت لشريف بركات (Porgat) ، الذي كان حاكم مكة ، والذي كان أيضاً سيداً لبعض البدو الذين عاشوا في الصحراء .

من "الطور" إلى "السويس" مسافة ثلاثين فرسخاً ، وهي تابعة للسلطان التركي ، وحيث إن الحاكم قد سافر باتجاه البوابات إلى المضيق ، فقد قام بإرسال سفينة من "شول" ، والتي أحضرها من الهند قبل الأسطول ، وقد كان بها عشرون من البرتغاليين ، وقد كان عليهم إيجاد (ربان) ، والذي كانوا يحتاجونه لرحلتهم .

قد قاموا بذلك ، وقد وصل الحاكم بوابات المضيق مع الأسطول بأكمله قبل يومين من أيام الصفح (أي الأحد بعد الصفح) ، وقد شكر الحاكم الله كثيراً أن جعله أول حاكم يأتي إلى هذا المكان بأسطوله ، لأنه لم يصل هذا المكان أي مسيحيين من قبل .

قد أمر كل الأسطول بإطلاق طلقات تحية "للبوابات" ، وبعد ذلك سمع دوي الأبواق ، وكان هناك الكثير من الصراخ واحتفالات بهيجة ، ورفرف الأسطول كل أعلامه ، ثم أبحر مروراً بالبوابات مع الرياح الشرقية .

الفصل التاسع بعد المائة :

بسبب النقص في المياه ، رغب الحاكم في الذهاب في الحال إلى مصوع حيث اعتزم القيام هناك ببناء قلعة .

أولاً بسبب أيلولة المنطقة إلى "بريستر"

وثانياً لأنه رأى أن بناءها هناك سيعود عليه بفوائد كثيرة على نحو أفضل من بنائها عند المداخل أو في "كمران" .

بعدما حصل على حاجته من القباطنة ، سلك طريق جبل الطور حيث قصد الإبحار على طول ساحل الجانب العربي إذ ليس في مقدور سفننا الإبحار أثناء الليل ؛ وقد أخبر جميع من في الأسطول أنه يترتب عليهم من الآن فصاعداً إلقاء المراسي قبل ساعتين من مغيب الشمس تجنباً لحدوث أية مشكلة .

في نفس اليوم ، كانت سفننا قد ألقت مراسيها وألقت القبض على سفينتين من "بربرة" و"زيلع" ، وهي في طريقها إلى "فلسطين" ، حيث كانت شحنتها عبارة عن إمدادات ومؤن غذائية ، ولقد تم القبض على البعض من طاقميهما بينما هرب الآخرون سباحة .

بعدما تم تفريغ السفينتين من حمولتيهما أشعلت فيهما النار فوراً ، ولقد أصدر الحاكم أوامره ببتر أيدي العرب وجدع أنوفهم وصلم آذانهم ، وبعدها أمر بإلقائهم على شاطئ شيخ إقليم عدن . وكان هذا نهجه وتصرفه إزاء جميع العناصر العربية الذين يقعون في قبضته باستثناء العناصر في "كمران" .

بعد ذلك واصل مسيرة رحلته حيث عمل بنصائح القباطنة ، فأبحر داخل الخليج أمام قرية تسمى "ليفيا" . كان قبطان الحاكم

الذي أراد أن يبدو بأنه أكثر معرفة عن غيره قد نادى عليهم بأن يبحروا في الاتجاه الذي تهب منه الرياح بقدر إمكانهم .

عموماً ، ففي الاتجاه الذي ساروا فيه لم يعثروا على أية أرض داخله في البحر لكي يلقوا مراسي سفنهم أو يجدوا خليجاً صغيراً للتوقف فيه ؛ وأثناء إبحارهم بدت أعماق المياه تبدو ضحلة حتى بلغوا منطقة بلغت الأعماق حوالي أربعة أذرع أو ثلاثة ، وحينئذٍ كانت السفينة قد اصطدمت بشاطئ رملي لم يكن عمق المياه فيه أكثر من أربعة أذرع ونصف ذراع .

عندما رأى الحاكم أنه في خطر حقيقي أوجب على نفسه نذراً للسيدة العذراء وتعهد ببناء منزل في "غوا" يخصص لسيدتنا سيدة الجبال ، وهو اسم سفينته ؛ وبالفعل نفذ وعده ذلك فيما بعد ، بعدها أمر الربان بإلقاء المرساة عند الشاطئ الرملي ، معتقداً أن هناك خطورة إذا ما تقدم إلى الأمام .

عندما رفض الربان هذا الأمر ، كان الحاكم قد هدده بقطع رأسه ، فرد الربان على الحاكم بأن يفعل هذا إذا ما رغب ؛ لأنه إذا ما ألقى المرساة هناك فمن المؤكد أن السفينة سوف تتحطم وتغرق ، بعد ذلك غادرت السفينة ذلك الشاطئ الرملي ، وفي أعماق خمس أو خمس ونصف قامة ألقت بمرساتها هناك .

بالمثل فعل "لوبو فاز دي سامبايو" و"سيماو فيلهو" اللذان كانت

سفنهما تسبق سفينة الحاكم ؛ و"دوم قارسيا" و"سيماو دي أندراد" و"مانويل لاسيردا" و"أيريس دا سيلفا" الذين أبحروا وراءه ، بعد ذلك أتوا جميعاً في مراكبهم وزوارقهم لمساعدته .

أما بقية القباطنة الآخرين الذين يسبقونهم ، فلم يعملوا على إسقاط مراسي سفنهم ، الأمر الذي أزعج الحاكم ، وعليه أمر "لوبو فاز دي سامبايو" بالانتظار في سفينته ، بينما أبحر هو نفسه في أثرهم ، مستخدماً زورقه . كان على الكابتن "لوبو فاز دي سامبايو" أن يقرر كيف السبيل للابتعاد بالسفينة من الشاطئ في الوقت الذي أبحر الحاكم وراء الآخرين .

عندما لحق بهم ، أمرهم بإلقاء مراسي سفنهم ، ومن ثم أتوا جميعاً لقطر سفينة العلم بواسطة مراكبهم ، وبالفعل تم تخليصها بسلام دون أن تتدفق المياه إلى داخلها ، ومن هنا أرسل "دوم قارسيا" وبعض القباطنة في مراكبهم إلى "كمران" التي لم تكن بعيدة عن موقعهم هذا ، وأخبرهم بأن ينزلوا في موانئ الجزر ، وكلفهم بألا يسمحوا للعرب بالخروج منها إذا ما حاولوا ذلك .

عندما وصل رجالنا إلى المنطقة ، وجدوا العرب يحاولون فعلاً الخروج من الجزر والاتجاه إلى البر الرئيس ، خوفاً من الحاكم ، حيث إنهم كانوا يعلمون أنه في طريقه إليهم ، عموماً كان رجالنا قد تمكنوا من الإمساك ببعض الرجال والنساء ، وقادوهم أسرى إلى السجن ، كما قبضوا على إحدى السفن التي تعود للسلطان .

كذلك سفينة أخرى تعود للبعض من التجار ، وتم إيقاف السفينتين ؛ وأيضاً تم القبض على سفينتين أخريين كانتا واقفتين . بعد ذلك وصل الحاكم في "كمران" التي تقع على الساحل العربي ، وكان ميناؤها قبلة للسفن الداخلة والخارجية تمر بينه وبين البر الرئيس ، يتميز ميناء "كمران" بموقع محمي تماماً من هبوب الرياح ، ويمثل ملاذا جيداً للسفن .

أما الأرض هناك فهي رملية سبخة في واحد من أجزائها ، نظراً لمياه البحر ؛ وهناك توجد الأشجار الاستوائية التي تتميز بصغرها واحتوائها على المياه في كل مكان ، وحول هذه الأشجار توجد رقعات من الحشائش الصغيرة التي تماثل حجم الواحدة منها قبضة اليد ، على الرغم من وجود المواشي هناك ، وكأن المنطقة تذخر بالكثير من المراعي والغطاءات الخضراء ؛ ففي الحقيقة توجد قطعان المواشي بكثرة ، وجميعها تبدو سمينة ، كما أن مياه البحر أيضاً تضج بكميات وفيرة من الأسماك .

"كمران" هو المكان الذي ترتاده الكثير من السفن للتزود بالمياه واللحوم ، ولهذا السبب ، فإن أعدادا ضخمة من سفن عدن توجد متوقفة هناك ، وفي العصور السابقة كانت المنطقة مقراً لإقامة الكثيرين من التجار الذين يتاجرون في أقاليم "بريستر" (الحبشة) ، حيث يجلبون منها كميات من الذهب ، والكثير من القمح واللحوم والفواكه ، مثل فواكهنا التي تجلب للجزيرة من بلاد العرب .

أما الحاكم فإنه ما يزال يجد في هذه المنطقة آثاراً تدل على إنها كانت تمثل مركزاً تجارياً هاماً في الماضي ، وعلى سبيل المثل توجد فيها منازل قديمة ومسجد بني من الحجارة ، وقد اكتشف هنا أن الرياح الغربية قد بدأت في الهبوب ، وبالتالي منعته من الإبحار ؛ لكن عندما أخبره الربابنة أن الوقت ما يزال يسمح بهبوب رياح شرقية .

شرع على الفور في التزود بالمياه واللحوم ، وقد استغرق هذا الأمر حوالي أسبوع فقط تمكن خلاله من الاستيلاء على بعض السفن التي تعود للعرب الذين اضطروا للبقاء في الجزيرة حيث صعب عليهم النزوح للبر الرئيس ، ومن بينهم كان هناك زعيم جزر "دولاقا" ومصوع وكذلك الجزيرة التي يصاد فيها اللؤلؤ الصغير أيضاً كان ابن أخيه ضمن الأسرى .

بمجرد عودة الرياح الغربية ، شرع الحاكم في الإبحار ، لكن كانت تلك خطوة ضد إرادة ورغبة كل فرد في الأسطول ، لاعتقاده بأنه سيتمكن من الوصول إلى "فلسطين" ، على العموم كان قراره وإصراره على الإبحار في هذا الوقت قد وجد اعتراضاً عنيفاً وسط الجنود الذين عبروا عن احتجاجهم علانية بأن الرجل يقودهم إلى حتفهم .

لقد كان الحاكم يستمع إليهم جيداً ، لكنه يتظاهر بعدم الاهتمام ؛ وعندما أصبح على مبعدة مسيرة أربعة أيام فقط من "فلسطين" ،

بدأت الرياح الغربية تنشط مجدداً ؛ وبينما كانوا يقاومونها ، ظل باقياً كما كان حتى نفدت كمية المياه ، ونتيجة لذلك فقد قفل راجعاً إلى "كانانور" للحصول على المزيد من المياه ، حيث عاد للموقع الذي أنطلق منه ، وهناك ألقى بمرساة سفينته .

هنا أخبره الربابنة بأنه بمجرد ظهور النجم الذي يعرف باسم "الثريا" من جهة الجنوب ، فتلك إشارة على عودة الرياح الشرقية للهبوب مجدداً لمدة يومين أو ثلاثة أيام ، وحينها بوسعهم الإبحار صوب بلاد "بريستر" ، وهذه الرحلة تستغرق يومين وليلة ، وهذا كان هدفه ، لأنه كان قد أراد إقامة قلعة في "مصوع" معتمداً على صداقته مع "بريستر" لأنه مسيحي ورجل له قوته ونفوذه والعداء للعرب .

هذا سبب كاف لكي يساعده بتزويده بالرجال والمؤن الغذائية ، وخلال انتظارهم ظهور ذلك النجم ، الذي أشرت له ، لاح لهم في السماء وبشكل واضح شكل صليب مشع ، وبعده اقتربت منه سحابة ، وعندما وصلته انقسم الشكل إلى جزأين ، ومن ثم تجاوزته السحابة دون أن تصطدم به أو تخفي ضوءه ، وعندما رأى الحاكم وجميع القباطنة هذا المشهد ، خروا راكعين ، وبدأوا يقدسونه بعيون باكية وبخشوع شديد .

أما الحاكم فقد اعتبر هذا الصليب بمثابة إشارة من الرب تحثه على المضي قدماً في الاتجاه الذي يشير إليه ؛ وبالتالي جمع كل قباطنة

السفن والبحارة ، وأخبرهم بذلك ، وأخبرهم بضرورة الإبحار ، وأجابه البحارة بأنهم لن يتمكنوا من الإبحار في غياب هبوب الرياح – وأنهم إذا ما استجابوا لرأي الحاكم ، فلا شك في أنهم سوف يصطدمون ببعض الجبال وحينها سوف يغرق وينتهي أمرهم .

نتيجة لهذا الاعتراض ، عمل الحاكم على البقاء في هذا المكان حتى بداية شهر مايو ، ولما تبين له ألا أمل في هبوب رياح شرقية قبل مضي شهرين ونصف ، قرر العودة إلى "كانانور" ، حيث تمكن الأهالي في البر الرئيس من افتداء الأسرى ، حيث وافق الحاكم على تسليمهم لهم مقابل تزويده بالمؤن والغذاءات .

أيضاً أعطى الحاكم رسالة من "ميرا ميرجينا" ، تفيد بأن الفرنجة (وكما ذكرت من قبل هذا هو الاسم الذي أطلق على البرتغاليين في الشرق) هم الرجال الذين تمكنوا من غزو الهند ، ونالوا شهرة واسعة ، وأشار بأنهم نالوا هذه الشهرة العظيمة لأنهم هزموا فقط رجالاً يخوضون الحرب مثل النساء .

لكنهم عندما يواجهون رجالاً مثل رجال عدن حينها تنكشف الحقيقة ، وعلى هذه رد الحاكم بقوله : "إن السمعة والشهرة التي تحققت للبرتغاليين شهرة راسخة ، وإنهم لم يستولوا على الهند من رجال مخنثين أو من أشباه النساء ، وإنما من قبضة الأتراك وعرب البحر الأحمر .

إنه فقط بسبب تكسر السلالم وفقدان الرجال فقط وسقوط المدينة ، وعلى العموم ، فقياساً على الطريقة التي تمكن بها رجالنا من تسلق الأسوار ، يمكنه فقط أن يحكم ويقول أي نوع من الرجال هم ، ومدى الروح المعنوية التي يواجهون بها الأعداء في القتال ، لكن على الرغم من أن "ميرا ميرجانا" قد أرسل هذه الرسالة إلى الحاكم إلا أنه وكذلك الشيخ كانا مرعوبين من غارات الحاكم في منطقة البحر الأحمر .

بمجرد علم الشيخ بأن رجالنا قد وضعوا السلالم على أسوار مدينته ، سارع بإرسال رسالة إلى السلطان حملها له موفده على ظهر جمل لكي يسلمها له بعد مضي خمسة عشر يوماً ، وجاء رد السلطان قائلاً : إذا كان البرتغاليون قد أبحروا في البحر الأحمر ، فعلى الشيخ أن يحكم رقابته جيداً في الموانئ ، لأنه سوف يحذو نفس الحذو .

هذا ، وقد أعطاه هذا الرد المقتضب ، لأنه لم يكن على علاقة جيدة معه . أما بالنسبة للمدعو "ميروسيم" ، الذي علم بذلك ، فقد فرّ تاركاً "فلسطين" خوفاً من رجالنا ، وبالمثل كان السلطان نفسه قد أصابه الفزع من جراء هذه الأخبار ، فاتجه مباشرة نحو السويس ، حيث اعتقد أن رجالنا سوف ينزلون هناك ، لأنه يعلم تمام العلم ما فعلوه في الهند .

في "القاهرة" حدث اهتياج عظيم ، إذ دارت شائعات تقول بأن

الحاكم قد دخل بسفنه في المضيق ، وإن المسيحيين في أوروبا سوف يهاجمونهم من جانب البحر الأبيض المتوسط ، بعدما ينزلون في "الإسكندرية" ، أيضاً أفادت تقارير أخرى أن الشيخ إسماعيل قد أقام معسكره في حلب ، التي تقع في طرف الصحراء .

بعد سماع هذه الأنباء رفض حاكم "دمشق" ، الذي تم استدعاؤه بواسطة السلطان ، الذهاب إلى سيده ، وأعلن ثورته ضده . تملك الفزع كل العرب حيث ظنوا أن الطريق البحري إلى مكة سوف يُغلق أمامهم ، وبالتالي سوف تلحق بهم أضرار جسيمة ، فجميع دخول وعائدات الضرائب تأتيه من البحر بواسطة سفينة تعرف باسم "مسماري" .

وفي العام نفسه (١٥١٣م)

بعث محمد شاه ، ملك هرمز برسالة إلـى "د . مانويل الأول" "D . Manuel I" ، يخبره فيها أنه علم أن المراسلة بينهما متصلة ، وأنه علم أنه قد تمّ تخفيف نصف المحصول المقرر على هرمز : (١٦)

"حضرت الدولة العالية ورفعة إكبار وافتخار المسيح سلطان العظيم وملك الحليم "دون منويل مالك برتكال" أدام الله بقاءه وخلد ملكه وأيامه ، وبعده نعرفك يا مولاي بأن كتبت لك من "كوي" وعلمت أن وصلك كتابي مع الهدية ثم سافرت من "كوي" إلى هرمز وصحبة "مير مرشاده" وبلغت بالسلامة .

بعد ما وصلت بأيام قليلة خبروني بأنك حلمت عليّ بتخفيف نصف المحصول من المقرر على هرمز وأن الأمر رسلته إلى قبطان

(١٦) رقم الوثيقة والهامش.

المور ليخفف عن أحوالنا وبعده يقرر الذي يكون بالصواب ولكن اعلم يا سيدي أن "انريكي" مات في الطريق ، وبقيت على حال الأول واعلم يا سيدي أن الطريق بعيدة بيننا ويطول الزمان حتى يصلوا مكاتيبنا جوابهم واعلم أخيراً أننا متعلقين على الله وعليك كل اعتمادنا ورجانا والسلام .

في الرابع والعشرين من شهر شوال ، سنة ٩١٨ للهجرة ، الموافق الثاني من شهر يناير عام ١٥١٣م .

من محمد شاه سلطان وحاكم هرمز .

ترجمة من البرتغالية .

ملحوظات :

يُدعى ملك هرمز بـ : محمد شاه ، وهو ابن سيف الدين ويعنى اللفظ (سيف العقيدة) ، وهو الملك الذي كان "أفونسو دي البوكيرك" قد وقع معه اتفاقية السلام ووافق على دفع جزية سنوية قوامها خمسة وعشرين ألف "أشرفي" تدفع ذهباً وفضة ولؤلؤ وخمسة آلاف "أشرفي" أخرى كمساهمة في الحرب وفي بناء قلعة في الموقع الذي يختاره "أفونسو دي البوكيرك" .

(انظر تاريخ الملك "مانويل" - الجزء الثاني ص ٥٦) .

أما "هنيريك" ، والذي تحدث عنه في هذه الرسالة ، فهو "هنيريك نونيس دي ليو" والذي كان ضمن قوة الأسطول المؤلف من أربع عشرة

سفينة والتي كان الملك "مانويل" قد أرسلها إلى الهند في عام ١٥٠٦م تحت قيادة "فاسكو جوميز دي ابريو" " Vasco Gomez de Abrio" .

انظر : تاريخ الملك مانويل ، الجزء الثاني ، الفصل ١٥ .

وفي العام نفسه (١٥١٣م)

بعث "فرانسيسكو دي البوكيرك" "Francisco de Albuquerque" من "دابول" "Daboul" في العشرين من شهر أكتوبر ، عام ١٥١٣م برسالة إلـى "د . مانويل الأول" "D . Manuel I" جاء فيها عدة بنود أهمها ما حدث في عدن والبحر الأحمر : [١٧]

سيدي ،

بند ١ : في العام المنصرم كتب إليك عن شخصي كل من "غونزالو بيريز" "Goncalo Peres" . قبطان سفينة "جواو سيراو" "Joao Serao" و"كريستاو جاكوبيتا" "Chritao Jacobita" ، فإذا كنت لم تستلم تلك الرسائل فإنني الآن أكتب إليك لأكشف لك عن بعض التفاصيل ذات الصلة .

حســـب اعتقـادي أنك قد أبلغت أن السينهور "ماركينز"

(١٧) رقم الوثيقة والهامش.

"Markins" قد أبحر في عدة سفن بما فيها "بواغنتورا" "Boagintura" ، التي قدمت من عدن محملة بشحنة من الأفيون ، المرجان ، الزعفران والأقمشة المطرزة والمخمل ، هذا بالإضافة إلى ستة عشر ألف "أشرفي" نقداً وقد اتجه إلى "كاليكوت" ، ولقد سافرت في السفينة الأخيرة كتاجر برفقة أحد اليهود .

لقد استقبلنا البرتغاليون وأخبرونا إننا إذا عملنا بإخلاص في خدمة سموكم فسوف نحظى بكرم سموكم الفياض ، وهذا ما قررنا أن نتبعه ، وسوف يشهد العديد من النبلاء في "غوا" بالجهد الذي بذلناه في إرسال مواد البناء القلعة سموكم في تلك المدينة .

بند ٢ : لقد عملنا على إرسال ردود جميع الرسائل التي تلقيناها من "فياجانغار" "سابايو" "باتيكالا" "شول" "دابول" و"كامباي" باللغتين العربية والفارسية ، وقد هدفنا من ذلك أن تكون مكافآتنا مماثلة لمكافآت الذين يخلصون في خدمة سموكم .

بند ٣ : عندما رحل سعادة القائد الأعلى إلى "ملقا" كان كاتب هذه الرسالة "فرانسيسكو دي البوكيرك" قد اعتنق المسيحية .

بند ٤ : في إحدى الرحلات تم القبض على خمسين من سفن "كامباي" وجاءت تقديراتي أن اثنتين منها يمكن أن تكونا بقيمة خمسة وعشرين ألف "أشرفي" في "مينانق كابان" (سومطرة) حيث إن عيار الذهب هناك هو اثنان وعشرون ونصف ، غير أن الأوغاد

لم يوافقوا على ذلك ، حيث ظنوا أنني أسعى لخداعهم ، وقد أثاروا اهتياجاً بالغاً .... فقد قررت ألا أجادلهم .

بالتالي فقد باعوا السفينة الضخمة في "ملقا" للقائد لقاء تسعة آلاف وخمسمائة "أشرفي" ذهب في سبائك ، وهو عيار ستة عشر قيراطاً ، وبالتالي فقد باعوا بثمن قيمة الذهب غير المصنع ، بسبب أنهم لم يعملوا على الإفصاح عن الفرق بين الثمن الذي ارتضوه وبين السعر الذي طرحته من جانبي .

بند ٥ : في أحد الأيام وبينما كان "تريستام دي غوا" يقوم ببيع بعض أنواع الأقمشة الحريرية الفاخرة من ناقور بأسعار زهيدة ، أدركت أن هذا من شأنه أن يؤدي إلى هبوط ملحوظ في ثمن الأقمشة في المحطة التجارية ، وعليه فقد طلبت من القائد الأعلى أن يسلمني الأقمشة وتعهدت له بأنني سوف أخصص أحد الموظفين مع محاسب وبوسعي أن أبيعها لهم بضعف السعر المعروض .

بالفعل قمت ببيع الكمية بأكملها ورفدت الخزينة بزيادة في القيمة بلغت ثلاثين أو أربعين ألف "كروزادو" ، وبوسعك أن تتأكد من ذلك من خلال الاتصال بالسيد "بدرو دي البويم" قائد السفينة التجارية "تريندداد" ، وأيضاً من خلال السيد "غاسبار دي بافيا" "Gaspar de Bavia" ، وهذا يوضح طبيعة شخصي ويبين أن البرتغاليين في الهند لا يعرفون كثير شيء عن السلع التجارية .

بند ٦ : لم يكن البرتغاليون يملكون سوى القليل من مصادر مواد البناء والرجال في مدينة "ملقا" لأجل بناء القلعة ، كما أنه استحالت عملية الإبحار للهند في تلك السنة ، الأمر الذي دفع القائد الأعلى لأخذ مشورتي ، ولقد أبلغته أن يسمح لي بالذهاب إلى الأقاليم الداخلية لأجل تجديد بعض العمال ، وقد وعدته من جانبي أن أدفع "كروزادو" لكل عبد يشتكي علي .

بالتالي زودني بأحد الخيول ومن ثم بحثت عن أحد الفرس من المسلمين كان يقيم هناك مدة اثنين وثلاثين عاماً وطلبت منه أن يزودني بقائمة أسماء جميع التجار في البلاد ، وقد فعل هذا بشكل مفصل حيث ضمت قائمة جميع أهالي جزيرة "غوا" والتجار الهنود إلى جانب مجموعة العبيد بحوزة كل منهم ، ولقد بلغ عددهم حوالي ثلاثة آلاف وخمسمائة نسمة .

بند ٧ : بعد ذلك اتجهت إلى منزل "اوتميراجا" قائد الجنوبيين ، والذي كان القائد العام قد أمر بشنقه مع ابنه وصهره وابن أخيه ، وقد أخبرته أن هناك وسيلة ما للنجاة من الشنق والحكم بالسجن في القلعة كبديل ، غير أنه لم يبد شعوراً بالود تجاه القائد ، بحيث يأمر خدمه بتقديم المساعدة له .

بند ٨ : فأجاب أن لديه فقط فئة قليلة من الخدم ، وأنه يحتاجهم في خدمه شؤونه الخاصة ، وقد أخبرته بأن رده هذا لا يليق بطلب من

شخص بمقام القائد الأعلى لسموكم ، وهو طلب لم يقدم لشخص يملك فقط عشرة من الخدم كي يقدموا خدماتهم للقائد الأعلى لقاء حصولهم على أجورهم ، وحينها أنكر أن يكون لديه أي خدم ، ولكن عندما أطلعته على الورقة التي تحمل قائمة الأسماء أخذته الدهشة تماماً على كل فإنه ما زال عند موقفه : إنه لا يملك العديد من الخدم .

بند ٩ : لقد أجبت مبيناً له أن الشخص الذي زودني بالقائمة غير مختص أو مفوض لهذا الأمر ، كما أنه لا يعرفهم جميعاً ، وربما يكون أنه قد كذب هنا أو هناك ، وهكذا أخبرناه وبكل ثقة إننا سوف نقبل أقل من العدد المسجل في القائمة بواقع خمسمائة شخص .

حينها قبل بهذا العرض ، وأخبرني أن آتي غداً لمنزله حيث سيقوم بجمع كل التجار ، وحينها سوف أتحدث إليهم ، ومن جانبه سوف يسعى لمساعدتنا بكل السبل المتاحة ، وعليه فقد أجبرته على أن يحلف القسم بكتاب الله (القرآن الكريم) .... وبعدها غادرته مودعاً ، واتجهت للقائد الأعلى كي أخبره بما حدث ، وقد سر سروراً عظيماً .

بند ١٠ : وفي صبيحة اليوم التالي خاطبت جميع التجار بنفس الحديث الذي وجهته إلى "اتومتراجا" ، وقد اقتنعوا بفكرتي ، ووافقوا على منح القائد الأعلى وتزويده بنسبة عشرة بالمائة من خدمهم ، وهكذا رتبت الأمر بحيث يكون هناك أربعة رجال ومعهم ثمانية

مساعدين كي يقوموا بجمعهم في الميدان الملكي في "بويم" "Boeim" حيث يعيشون هناك .

بند ١١ : لقد حرصت على الذهاب قبل فجر كل يوم إلى القادة المذكورين كي أتأكد من أنهم يقومون بجمع الخدم وإحضارهم للقلعة . وبوسع سموكم أن يتصور حجم هذا المشروع بوجود ثلاثمائة وخمسين رجلاً كل يوم وأربعمائة رجلاً في بعض الأوقات ولعمري هذه نقطة تحول ، ويبدو لي أن الشخص الذي قام بتنظيم ذلك يستحق المكافأة عن جدارة .

بند ١٢ : لقد قمت بتأجير مصنع "ملقا" مقابل مائة وخمسة وأربعين ألف ريال سنوياً مقابل قصدير ، ولقد أستأجره "تريستام دي غا" لمدة أربعة شهور .

بند ١٣ : عندما احتلت المدينة نصحت القائد الأعلى بضرورة القيام بجمع كل القصدير المتوفر خاصة أن سكان "ملقا" يحبذون التعامل به أكثر من أي مواد أخرى .

بالتالي فإذا ما أقدم التاجر على بيع بعض السلع التجارية فإنه يتوقع الحصول على ثمنها في شكل قصدير ، وليس ذهباً ، ولعل السبب في تفضيلهم القصدير عن الذهب هو عدم توفر أي نقد سواء كان من الذهب أو الفضة ، أيضاً يلاحظ أن قيمة الذهب تتفاوت حسب العيار ، بينما تظل قيمة القصدير ثابتة .

لم يبذل البرتغاليون الكثير من الجهد كي يجمعوا القصدير ، وذلك نظراً لثقل وزنه وقلة قيمته ، ولقد نصحت القائد أن يستخدم قباطنة السفن الخمس في جمع القصدير ، لكنه سخر من فكرتي هذه .

بند ١٤ : أخبر "روي دي أروجو" سعادة القائد أن هناك رجلاً في المدينة يدعى "نيناكاتو" "Ninakato" من مواطني "كوروماندل" كان قد وجد منه ترحيباً حاراً وسوف يكون من الأفيد أن يعطى ترخيصاً بالمرور لأنه سوف يأتي بتجار آخرين معه ، وعليه فقد استصوب القائد هذه الفكرة واتفق "روي دي أروجو" مع "نينا كاتو" لجمع كل القصدير الموجود في المدينة... ولا يستبعد أن تكون بقيمة أربعين ألف "كروزادو" .

بند ١٥ : بعد ذلك توجه "جواو" و"ليوناردو" وكيلا السفن التجارية يحملان أموالها غير أنه تبين لهما إن كل السلع التي يرغبان في شرائها تباع بعملة "الكروزادو" وليس القصدير بسبب قلة قيمته في الهند إذا ما قورن بالنحاس ، وإذا ما كان راغباً فبوسع "روي دي أروجو" تحقيق فائدة لمصلحة سموكم تقدر بنحو ثلاثين أو أربعين ألف "كروزادو"... لكن يبدو أن أفكار فقير الحال لا تجد أي نوع من الاعتبار .

عموماً إذا كانت لي حظوة عند سموكم بتعييني وكيلاً وأعطيت كاتباً ومحاسباً فبوسعي أن أحقق لكم أرباحاً عظيمة لأنني أعلم

أن مدراءكم لا يعرفون شيئاً عن التجارة ويبيعون البضائع بأسعار زهيدة ، بينما كانت أعمالي دائماً تتعلق بالمجال التجاري .

بند ١٦ : خلال فترة إقامتنا في "ملقا" لم يحدث أن اشتكى عليَّ شخص من مجموعة العمال الذين أتيت بهم للعمل في بناء القلعة باستثناء أحد خدم "نيناكاتو" ، قد تيقنت أن "روي دي اروجو" الذي يحسدني قد كان وراء تلك الشكوى ، وفي الحقيقة كان من المفروض أن يقوم بهذا العمل الذي أقوم به الآن مثل جلب العبيد للقلعة ، لأنه كان قد أقام في "ملقا" مدة عامين بينما كنت أنا لا أزال حديث عهد بتلك المدينة .

بالرغم من ذلك فقد تمكنت خلال شهرين فقط من تعلم لغة أهل البلاد ، وبالمثل ثقافتهم وعاداتهم وتعاملهم فيما يتعلق بالأوزان والمقاييس ، الأمر الذي أدهش "روي دي أروجو" وكثيراً ما سألني في حضور سعادة القائد ما إذا كنت قد أقمت في "ملقا" من قبل .

بند ١٧ : لقد خرجت أتجول في "ملقا" بقصد ترويج أموال ومقدرات سموكم منددا بمقدرات المسلمين العرب ومؤكداً في ذات الوقت ضرورة أن توزن المؤن بالأوزان التي تحمل شعار سموكم تماماً كما يقوم مفتشو الأوزان والمقاييس لدى التابعين لسموكم بذلك العمل .

لقد أصبحت لدي علاقات طيبة مع السكان المحليين العرب ، كما أصبحت أحب عملي كثيراً ، ولقد تكهنت بأن ثمانية أوزان من

الأرز التي تباع الآن بقيمة عشرة "كلايم" سوف يتضاعف سعرها بعد أسبوع واحد كي يصبح عشرين "كلايماً" ، لذا فقد نصحت القائد كي يقوم بشراء الأرز للقلعة ، غير أنه أبلغني أن تلك هي مسؤولية "روي دي أروجو" .

عندما استعدت السفن للرحيل لم يكن "روى دي أروجو" قد اشترى بعد المؤن ، وقد رحلت السفن ولم تعد هناك كمية من الأرز غير التي تباع بواقع ثمانية أوزان بقيمة عشرة "كلايم" .

عندما تحققت في المدينة عن هذا الأمر اكتشفت أن "روي دي اروجو" اشترى كميات ضخمة من الأرز عن طريق "نيناكاتو" بواقع خمسة وعشرين وزناً بعشرة "كلايم" ، وقد اعتبر هذا تصرفاً غير قانوني لأنهم يدركون أن القلعة تحتاج تلك العمليات ، لقد تمكنت من الحصول على إفادة خطية فيما يتعلق بالشخص الذي أتى بتلك الكمية وممن حصل عليها .

لقد أخبرت أن عملية شرائها تمت باسم القائد الأعلى ، وعموماً فقد لفت أنظار القائد إلى كل هذا وقد زعم "روي دي أروجو" أن كميات الأرز قد تم شراؤها للقلعة ، ولكني عندما عثرت على منزلين مملوءين بكميات من الأرز ادعى إنها تؤول إلى "نيناكاتو" .

بند ١٨ : الرب وحده من يعلم خفايا كل شيء ، إنني لم أكتب لكم تقريري عن "روي دي أروجو" بدافع الحقد أو المشاحنة وإنما فقط

كي أبين لسموكم كيف إنني أؤدي عملي بإخلاص وتجرد في خدمة سموكم ، ومن غير غش أو نفاق ، وبشكل لا يقل عن جودة عن الآخرين المقربين من سموكم ، وذلك حتى يتفضل عليَّ سموكم بمكرمة أو مكافأة ، وذلك لأنني وباختصار شديد رجل فقير .

بند ١٩ : لقد وصلت في "كوتشين" بعدما نجوت من حادثة تحطم السفينة "فرول دي لامار" "Frol de la Mar" ، على لوح من الخشب ، وقد فقدت ما بقي لي من الأجر الزهيد الذي أعطاني إياه سموكم ، لقد عانيت كثيراً من الجوع والعطش قبل أن يتم إنقاذي ويؤتى بي إلى "كوتشين" على متن السفينة "ترينداد" .

لقد ساعدت في بناء القلاع في "غوا" و"ملقا" وبالتالي فإنني أطمع في أخذ قسط من الراحة خاصة وأنه لم تعد هناك فكرة بناء قلعة في "كوتشين" لكن بدلاً من ذلك فقد عمل القائد الأعلى على وضع الأغلال في يدي!

عندما سألته عن السبب أجاب مشيراً إنه قد عاد من "ملقا" من غير سفن أو مؤن أو مال ، وفضلاً عن ذلك إنه يخشاني لأنني على علم بكل أسراره ، بالرغم من أنه يعاملني بشكل جيد حتى الآن ، فلديه الحق في أن يغير رأيه ، ولكنه وعد بأنه سوف ينزع الأغلال من يدي عند قدوم الأسطول من البرتغال .

عليه فقد استغرق وصول ذلك الأسطول المكون من أربع عشرة

سفينة حوالي خمسة شهور حتى وصل ، وليعلم سموكم أن من على شاكلتي من الرجال لا يمكن كسب جانبهم بالتهديد أو استعمال العنف .

بند ٢٠ : إن الرجال مثلي يمكن أن يكسب جانبهم بواسطة المكافآت . أما أولئك الذين يرزحون في العبودية فلا شيء يليق بهم سوى العمل في مطاحن الأرز والقمح وإذا ما طلب مني سموكم توفير الطحين فبوسعي أن أعطيكم عشرة من العبيد هم أكثر كفاءة مني في هذا المجال .

أما إذا أردت أن أكون مترجماً لك فيجب أن تسدي لي من المعروف ما يجعلني أنسى طبيعتي ، إذ إن هناك ثلاثة أشياء فقط هي التي تجعل الرجال ينسون طبيعتهم ، وهي الشرف المنفعة ، والخلاص ، أي إبراء الذمة ، وعليه فإذا ما رغب سموكم فإنني رهن إشارتكم وسوف أسعد بخدمتكم لأنني لا أعرف مكاناً أفضل اتجه إليه .

بند ٢١ : يمكن لسموكم في "بناستريم" أن تقف على الكيفية التي كنت أقوم بخدمة سموكم في "غوا" ، إذ عادة ما يذهب قائد "سابايو" للمعسكر الذي أمر بإقامته سعادة القائد العام ، وكان يأخذ معه اللحوم المطبوخة والأرز والخبز والخمر ، وكان قد أتى بحوالي مائة من مواطني تلك البلاد الذين تم نقلهم من "غوا" إلى "بناستريم" .

بند ٢٢ : عندما اقتضت الحاجة توفير المعلومات بخصوص ما يحدث في الشاطئ مثل وجود بعض المرتدين في المعسكر ، أرسلني القائد كسفير ، وكنت قد عينت لشؤون سموكم ، وكأنني قد نشأت وترعرعت في كنف وحماية سموكم .

بند ٢٣ : وعندما قرر القائد العام الإبحار إلى عدن شاورني في الأمر ، وقد أخبرته أن عدن محصنة بشكل جيد بأسوار متينة وأبراج صلبة ، لكن عموماً لا توجد بها حامية من الجنود ، وعلى كل كان رده أنه سوف يسعى إلى تدميرها واكتساحها من خلال هدم امتدادات حيطانها .

عند وصولنا إلى عدن قمت بمرافقة "جواو غوميز" ، قائد السفينة وذلك في أحد الزوارق الصغيرة ، وأبلغنا مجموعة العرب أن القائد يرغب في حضور أحدهم إلى السفينة بخصوص للمناقشة وهذا ما قالوه : وعندما استفسر القائد عن مقر الملك أبلغ بوجوده في "زبيد" ، وقد أخبره القائد أن سبب قدومه إلى عدن هو سماعه عن رغبة الأتراك في التحرك لاحتلال عدن وإنه قد جاء بغية حمايتهم إذا ما رغب ملك عدن في توحيد القوات للقيام بدفاع مشترك ، وقد اتجه العربي بهذه الرسالة إلى الشاطئ .

بند ٢٤ : بعد عودته أفاد عن غياب الملك وأنهم ينتظرون حضوره ، أما القائد فقد رد مفيداً بضرورة فتح أبواب المدينة للترحيب بعلم سموكم ، وأيضاً يجب عليهم تجهيز مساكن له

ولرجاله بحيث يمكنكم انتظار عودة الملك المعروف باسم الشيخ "عامر بن إبت كلهات" وقد غادر العرب بهذه الرسالة .

بند ٢٥ : عند وصوله للمرة الثالثة أفاد بأن حاكم البلاد أخبره أنه ليس سوى خادم للملك وليس بوسعه أن يستلم علم دولة أخرى ، بل علمه فقط ، كما إنه ليس في وضع يسمح له بالتجاوب مع أي زعيم يأتي للشاطئ باستثناء سموه .

عموماً إذا ما كان يرغب في التشاور معه ، فمن الممكن أن يتم الاتفاق بينهما على تحديد مكان ما ، ومن ثم يأتي كل منهما ومعه ثلاثين فرداً للتحدث والتشاور ، وكان رد القائد أنه سوف يتحدث معه في اليوم التالي ومعه جميع رجاله .

بند ٢٦ : وفي صبيحة اليوم التالي ، السبت ، وكان ذلك عشية الفصح ، انطلق القائد بجميع قواته وعمل على وضع السلالم على الأسوار ، وذلك في بعض الأماكن التي أخبرته إنها تمثل أضعف النقاط في التحصين... وبالفعل ولى العرب هاربين بمجرد أن شعروا أن رجاله قد نجحوا في تسلق الأسوار ،لكن في بعض المواقع الأخرى تهاوت السلالم القديمة التي وضعت على الأسوار ، لأنها لم تقو على حمل الرجال الذين حاولوا اكتساح القلعة وتحقيق النصر .

إنني لا أريد التحدث عن فشلهم ، لأن الأجر يكون سيئاً إذا ما تحدثت عن رجال بسوء أعتبرهم أفضل مني ، وأحبذ أن تسمع

ذلك من أفراد آخرين ، عموماً لا يمكن الاستيلاء على عدن دون أن يصار إلى استخدام المنجنيق والقصف واستعمال السلالم والدروع ، لأن قوة عدن تكمن في مناعة حيطانها وأسوارها .

بند ٢٧ : حينما حانت ساعة الانسحاب بدأت القوات في التراجع بتهور في غير انتظام بحيث بدأ الأمر وكأن كل فرد قد شرع في مطاردتهم بالرغم من أن بوابات المدينة قد أغلقت ولا يوجد فرد واحد من العرب خارج الأسوار .

حينئذٍ لم تبد المراكب راغبة في أخذ الرجال الذين ليسوا من جاؤوا على متنها ، وأقسم بالرب إنني ظللت ملازماً وملتصقاً بجسدي في الماء بأحد المراكب مدة ساعة كاملة دون أن أحس برغبتهم في انتشالي من الماء ، إلى أن أخبرت قائد أحد المراكب بأنه إذا لم ينقذني فسوف أسعى للانضمام إلى صف العرب وأشهد الرب على ذلك ، أيضاً حدث هذا لاثنين أو ثلاثة من خدمكم ، وإذا ما كنت ترغب في معرفة اسم القائد فهو "جواو جوميز" .

بند ٢٨ : وفي إطار غيابي ، بسبب إنني أخذت على متن السفينة ، ثارت شكوك القائد حولي ، واتهمت بأنني قد لجأت إلى المسلمين... لكن عموماً كان قد رآني في السفينة وحينها طلب السماح ثم سلمني رسالة إعتاق ، تتضمن جميع الصلاحيات التي لسموكم ، ويمكنك أن تستعلم عن ذلك من العديد من النبلاء والسادة الذي شهدوا ذلك .

بند ٢٩ : وعندما كنا نستعد للإبحار في المضائق... قال لي القائد الأعلى ... القباطنة العرب... فأجبته قائلاً إنك إذا أعطيتني مركب العرب الموجود هناك ، والذي استولينا عليه بالقرب من "سوقطرة" ، فسوف أتجه مباشرة كي آتيك به عبر المضائق ، وسوف آخذ معي أحد القباطنة العرب كي نبحر حتى جدة لأنه ليست هنالك من وسيلة للإبحار عبر هذه المضائق دون قباطنة من الممر المائي وحتى المضائق .

بقية القباطنة الآخرون الذين يبحرون من وإلى الهند لا يجيدون الإبحار وأعمال الملاحة في هذه المضائق ، وليسوا مجبرين على أخذ سفينة عربية إلى ما وراء المدخل المسمى بباب المندب ، وأجاب القائد إنني إذا ما أتيته بأحد القباطنة العرب فسوف يحسن مكافأتي .

عليه أخذت أحد المراكب التي رأيت أن طاقمها بالكامل من العرب ، هذا إلى جانب أن عدد البرتغاليين يبلغ حوالي الستة ، وقد ألقيت المرساة أمام أحد المواقع وطلبت منهم أن يزودوني بأحد القباطنة للإبحار إلى جدة .

عندما رأوني وأنا أرتدي الزي العربي وأتحدث العربية بطلاقة ، زودوني بأحد العرب ، بل بأفضل البحارة في ذلك المكان وكان بوسعي أن أحصل على ثلاثة أو أربعة منهم ، لكنني لم أرد أن أتأخر خاصة وأن الأسطول لم يظهر بعد ، وربما وجدت نفسي وحيداً .

عندما شرعنا في الصعود إلى متن المركب مع القبطان ، وصل الأسطول ، وساعتها أمرني القبطان بقطع حبل المرساة ، فأخبرته بأننا لسنا في حاجة لذلك لأننا جميعاً ننتمي للأسطول .

هنا تسمر في مكانه ، وحينها خلعت الملابس التي كنت أرتديها وناولتها له ، وأخبرته ألا يجزع لأن القائد الأعلى سوف يدفع له العشرين "أشرفي" التي سبق أن وعدته بها في الشاطئ ، وأنه إذا ما أخلص في خدمته وعمل بكل أمانة فسوف يتم انتشاله من حالة الفقر ويصبح أفضل شخص في قومه هو ومن سيخلفه من بعده ، بعد ذلك صحبته لمقابلة القائد الذي سر سروراً عظيماً .

يبدو لي ، سيدي ، أن رسالة التحرير التي أعطيت للرجل الذي أنجز هذا العمل قد تم استخدامها بشكل جيد .

بند ٣٠ : عمل القبطان المذكور هذا لأخذنا إلى "كامران" ، وأعتقد أنني سبق أن أخبرت سموكم عن أن هذه حيث تستغرق الرحلة لها من جدة حوالي أربعة أيام ، وثلاثة أيام إلى "دهلك" وأربعة أيام إلى "كانكاني" ، وفيما بعد سوف أخبر سموكم بكل شيء عن جدة و"دهلك" و"كانكاني" .

في جزيرة "كمران" هذه لا يوجد مكان واحد قط لا توجد فيه المياه ، وحسبك أن تحفر فقط لعمق ثلاثة أقدام ، ولا يوجد في كل المضائق أي موقع أو جزيرة تماثلها من حيث توفر المياه وكثرتها ، وبالتالي ، فإن جميع سفن المسلمين التي تمر عبر مدخل المضائق لا

تكون قد حازت على طوق النجاة لركابها ما لم تقم بالتزود بالمياه من جزيرة "كمران" تلك .

بند ٣١ : لذا فقد أبلغت القائد ألا يحاول الإبحار إلى جدة لأنه قد فات الأوان ، إذ بالفعل انتهى موسم هبوب الرياح الشرقية ، وأصبح من المستحيل الإبحار في المضيق بسبب وجود الكثير من المواقع الضحلة ، وبالتالي يترتب علينا التزود بالمياه من هناك والتوجه إلى "دهلك" الواقعة على مبعدة من إقليم "بريستر جون" .

بند ٣٢ : "دهلك" ، لابد من أنك تعلم بوجود مناطق واسعة فيها لصيد الأسماك.... ضعيفة جداً ، حتى إنني اعتقدت أن بوسعي أن أحتلها بنفسي باستخدام سفينتين فقط ، بل بأصغر السفن الموجودة في الأسطول ، نظراً للأسباب المذكورة أعلاه .

قد رد "دوم غارسيا" متسائلاً ما إذا كنت قد فكرت في هذا الأمر بترو... وقد كان ردي أنني بالفعل قد فكرت ملياً ، وبوسع سموكم التأكد ما إذا كان ذلك صحيحاً أم لا من "دوم جواو دي إيكا" ، "بيرو دا فونسيكا" و"جوميز تيكسيرا" ، وأيضاً من عدة نبلاء وسادة حدث أن كانوا حضوراً هناك...

عندما تبين لي أن القائد غير راغب في الاستسلام وكان مصمماً على الذهاب إلى جدة ، طلبت منه أن يرسلني مع السفينة والمركب "فروس" ووطنت بنفسي أن أذهب إلى جزيرة تسمى "مصوع" تقع

على مقربة من بلاد "بريستر جون" تماثل قرب "المادا" من "لشبونه" وقدرت المسافة بأقل من فرسخ واحد ، يعرف ميناء منطقة "بريستر جون" التي تحدثت عنها باسم "أركيك" .

هو يقع تحت حكم ونفوذ "كريستاو جاكوبيتا" ، ويعرف أن تلك البلاد المذكورة مليئة بالرهبان وفي "أركيك" هذه توجد جميع أنواع السلع القادمة من "دهلك" و"مصوع" ، وقد دأب التجار على نقل بضائعهم إلى هناك في مراكب البغلة صباحاً ويمكثون هناك حتى تظهر نجمة المساء ومن ثم يقفلون راجعين لقضاء الليل في الجزيرة المذكورة . وقد صرح لي القائد بأنه لا يجرأ على المشاركة بمركب واحد لأنه يخشى حضور الأتراك للبحث عنه .

إنها رحلة تستغرق يوماً كاملاً من "دهلك" إلى "مصوع" ، والمنطقة مليئة بقطعان الماشية ، ويكثر فيها القمح والعسل والجبن ، والكثير الكثير من المواد الغذائية الأخرى بالرغم من أن كل هذه تأتي من إقليم "بريستر جون" .

بند ٣٣ : تبدو جزيرة "كانكاني" بهذا الشكل ... . وهي محاطة بشكل تام بالبحر والبر الرئيس ، ولها العديد من الأحواض لأجل تخزين مياه الأمطار ، كما توجد بها بئر في البر الرئيس تقع على مسافة رمي قذيفة من شاطئ البحر أما حول الجزيرة فيوجد عدد كبير من البدو ، لكنهم لا ينتمون للشرائح الاجتماعية المعروفة مثل المسلمين أو اليهود أو المسيحيين .

هي مجموعة ليس لأي أحد أي سلطان أو نفوذ عليها ، وفي سبيل كسرة من الخبز لا مانع من تدمير الكعبة إذا لزم الأمر ، تمتلك هذه المجموعة من الناس قطعاناً كبيرة من الماشية وهي من الكثرة بمكان بحيث إن ثمن الشاة في جزيرة "كاناكاني" "Canakani" لا يتجاوز "الفنتم" .

بند ٣٤ : أيضاً لجزيرة "كاناكاني" هذه روابط تجارية قوية من البر الرئيس إذ تتجه القوافل التجارية للبر إلى إقليم "ملك" يدعى "حجايا" ، يقوم بشراء جميع السلع والبضائع التجارية التي يجلبها العرب غير أنه لا يسمح قط لأي أحد بدخول بلاده حتى لا يقف الداخل على المكان الذي يحصل منه هذا الملك على الذهب .

يقولون بوجود كميات وفيرة من الذهب في موقع ما يقع على مسيرة مسافة ثمانية أيام في البر ، ويعتبر الذهب المنتج في تلك البلاد أفضل وأنقى من الموجود في أواسط إفريقيا ، الذي يرد من "داكار" ، وينقل في هيئة مكعبات ، وهو من عيار ثلاثة وعشرين قيراطاً .

أما الملك "حجايا" فيعرف أنه ليس من العرب بل من الزنوج .... أيضاً في هذه البلاد تتوفر كميات ضخمة من العاج والخيول ، وهو "حجايا" يقيم... متمتعاً بنفوذ قوي .

بند ٣٥ : يلاحظ أيضاً وجود روابط وعلاقات تجارية ما بين جزيرة "كاناكاني" وبلاد "بريستر جون" في البر الرئيس ، فالحجاج من بلاد

الحبش الذين يتجهون إلى مدينة القدس ، يأتون إلى هذه المدينة المقدسة من أجل المنفعة ، وعادة ما يجلبون من بلاد "بريستر جون" أربعة أو خمسة أنواع مختلفة من الذهب متباينة القيمة ، ولعل أقلها قيمة أحد الأنواع حيث تباع الأوقية منه بواقع سبعة "كروزادو" .

بند ٣٦ : أما جدة التي تقع في البر الرئيس فقد عمل الأمير حسين على تسويرها وتطويقها بحائط من جهة اليابس ، خوفاً من بدو ابن إبراهيم ، فمنذ مضي سبع سنوات كانوا قد استولوا ونهبوا إحدى قوافل الحج المتجهة في طريقها إلى القاهرة .

بل إنهم دخلوا إلى حرم النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) فدمروه ، وخوفاً من رجوعهم ثانية للقيام بتدمير ونهب مدينة جدة فقد وجه الأمير حسين بضرورة تحصينها بأسوار حصينة من جهة البر الرئيس بالرغم من أن الشريف بركات أحد الأعيان في جدة ومكة وكان قد اعترض على تحصينها من جهة البحر .

الآن صدقت أن أسطول سموكم قد توغل إلى أن وصل "كمران" حتى ساد اعتقاد جازم في أوساط المسلمين أنه ليست للقائد أية نوايا أخرى غير التوجه إلى جدة ، وبالتالي أحسب أن هذا ما دفع بهم لتحصينها من جهة البحر .

عموماً من يمتلك قلعة في "أركيك" سوف يكون السيد المطلق على الهند ، لأن من يمتلك مفتاح الخزانة يمكنه إغلاقها بعدما يضع داخلها كل ما يريد ، وعند غروب الشمس سوف يأتي لاحتلال

عدن وعند مطلعها سيتجه إلى جدة ومرة أخرى سوف يحتمى عند مدخلها للتأكد من عدم مرور أية تموينات وإمدادات إلى جدة .

ممن الممكن أن تتم المحافظة على قلعة "أركيك" بواسطة إيجاد مجموعة قليلة من القوات ، وبوجود هذه القلعة هناك فلا حاجة لأن يرسل سموكم أسطولاً للهند وإنما إلى "أركيك" إلى أن يتم سحق الأتراك بالكامل .

بند ٣٧ : ليس للأتراك أي خيار آخر غير منع سموكم من أن تصبح سيداً على الهند ، وذلك لأسباب عدة ، ولعل أول وأهم هذه الأسباب هو أن عملية تولي الأمور والحكم في هذه المملكة ليست وراثية بحيث يخلف الابن أباه ، وإنهم جميعاً يمنون أنفسهم ويرغبون في حياة مستقرة آمنة تماماً كحق ملكي في التغذية اليومية كيفما تكون .

لكن إذا اقتضت الحال بحيث تؤول المملكة شرعاً للابن فإنه سوف يسعى بألا يزيل هذا التدشين ومثل ذلك تجارة التوابل في القاهرة لأننا نلاحظ بشكل عام أنه في بلدان العالم ، فإن الرجال عندما تتقدم بهم السن يعملون أيضاً على الاستقرار وبناء المساكن من أجل زرع القيم النبيلة وغرسها في نفوس أبنائهم .

بند ٣٨ : السبب الثاني يتعلق بمسألة الأخشاب ، وهي لا توجد وتتوفر قط سواء في القاهرة أو في جميع مناطق المملكة ، لأن طبيعة

الأرض في القاهرة صحراء رملية ولا توجد فيها أي غابات ، وبعدما وصل أمير حسين في أسطول صغير لم تكن هناك قطعة واحدة من الخشب لم تستخدم... . والحال هو نفسه بالنسبة للكمية القليلة التي جلبت بصعوبة بالغة من تركيا .

كان أهالي البندقية هم من عملوا على إقناع السلطان للإعداد وحمل السلاح لأنهم أبلغوه أن سموكم يقوم بإرسال أربع سفن فقط للهند .... والآن فلينظروا ويتبينوا بوضوح قوة سموكم..... ما القلاع التي اكتمل بناؤها في الهند بتلك....

بعد عملية تدمير الميناء الذي أنشأه "سابايو" بكل تصميم ومخيلة في "غوا" كي يتمكن من بناء مائة سفينة فيبدو لي ، سيدي ، أن ذلك كان بمثابة خيبة أمل له ، ولقد رأى من مصلحته أن يتجه إلى الدفاع عن مقره ، أي جدة ، بالتحديد التي تضم جميع ممتلكاته ومقدراته .

بند ٣٩ : كان لديه مجموعة قليلة من السفن التي قام ببنائها ، وإنني على بينة أن لديه ستة مراكب صغيرة ، ثلاثة منها بأشرعة تماثل مراكب أهالي البندقية التجارية وستة من السفن الشراعية الصغيرة ومراكب الصاريين وجميع هذه السفن مزودة بعارضات أشرعة عالية ومزودة ببحارة يتلقون أجوراً جيدة .

عندما وصل أمير حسين إلى جدة قادماً من الهند ، طلب أن

يؤتى له بجمل عربي لاستخدامه في توصيل الأخبار للسلطان وإبلاغه بوصوله إلى جدة ورغبته في الإبحار إلى "الطور" ، وتوجد "الطور" بالقرب من جبل "سينا" حيث يوجد دير القديسة كاثرين .

بعدها أرسل السلطان مبعوثاً آخر على جمل عربي تمكن من الوصول به إلى جدة في غضون ثمانية أيام ، عموماً أعطيت الأوامر إلى أمير حسين أن يتجنب السفر بحراً ، ويفضل أن يرحل عن طريق البر ، وذلك حتى يتمكن من الوصول في وقت أسرع نسبياً ، ويجب أن يدرك لسموكم أن معجزة ما سوف تمكنكم من تفادي مواجهة أية رياح شرقية وإنما فقط الرياح الغربية .

في الرحلة من "الطور" إلى جدة وعادة ما يحدث ذلك كل أسبوعين ليلاً ومن جدة إلى الطور كل شهرين ثلاثة أو أحياناً أربعة شهور ، وذلك نظراً للسبب المشار له أعلاه . عندما قرأ أمير حسين رسائل جلالة السلطان قام بجمع حوالي خمسين جملاً لأجل مجموعة الرجال الذين يرافقونه واختار واحداً لنفسه ، ومن ثم شرعوا في رحلتهم إلى القاهرة في غضون ستة عشر يوماً .

كان هذا الأمر قد أعجب السلطان فأخبره بضرورة الذهاب كي يرى بنفسه الأسطول الذي قام ببنائه كي ينقله . اتجه أمير حسين إلى السويس ، حيث يتم بناء السفن هناك لرؤية الأسطول وعادة ما تستغرق هذه الرحلة مدة يومين على ظهور الخيل وثلاثة أيام على ظهور الجمال ، وبعدما شاهد السفن المذكورة قفل عائداً إلى

السلطان ليخبره أن هذا ليس بالأسطول الذي يمكنه من مواجهة البرتغاليين ، وقد قدم الأسباب والمبررات :

بند ٤٠ : لقد أخبره عن جميع قوات سموكم في الهند والقلاع وتحديداً قلعة "غوا" باعتبارها مشروعاً رائداً وهي بمثابة المفتاح للهند وبوسعي أن أؤكد لك سيدي إنني عندما كنت في عدن وعند وصول الأخبار التي أفادت بنجاح سموكم في احتلالها منذ الوهلة الأولى كانت المفاجأة قد أحدثت ارتباكاً شديداً بين بعض المسلمين الجزائريين من وهران وحتى "تريمسيم" ، وأشاروا إلى أن "غوا" هي "رودوس الثانية" وإنه من الصعب جداً التمكن من تأمين الهند من تلك المنطقة .

أما بخصـــوص "ملقــا" فلا يمكننـــي أن أقول شيئاً عنها لأنها دون شك تعتبر بمثابة ، مستودع لجميع أنواع السلع والبضائع في العالم ، وهي بمثابـة ملتقى لجميع الهنود تماماً كمجموعة أنهار تصب في البحر الكبير وترفده بالمياه والطمي .

هذا أمر لا شك فيه البته إذ إنك ترى في هذه المدينة أشخاصاً من "فاس" المغرب و"هران" ، "ترمسيم" ، تونس ، طرابلس ساحل البرابرة القاهرة ، عدن وهرمز... ومن "تامس" و"لحان" ، وبالتالي أقول.... أنهم يرتادون "ملقا" من أركان العالم الأربعة.... وأقول إن قدومهم وتكاثرهم عليها ليس أقل من العطاء الذي يجده البحر من روافده .

بند ٤١ : شهدت نفس تلك السنة التي غادر فيها أمير حسين

الهند مبحراً إلى جدة وصول أسطول سموكم العظيم بقيادة كل من "دوم غارسيا" و"جورج دي ميلو" ، وصرح أمير حسين للسلطان أن هذا الأسطول لم يرسل إلا لمواجهة هذه السفن ، ولكنه ليس بالقوة التي تمكنه أن يواجه البرتغاليين إذ إنه لم يعد بشكل كاف بل إن معداته تبدو هزيلة .

قد حق للأمير حسين أن يتحدث معه على هذا النحو ، بالرغم من أن تلك هي حقيقة مزعجة ، أيضاً كان من صميم مهمة أمير حسين أن يعظم ويحل كل الأمور والشؤون الخاصة بسموكم .

بند ٤٢ : يعتبر الدخول لمدينة عدن عن طريق البحر عملاً أكثر سهولة من دخولها براً وهي مدينة لا يمكن أن تعيش من غير الاعتماد على الملاحة واستقبال السفن ، ولن يكون من المستغرب لولا لجوئها إلى توقيع اتفاقية مع سموكم ، أن يتم إخلائها من السكان ويرحلوا عنها تماماً .

السبب في ذلك افتقارها بشكل كامل للغطاءات الخضراء إذ لا توجد فيها شجرة واحدة حتى على الحدود ، أما سكانها فيوجد معظمهم في الميناء ، أما المدخل الذي يؤدي للمدينة فقد سبق أن ذكرته لسموكم ، لقد استولى الملك على كل مناطق الحجر الأحمر بحيث إنه حرم على كل فرد الاتجار فيه باستثناء شخصه فقط وقد اشتراه بواقع ستة "أشرفي" للحمل الواحد الذي يزن خمسمائة رطل ويقوم ببيعه بعشرين .

في كل عام يبلغ إجمالي المبيعات مائة وعشرين ألف "أشرفي" بمعدل عشرين ألف حمل . ويتم الدفع مقابل القطن و"الكنفا" ويقدر ذلك بأقل من أربعة "أشرفي" للحمل الواحد ، وهكذا فهو يحصل في النهاية على مائتين وثمانين "أشرفيا" في عمليتي الشراء والبيع في الحجر الأحمر الذي يطلق عليه اسم "صوا" .

أيضاً ينتج الميناء من الرسوم ، وكذلك المسؤولون في المدينة وتحديد مفتش الأوزان ومساعد المأمور وبقية الموظفين الآخرين حوالي سبعين ألف "أشرفي" في السنة ، ويبلغ كامله حوالي ثلاثمائة وخمسين "أشرفي" ، وبالتالي فقد كررت ذلك من خلال إعاقة الملاحة وسوف يفقد ذلك المبلغ ، ولهذا السبب فإنني أعتقد أنه يجب أن يبرم اتفاقية مع سموكم .

بند ٤٣ : تتمثل مقدرات وممتلكات "بريستر جون" في المقام الأول في أقمشة "كامباي" و"البرناوس" الخشن الذي يصنع في "بوجيا" والسترات العربية من "موستغانم" و"البرناس الأسود" من "تريماسيم" وأنواع المخمل ومختلف أشكال الساتان والدمقس والأقمشة القرمزية وأنواع أخرى من الأقمشة الملونة والشمع والمرجان والكافور وجميع أنواع النحاس .

بند ٤٤ : أما البضائع التي ترد من أرض "بريستر جون" فهي الذهب والعاج والقمح ، والعسل واللحوم والعبيد وهو يعرف "بالهاتي دانتليك إسرائيل" : أي بمعنى (داؤد ملك إسرائيل) أما

اللغة التي يستخدمها رعاياه فهي اللغة "الكلدية" وتستخدم بنفس الطريقة التي نستخدم بها لغتنا وكذا اللاتينية .

الملوك من البيض ، لكن التتويج يتم فقط للملوك المنحدرين من سلالة داود ، رعاياه يدينون بالمسيحية ويهتمون بأيام السبت والأحد ، ويقومون برجم كل من يوجد يمارس عمله يوم الأحد ، ومن عاداتهم التعميد والختان ، لا يأكلون لحم الخنزير وملتزمون بطاعة القوانين القديمة والحديثة .

بند ٤٥ : سيدي ، في الأقاليم التابعة لنفوذكم يوجد منتج اسمه "الأفـيون" وأعتقد أنه إذا ما تم تصنيعه فسوف يدر عليكم أموالاً طائلة ، ففي هذا العام بلغ ثمن "الفراسولا" خمسة وعشرين "كروزادوا" ويمكن التحكم في سعره شريطة ألا يجلب من عدن وإذا حدث هذا فيمكن أن يكون ذلك بواسطة أحد وكلائك .

يقولون في البرتغال أن هذا الأفيون لا نهاية له ، وهو أجود من النوع الموجود في عدن ، ولقد لاحظنا أن أسعار الأصناف الموجودة في تركيا والقاهرة تفوق كثيراً أسعار أفيون عدن ، لكن لا تتم زراعته في تركيا والقاهرة ، إذ يعتبر محرماً بالنسبة للديانة الإسلامية تماماً كالخمور ، إذ يعتبر منتجها وشاربها آثماً .

بند ٤٦ : أيضاً أعتقد أن في مناطق سموكم مثل "ملقا" والصين منتجات قيمة لم يشر أحد بها لسموكم ، ومثل حشيشة الزجاج وهي موضع اهتمام كبير بالنسبة لأهالي "ملقا" والصينيين .

بند ٤٧ : أيضاً هناك العقود ، وهذه تجد الإقبال الكبير في مناطق "ملقا" وجاوة وسومطرة وكذلك البلسم وهو معروف عند المسيحيين باسم "العبهر أو الأصطرك" ، وبالنسبة للمسلمين باسم "السيلا" "Seila" أيضاً يقبل عليه أهالي "ملقا" و"جاوه" و"سومطرة" ، وهناك الكثير من الأشياء التي لا أعرف أسماءها بالبرتغالية ولكني أعرفها من شكلها .

أرى أن سموكم يمكن أن يحقق فوائد عظيمة ، فبدلاً من الأموال والذهب من البرتغال ، أن ترسل السلع والبضائع للهند تماماً كما يفعل المسلمون . أرسل ملك عدن أحمالاً من الحجر الأحمر للهند ، كان قد كلفه الحمل ستة "أشرفي" لكنه باعه بواقع خمسة وعشرين "أشرفيا" . وبعدما استمر في إرسال ذلك لمدة ثلاثة أو أربعة شهور حقق صفقة رائعة بحيث إن السعر ارتفع إلى ستة وثلاثين "أشرفيا" .

بند ٤٨ : سيدي لو كنت تملك قلعة في "أركيك" ، فإن الرحلة لن تستغرق أكثر من ثلاثة أيام عن طريق البحر من مدينة "جيزان" في بر الجزيرة العربية ، وتعتبر هذه المنطقة الخلفية لمدينة عدن وبلاد تقع تحت نفوذها ، وفي السنة الماضية وافق ملك عدن على أن يكون الحاكم تابعاً له ومن ثم منعه تماماً من القيام بتصدير الحجر الأحمر نظراً لأن المنطقة تزخر بكميات وفيرة منه ، بل إن النوع المتوفر فيها يعتبر أفضل من الموجود في عدن .

هناك جزيرة تسمى "فارتان" توجد بالقرب من الميناء المذكور وهي

جزيرة عامرة إذ توجد فيها كميات وفيرة من المياه وأشجار النخيل والمواشي ، ويمكن لسموكم أن تجري معه اتفاق بحيث تساعده ضد ملك عدن مقابل الحصول على كل كمية الحجر الأحمر الموجود في إقليمه ، وبعدها يمكن لسموكم أن تجهز وترتب السفن القادمة من "كامباي" كي تأتي للقلعة ببالات الأقمشة مقابل الحجر الأحمر على أن يتم ذلك بواسطة وكلائك .

بند ٤٩ : لقد أرسلني القائد الأعلى بعدما زودوني ببعض السفن والمراكب كي أقف على أوضاع وأخبار "زيلع" ، وأمرني بإحراق أي سفينة توجد هناك ، وبالفعل عثرت على إحدى عشرة سفينة وقمت بإحراقها . تقتضي الضرورة إيجاد مترجم في كل الأماكن ، ولقد تم استدعائي لأنه لا يوجد مترجم في الأسطول يمكنه التحدث مثلي بالعربية .

إنني أجيد التحدث بالفارسية أيضاً ولا يقتصر الأمر بالتحدث فقط فالببغاوات يمكنها أن تفعل ذلك ، لكنني أتحدث في وجود الملوك والزعماء ... أرجو أن يسامحني سموكم على تطاولي ، ولكن أعتقد أن سموكم يجب أن يدرك كم أنا مفيد لخدمتكم .

بند ٥٠ : سيدي ، من كثرة ذنوبي لا أجد أحداً يمكنه أن يتحدث عني أمام سموكم ، وعليه فإنني أتوسل لكم ألا تعتبرني شخصاً مزعجاً ملحاحاً عندما أخوض في جدل مع سموكم إذ إنني فقط أرغب في خدمة سموكم ، ولأنهم يذكرون أيضاً أنك تحب أن توضح

لك الأشياء بتفاصيلها ، وسموكم مشهور بحسن الاستماع والأخذ والرد ، وعليه فسوف أكون ممتناً لسموكم إذا ما تفضلتم بالرد على هذه الرسالة .

بند ٥١ : وإذا تكرم سموكم بمنحي الفرصة للحكم فربما أمكنكم الإفادة كثيراً من قدراتي وذكائي المحدود بالرغم من علمي أن لدى سموكم عدداً كبيراً من الأفراد المتميزين الذين يمكنهم من خلال ما يتمتعون به من حكمه وبعد نظر أن يحكموا العالم بأسره ، ففي بعض الأحيان يمكن أن يقدم شخص أمي نصيحة قيمة يعجز عن تقديمها المتعلمون وذوو الخبرات ، لقد شهدت أشياء كثيرة خلال حياتي وإذا ما استدعيتني فبوسعي أن أقدم لك تقريراً ضافياً عن كل خبراتي .

بند ٥٢ : سيدي ، سوف أكون أكثر امتناناً بتلطف سموكم وإرسال وثيقة تثبت تحريري من العبودية مكتوبة بخط سموكم ، لأن خطاب الإعتاق الذي سلمه لي القائد الأعلى في عدن قد تم تمزيقه عند وصولنا للهند ، ولقد أخبرت أنني لن أحصل على خطاب آخر ما لم يتم الاستيلاء على عدن ، ولقد أخبرت القائد الأعلى أنني أعتبر نفسي محظوظاً أن أكون عبداً لسموكم لأن في هذه البلاد يتمتع أرقاء الملوك والزعماء بالاحترام والاعتبار .

لو لم يكن هذا واقعاً لكنت قد هربت لكنني لم أرغب في ذلك ، وبالإضافة لهذا إنني لا أعتبر نفسي أسيراً لأن ثقتي في

شخص سموكم الكريم لا حدود لها... تم تحريره على متن السفينة "باستيتا" في ميناء "دابول" في العشرين من شهر أكتوبر ، عام ١٥١٣م .

من شخص يتشرف بأن يكون عبداً لسموكم ، "فرانسيسكو دي البوكيرك" .

وفي العام نفسه (١٥١٣م)

بعـث "فرانسيسكـو كورفينيـل" "Francisco Corvinel" ، وكيـل "غـوا" "Goa" ، من "غوا" ، في الثـاني والعشرين من شهـر أكتوبر ، عـام ١٥١٣م ، برسالة إلى "دوم مانويل الأول" "D . Manuel I" يبـيّن فيها رغبة الأتراك إقامة علاقات ودية معهم ، وكذلك عملية بيع الخيول في الهند : [١٨]

سيدي ،

بواسطة أسطول العام المنصرم ، كنت قد خاطبت سموكم ، وبالمثل في العام قبل الماضي ، من خلال "كريستوفاو دي بريتو" و"دوم ايرس" حيث أبلغتكم بكل ما يحدث هنا وأرسلت منبهاً سموكم في رسائل عدة تضمنت تفاصيل عملكم لكنني لم أتلق أي رد من جانبكم ، الأمر الذي أحبطني كثيراً .

(١٨) رقم الوثيقة والهامش.

لكن أقول ربما يكون هناك رد ضمن مجموعة الرسائل التي وصلت من "كوتشين" لكن هذه عادة ما تستغرق نحو شهر كامل حتى تصل إلينا ، وعليه فإذا كنت لم أرسل لك الرد فذاك يبرره عدم استلامي أية رسائل من جانبكم .

في هذه الرسالة أود أن أشير إلى ما يلي :

لقد غادر الكابتن العام هذا المكان في الثامن عشر من شهر فبراير ، وعاد في العشرين من شهر سبتمبر ، وفي هذا الوقت لم تنجز شيئاً قط غير عملية تحصين هذه الجزيرة وقلعتها وأيضاً تبادل الرسائل والهدايا مع "سابايو" والأتراك رغبة في إقامة علاقات ودية معهم .

عندما نذهب إلى البر الرئيس نعمل على تبادل السلع والبضائع والأموال معهم وبالتالي نحصل على كل ما تحتاجه منهم ، والآن وفي ظل وجود الكابتن العام هنا نأمل بفضل الرب أن نتمكن من تنفيذ الإصلاحات الضرورية .

في العام الماضي تم إجبار خمس من السفن القادمة من هرمز ، وكانت محملة بالخيول للرسو في هذه المنطقة ، ولقد استقبلنا أولئك التجار بكل الترحاب والاحترام واستضفناهم وأكرمناهم بل وأقرضناهم ما احتاجوه من المال .

لقد قاموا بتسويق خيولهم بأسعار ممتازة ومن ثم عادوا إلى هرمز ، ولقد كانت حساباتي أن تلك السفن الخمس بشحناتها من الخيول

قد عادت بفائدة مقدرة لسموكم بلغت خمسة آلاف "برادوس" ، وعليه يمكن لسموكم أن تتبين كم سيتحقق لك من المجد والثروة عندما ترتاد كل سفينة مبحرة هذه المنطقة .

بصرف النظر عن الأموال الوفيرة التي يمكن أن تحققها ، أرى أن بوسع التجار استقطاب غيرهم من التجار الآخرين سيما في ضوء الكميات الوفيرة من الخيول التي تباع وتشترى في هذه الأنحاء .

إنني على ثقة كاملة إنك سوف تصل إلى اتفاقية مع ملك هرمز إذ سيكون من مصلحتك أن تباع جميع الخيول والبضائع المرسلة من فارس إلى هنا ، كذلك البهارات ، الآن مضت ثلاث سنوات منذ أن خاطبتك فيما يتعلق بموضوع مضاعفة أرباحنا في بيع الفلفل والتوابل ، غير أنني لم أستلم أي رد عن الموضوحات التي كتبت لك بشأنها .

بالتالي أرى أنني يجب أن أتصرف بشكل سليم حسب جهدي بالبيع وعمليات التبادل كي أزيد من حجم تجارة سموكم .

في الوقت الذي فكرت في وضع سعر جيد على بعض السلع فوجئت بوصول مركب "زامبوكو" من "كوتشين" كي يفسد على مفاوضاتي ، ففي العام الماضي كنت أقوم ببيع النحاس في "دابول" و"شول" بواقع تسعين "بارداو" عن "الكاندل" "candil" والفلفل بواقع ثلاثين ، لكن كان مركب تجاري قد باعه بواقع ثمانين ، عشرين وعشرين على التوالي ، إنه حقيقة من المخجل في حق سموكم أن

يحدث ويقوم الخلاف بين وكلاء سموكم في أمر بتلك الأهمية ، فيختلفون على السعر .

العرب عندما يذهبون إلى "كامباي" ومعهم مائة "بارداو" يعودون بمائتين وخمسين غير راضين ، ولكنني لا أرغب في قول أي شيء عن هذا حتى لا يعتقد سموكم إنني أدعو عليهم بالشر والوبال ، لقد تمكنتم من اكتشاف العالم بأسره ، لقد أرسلت بعض الرجال إلى "ملقا" كي يتابعوا مصالح سموكم .

إذ ليس في مقدور قائدنا العام الاهتمام بكل شيء خاصة وهو موجود بصفة مستمرة في البحر ، حيث يقوم أحياناً بالإبحار إلى "ملقا" وأحياناً أخرى إلى المضائق ، وكثيراً ما يحدث الانجراف للمراكب بحيث يقتضي الأمر أن ينزل الرجال في البحر سباحة لأجل تخليص المركب وتحريرها .

كثيراً ما يحدث ارتباك وحيرة إبان عمليات بيع البضائع ولابد من إيجاد رجال لترتيب هذه الأمور بطريقة صحيحة ، عموماً ليست لدي أية أخبار من وكلائك في "كوتشين" و"ملقا" ، وبالتالي لا أجد نفسي قادراً على إبلاغك بإنجازاتهم .

على الرغم من أنك لم تخبرني عمن يقوم باستهلاك وشراء جميع شحنات الزنجبيل ، إلا أنني عملت جاهداً كي أزرع كميات وفيرة منه بكل السبل الممكنة ، ومن جانبي أصدرت أوامري في هذا العام بزراعة خمسين "بهار" في هذه الجزر .

كما أمرت أيضاً بزراعة مائة "بهار" وأعد سموكم بأن الكمية سوف تتضاعف عاماً بعد عام حتى يتمكن سموكم من الحصول على كمية الزنجبيل التي ترغب فيها وإذا ما سمح لي سموكم بمعرفة الكمية التي ترغب في الحصول عليها سنوياً ، فسوف أرسلها لك دون أن تكلفك شيء .

الزنجبيل تتم زراعته في شهر مايو ويحصد في شهر يناير ، لكن يظل في حاجة لشهر آخر كي يجف ، وفي العام القادم لن أتمكن من إرسال أي محصول لك إذ لن يكون بالإمكان حصاده في الوقت المناسب ، ولكنى ابتداء من عام ١٥١٥م سوف يكون متوفراً لك بشكل سنوي حسب رغبتك ، لقد أمر الكابتن العام بأن تكون إبحارات هذه الجزر تحت تصرفك .

هناك دخل سري يعود من الخمور المحلية ، وبعدما توقف الإنتاج من جانب العرب وكان حينها بواقع أربعمائة "بارداو" أصبح السكان المحليون في هذه الجزر من "الكاناريين" يحققون أرباحاً بواقع ألف وتسعمائة "بارداو" في العام ، أيضاً هناك ألف "بارداو" ترد من البضائع التي يجلبها التجار .

أما العائدات من إيجار المساكن والأراضي فاعتقد أنها تبلغ ألف "بارداو" أو أقل لأن الأرض ليست جيدة نوعاً ما ، بسبب ملوحة المياه ، غير أنني آمل بفضل الرب أن يصار إلى تحسينها .

نظراً لخطورة البحار المجاورة فإننا لا نحصل على أي دخل منها ، لكن إذا ما حصلنا على الخيول فيمكننا أن نحقق من عمليات الحرث ما يقارب العشرة آلاف "بارداو" .

يحدوني أمل كبير في مضاعفة هذا المبلغ في هذا العام ، لم يول سموكم اهتماماً وعناية برسائلي عندما أبلغتكم عن قيمة النحاس في "كامباي" ، وكذلك في البر الرئيس هنا ، وإذا ما وجدت هذه الأخبار قبولاً لدى سموكم فأرجو أن ترسل لي ألفي قنطار ، وأؤكد لكم بأنني سوف أبيعها بقيمة عشرين ألف "كروزادو" .

عموماً إنني أثق كثيراً في أن هذه السلعة سوف تحقق عائداً معتبراً ، والآن وبعدما تم إغلاق المضائق ولم تعد هناك كميات تأتي للمنطقة فيمكنك بيعها بالسعر الذي ترغب فيه ، وإذا ما كانت موجودة في "كامباي" فبوسعك تسويق كل الكميات في البضائع الهامة في "ملقا" ، وسوف تعود عليك بأرباح طائلة ، كما يمكنك أيضاً أن تحقق أرباحاً جيدة من الزئبق وكبريتيد الزئبق .

إنني أشكو الله ولسموكم ما يصيبني من قبل مسؤوليك في "كوتشين" ، ففي الثلاث سنوات الماضية لم يصدر عني أي شيء سوى أنني طلبت منهم أن يرسلوا لي نسخة من توجيهات سموكم وبالمثل أسعار البضائع التي تقوم بشرائها وبيعها ، غير أنهم لم يستجيبوا قط ، فأصبحت تائهاً... وعليه فإذا ما بدر مني أي شيء لا يتفق مع رغبتكم ، فأعلم أنه قد حدث من غير علم وآمل أن ألا آلام عليه .

لقد ازدادت نفقات هذه المدينة كثيراً في الوقت الراهن ، غير أن الكابتن العام عمل على تخفيضها بشكل كبير خاصة فيما يتعلق بالأجور والمواد التموينية ، ولا أرى أن بوسع سموكم الاحتجاج بشأن "غوا" ، ولقد أنفقت حوالي ثلاثين ألف "كروزادو" نقداً على الأجور وعشرين ألف على المؤن والأغذية ، هذا إلى جانب بعض الأموال التي أنفقتها على مختلف الأعمال .

توجد لديك جزيرة يبلغ محيطها ست فراسخ وتحتوي على أربعة قلاع لا يوجد أفضل منها في إسبانيا بأسرها إذا يوجد فيها الكثير من الأسلحة المدفعية وثلاثة آلاف قنطاراً من البارود والملح الصخري ومواد تموينية تكفي لمدة ستة شهور ، وأسأل الرب القدير أن يمتع سموكم .

وفي العام نفسه (١٥١٣م)

بعثت رسالة من "كانانور" "Cananor" ، الرابع من شهر ديسمبر ، عام ١٥١٣م ، من "أفونسو دي البوكيرك" "Afonso de Albuquerque" حاكم في الهند ، إلى "د . مانويل الأول" "D . Manuel I" يصف له العاصفة الهوجاء عند مدخل البحر الأحمر : (١٩)

سيدي ،

لقد عهد لي سموكم بمسؤولية حماية "كاليكوت" وتشديدها بحيث لا يتم السماح بدخول الإمدادات لها ، تصرف أعتبره مدعاة لضياع الوقت ، وذلك بسبب توفر وجود كميات وفيرة من الأرز في البلاد وفي "كانانور" و"تراماباتام" "Tramapatam" ، ومن المعروف أن هذه المناطق تقوم بتخزين كميات ضخمة منه .

(١٩) رقم الوثيقة والهامش.

ليس بوسع سموكم أن تمنع ذلك إلا من خلال سد الطريق البحري المؤدي إلى "كانانور" ، لأن المسافة من "ترامابانام" إلى "كانانور" مسافة قصيرة جداً عن طريق البر وعادة ما تعمل السفن القادمة من "كاليكوت" للرسو في "ترامابانام" ، وهكذا ترد إلى هناك كميات ضخمة من الإمدادات يتم تصديرها من بلاد "فيجايانجار" ، لذا فإنني لا أنصح بالاستمرار في تنفيذ ذلك لعدم جدوى المشروع ، سوف نقوم بنقل الأرز عبر "كوتشين" لتسويقه وبيعه هناك ، إذا ما (الحاجة) دعت الظروف ذلك .

أما بالنسبة إلى عملية تحميل سفنهم بتجارتهم وبالمثل أحكام الرقابة على "كاليكوت" فإني أبلغك سيدي بأن ذلك الأمر سبق أن وعدت بأن أوليه جل اهتمامي منذ أول عام شرعت في مزاولة عملي كحاكم على الهند ، في شهر يناير أبحرت في اثنتين وعشرين سفينة شراعية اتجهت نحو المضايق وتمكنت من إشعال النار في جميع سفنهم وغادرتها وجميعها مشتعلة يتصاعد منها اللهب والدخان .

منذ أن كنا قد أبحرنا عبر تلك في شهري فبراير ومارس فإنه لم تعد هذا العام أية رحلات بحرية ، ولعل مولانا قد سعد كثيراً بتغيير الخطة والتحول إلى مشروع "غوا" .

بعدئذ وصل أسطول "غونزالو دي سيكويرا" "Goncalo de Sequeira" و"لورينزو مورينو" ولقد رحلت عن "غوا" بعدما قمنا بإخلائها للأتراك ،

وفي الفترة الممتدة من شهر أغسطس وحتى أكتوبر قامت سفن "سيما" و"مارتينز" ، و"فرانسيسكو ماريسوس" و"غارسيا دي سوسا" بشن هجوم على "غوا" وتمكنت من الاستيلاء على سفينة من سفن مكة .

في ذلك الوقت ، أي في شهر أكتوبر ، قمت بمهاجمة "غوا" بينما بقي "سيماو أفونسو" "Simao Afonso" في سفينته كما بقي "جورج بوتلهو" "George Boutelho" أيضاً في سفينته رباعية الشراع ، وعندما سقطت "غوا" وتم الاستيلاء عليها دعاني "الساموريم" "Samorim" لأجل التفاوض في إبرام اتفاقية للسلام .

أرسلت "سيماو رانجيل" "Simao Ranjil" في إحدى السفن التي أبحرت من "غوا" متجهة إلى "كاليكوت" ، ولقد استقل إحدى سفن "كاليكوت" التي كانت راسية عند مدخل الميناء حيث كانوا يقومون بالتدليس والمراوغة حتى تمكنوا من جمع معلومات أكبر عن أجزاء السفينة ، وماذا يحملون على متنها وذلك لفرض مراقبة أفضل على شاطئ البحر .

بعدما انتهيت من قلعة "غوا" ، شرعت في الإعداد في شهر إبريل كي أبحر إلى المضايق تاركاً السفن والمراكب الشراعية في "كاليكوت" ، وأمرت "ديوغو فيرناندي" أن ينتظرني هناك حتى منتصف شهر مايو ، وفي حالة عدم رجوعي حتى منتصف مايو يجب عليه أن يتيقن من وصولي في هرمز في الوقت المحدد .

أما إذا لم يجدني في مسقط أو في ذلك الساحل فيترتب عليه حينها الإبحار إلى هرمز والمطالبة بالضرائب والإتاوات ، وأسأل الله أن يوفقني في اختيار ذلك الطريق إلى "غوا" خاصة وأن الوقت يمضي بسرعة .

على كل وفقت في الوصول إلى "غوا" ، وهنا تركت مجموعة من الناس كانوا جاؤوا على متن السفن "رى بكوينو" "Ray Piquino" و"سانتو اسبريتو" "Santa Esperito" و"روميسا" "Romisa" ، وهذه سفينة جديدة موجودة في الحوض الجاف ، ومركب شراعي واثنين من المراكب الشراعية وبعض المراكب الصغيرة من "غوا" كنت قد قدمتها لمجموعة من الرجال بمناسبة عقد قرانهم .

من هناك جئت إلى "كانانور" ، حيث تركت المزيد من الرجال هناك ، وبعدما أبحرت من هناك وصلت إلى "كوتشين" ، حيث تركت هناك السفن التالية "سمنى" و"أجودا تراندي اجودا ريكوينو" و"روساريو" و"غارسا" والسفينة "ساو تومي" وهي سفينة تم بناؤها في "كوتشين" ، ومع كل هذه السفن والمراكب الشراعية تركت قباطنتها والكثيرين من السادة والنبلاء والبحارة العاملين فيها .

تركت أيضاً "مانويل دي لاسيردا" مخولاً إياه السلطات اللازمة على جميع البحارة والقباطنة حتى يتمكن عند حلول شهر أغسطس من التحرك فوراً لأجل إحكام الرقابة على ساحل "كاليكوت" ، في

ذلك الوقت كان الأتراك قد قاموا بغزو جزيرة "غوا" ، وقد وصل "مانويل دي لا سيردا" و"ديوغو فيرناندس" قادمين من هرمز ومعهما ثلاثة من السفن ومجموعة من رجال "سوقطرة" .

من خلال عدد تلك السفن يتبين لسموكم وجود ثماني عشرة سفينة بالإضافة إلى السفينة الجديدة الموجودة في الحوض الجاف في "غوا" ، وحوالي ألف رجل في قلعة "غوا" في الهند بينهم "كريستوفاو دي بريتو" "Christofao de Breito" و"دوم ايريس" اللذان تمكنا من جمع حوالي سبعمائة رجل في "غوا" ، ويعتبر هؤلاء أفضل الجنود الذين رجعت بهم للهند وأروع السفن التي يتضمنها الأسطول .

لقد تركت الأمور كلها مرتبة بشكل دقيق ، وهذا ما أمرتني به وورد في توجيهاتك السابعة ، وأذكر أنك قد وجهتني قائلاً : عندما تذهب إلى مكان كنت قد حددته يحب علي أن أترك أحد الرجال ومعه بعض السفن لأجل مراقبة وحماية "كاليكوت" والساحل الهند .

على الرغم من أن إيجاد قلعة "غوا" قد قصد منه ردع أية فئة من سكان الهند يمكن أن تعمل على مهاجمتها إلا إنني قد تركت خلفي الأسطول بكامله لضمان حمايتها ودفع أي ضرر يمكن أن يطالها ، وذلك نظراً لأنها جديدة وأيضاً بسبب أن المرء يجب أن يكون يقظاً وحذراً بشكل دائم تحسباً لأي أخطار يمكن أن تأتي من جانب أسطول السلطان .

بالتالي فإنني لم آخذ من "غوا" سوى السفينة "فرول دي لا مار" والسفينة "تافوري" "Tavori" واثنتين من السفن واثنين من المراكب الشراعية و"غاليوت" واحد ، لكن على مبعدة من "سيلان" حدث أن تعرض "الغاليوت" والمركب الشراعي للغرق لكنني تمكنت من إنقاذ طاقم البحارة وبعض الأسلحة المدفعية .

لذا اضطررت لأخذ خمس سفن من "غوا" وحوالي أربعمائة جندي من الهند ومئتي "ملباري" وسفينة "ديوغو منديز" ومعها مئتان من الجنود الغالبية العظمى منهم من "الأريسس" و"النيجوس" من صفاف نهر "لشبونه" و"انكسو بريجاس" وكذلك "بريتون" والملاحين .

الآن آمل أن يتفضل سموكم بفحص الرسائل التي تلقيتها من أناس في الهند كي يتأكد سموكم من إنهم قد زودوك بتقرير صادق ومعلومات حقيقية ومفصلة عن جميع لوائحكم الداخلية ، بل وبترتيب وإعداد جيد يفوق الترتيب المطلوب مني ، هذا العام لم يشهد إبحار أي سفينة قادمة من "كاليكوت" بسبب وجود أسطولكم في مضيق "كاليكوت" طيلة شهر إبريل .

في ظل غيابي عن المنطقة بحكم وجودي في ملقا كان "مانويل دي لاسيردا" قد غادر "كوتشين" مع السفن وبالتالي اضطرتني مغامرة "غوا" للتخلي عن التوجه إلى ساحل "كاليكوت" ، وقد أبحرت ستة من السفن المحملة بالبضائع والسلع وقد شاءت إرادة الرب ورحمته التي يمنها عليَّ بها لمساعدتي بالرغم من افتقاري لأية

جدارة أو أهلية سوى مسؤولياتي والتزاماتي شاءت رحمة الرب أن يذكرني الرب في ملكوته .

عندما كنا نلتزم جانب الساحل ما بين "راس غواردافوى" و"مقديشو" وبعدما وصلنا إلى "سوقطرة" واجهت السفن عاصفة هوجاء فقدنا بسببها اثنين من المراكب الشراعية هناك وكانت واحدة منهما قد دخلت الميناء من "باتيكالا" ، التي يأتي منها محصول القرفة لكم في سفينتي "دوم غارسيا" و"جورج دي ميلو" .

السيد محمد ماكارى ، أشهر تاجر في "كاليكوت" ، قادم في طريقه إلى القاهرة وبرفقته عائلته وجميع ممتلكاته ، وكذلك "سيماو رانجيل" الذي عمل على رشوته وهو قادم في ثلاثة من السفن محملة بالسلع .

قد واجه عاصفة عنيفة وسط جزر "كمادالون" و"المالديف" ، فأغرقت اثنتين من سفنه في الخليج العريض ، وقد تمكن من الوصول لتلك الجزر بسفينته لكنها كانت قد تحطمت وأصابها ضرر كبير أثناء الإبحار وسط تلك الجزر ، وقد تمكن من إنقاذ بعض السلع وقام بشراء بعض المؤن من تلك الجزر .

عندما حانت الفرصة ، غادر بسفينته محملة بالسلع التي تمكن من إنقاذها وبرفقة "سيماو رانجيل" أبحر معتزماً زيارة "قلهات" ، وهناك فقد كل ما لديه من مؤن . ومنها غادر في أحد مراكب هرمز

إلى أن وصل في عدن ، هذا تقرير صحيح ، والآن هل لسموكم أن يتفضل بالنظر في الرسائل التي كتبها لك أهالي الهند كي تكتشف أن ذلك بالفعل قد حدث حقيقة .

في السنة التي شهدت وصول "دوم غارسيا" ، كنت قد غادرت "كوتشين" وقمنا بمهاجمة "بناستريم" ، وقد مكننا الرب بفضله ومساعدته من دحر الأتراك وإقصائهم بعيداً عن الجزيرة ، هذا إلى جانب محمدة أخرى وهي تسليمي جميع المسيحيين وجميع الخدم من الإناث والذكور الذين هربوا من "غوا ، وبالمثل جميع الخيول والمدفعية حسبما أخبرت سموكم من قبل .

بعدما انتهت هذه المهمة ، أمرت على الفور ابن أخي "دوم غارسيا" بالعودة إلى "كوتشين" لأجل إصلاح وصيانة السفن التي تضررت بسبب قصف مدافع الأتراك في "بناستريم" .

بالفعل عملوا على إحكام المراقبة في ميناء "كاليكوت" لكن بالرغم من ذلك استمرت سفنه في المهاجمة ، وتم إعداد عشر سفن كي تكون جاهزة بشحناتها من البضائع والسلع ، وقد كنت بالتأكيد على علم بهذا الأمر ، في ذلك الوقت كان "السامورين" و"النامبيادرين" وأمير "كالكيوت" يتفاوضون بشأن السلام وإمكانية مساندة سموكم ودفع الضرائب .

عليه ففي تلك الفترة لم يحدث أن غادرت سفينة واحدة ،

وترتب على البقاء في "غوا" لأجل تعزيز وتأهيل مضيق "بنا ستريم" باعتباره مفتاح جزيرة "غوا" ، وعلى ضفتي النهر والقنال قمت ببناء قلعة "ساو بدرو" "Sao Pedro" ، ومن ثم أصبحت لا تحتاج إلى أكثر من أربعين أو خمسين جندياً لأجل حمايتها .

كنت قد قمت ببناء برج في "بانجيم" "Banjim" وإقامة حاجز دفاعي حوله ومتاريس امتدت حتى البحر ، والآن لدي أيضاً نصباً أخرى عند حاجز ومدخل الميناء أي في المنطقة التي توجد فيها متاريس المسلمين العرب ، وعندما فرغ ابن أخي من عملية إصلاح وصيانة المراكب كتبت له أخبره بضرورة الرحيل عن ساحل "كاليكوت" ، ولقد كشفت له بشكل سري أنني أعتزم دخول البحر الأحمر لأجل شن هجوم على عدن .

بالتالي ، فإن أفضل خطة يمكن وصفها هي السماح للسفن بتحميل كل شيء حتى نتمكن من استقبالها في مدخل البحر الأحمر ، وهي محملة بكل النفائس ، وهذا ما فعله ابن أخي "دوم غارسيا" ، لقد عملت بالفعل على الإبحار بجميع طاقم الملاحة عندما وصل إلى الحاجز الرملي في "غوا" ، وعلى كل كان عددنا قد بلغ ألف وسبعمائة رجل ، قمنا بتوزيعهم بحيث أصبح في "غوا" أربعمائة جندي وفي "كوتشين" ثمانين جندياً وفي "كانانور" ثمانين جندياً أيضاً .

لقد منّ الرب علينا بطقس جيد تمكنا بعد ذلك من إنجاز كل

شيء ، وسوف يتبين لسموكم هذا الأمر فيما بعد بشكل أكثر تفصيلاً . سيدي ، أرجو أن تصدر الآن أمراً بضرورة تسليمك الرسائل التي كتبوها لك من الهند حتى تتبين من خلالها طبيعة التقارير التي كتبت عن مسيرة الأوضاع في الهند ، ولتعلم أيضاً ما إذا كانوا قد كتبوا لك بصفة منافسين لقائدك الأعلى أو ممن يحسدونه على عمله في خدمتكم .

أحياناً يكون هذا أسلوب البعض لأنهم يتألمون من عقاب وتوبيخ وجهه لهم ، بسبب تصرفاتهم الخاطئة وأفعالهم السيئة ، وأحياناً أخرى يطلبون مني ما لم أقدر على توفيره لهم . بعدما تركنا "كاليكوت" فقدنا إحدى السفن في "بندارين" ، وبعدما تقدموا بعيداً نحو "سوقطرة" تعرضوا لعاصفة هوجاء كانت أيضاً قد ضربت سفننا ورياح عاتية من جهة الجنوب والجنوب الشرقي ، وربما كانوا يبحرون خلفنا بنحو مائة وخمسين فرسخاً .

في هذا الجو العاصف كنا نقاوم بشدة كي نصل إلى الشاطئ القريب من ساحل "رأس غاردفوي" ، وكنا نبحر بمساعدة الرياح الشرقية في وسط المضائق باحثين عن عدن التي كانت تقع في الغرب من خط عرضها الصحيح بينما تأخذنا الرياح إلى جهة الجنوب الشرقي ، وقبل أن تنشط الرياح الجنوبية .

أجهدنا أنفسنا بالإبحار بالمراكب حتى تمكنا من بلوغ الساحل ، ورأينا من على البعد عبد الكريم ومن ثم وصلنا إلى البلاد العربية

وحينها كانت الرياح تهب بشدة وكان البحر ضدنا وبالمثل حركة اتجاه هبوب الرياح ، وعموماً تحملنا وقاومنا حركة البحر والرياح التي كانت عنيفة بحق وحقيقة الأمر الذي جعلنا نفقد الزوارق التي نحملها في مؤخرة السفينة ، وبالتالي كانت تلك الطريقة التي جعلتنا نلزم الشاطئ .

كما ذكرت كانت تلك العاصفة قد أجبرت السفن على الرسو بعدما تسببت في غرق اثنتين منها في قاع البحر ، أما البقية فقد تعرض البعض منها لفقدان صواريها والبعض الآخر تخلصت من حمولتها في البحر ، وقد مكنت إحدى السفن من الوصول إلى "ماهيم" ، ووصلت أخرى إلى "داندا" "Danda" .

هناك سفينتان وصلتا إلى "دابول" حيث وصلت واحدة إلى "كانيكار" والأخرى إلى "باتيكالا" ، أيضاً هناك سفينة أسرعت إلى "كاليكوت" ، لكنها فقدت في "بانين" "Banin" ، وأبحرت أخرى حتى دخلت ميناء "مانجالور" . أما المراكب التي قدمت من "سومطرة" ، و"مارتبان" "Martpan" و"البنغال" فقد أبحرت بعيداً نحو الجزر .

لم أدر حتى الآن ما حدث لها ، تمكنت أحد المراكب من تبعية "ماميل" في "كانانور" والتي كانت تحمل ترخيصاً مزيفاً للمرور إلى هرمز ، تم إصداره بواسطة القائد خلافاً لأوامري ، فقد وصلت إلى "ديو" ووصلت الثانية إلى "شول" .

أما السفينة "الجنك" القادمة من "بيجو" فقد كانت تبحر برفقة

السفينتين المذكورتين ، وهي محملة بشحنة من البضائع ، منها الأرز والعاج ، والورنيش والمسك وبعض الأحجار الكريمة ، ونظراً لعودة هذا الطقس الصعب اضطرت للاحتماء بميناء "ماهيم" .

عموماً غادرت المضايق مبحراً على طول الساحل . أما بخصوص سفينة الجنك والسفن التي تركتها في "ماهيم" فلا رغبة لي في معرفة ما حدث لها بعدما قمت بإبلاغ الجهات المختصة في "كامباي" بتلك المشكلة .

في إطار اتفاقيتنا وصلت إلى "شول" و"داندا" ، حيث قاموا بتسليمي المركب مع كل السلع والبضائع وقطع المدفعية ، ومن ثم غادرت بعدما أوصيت أحد النجارين في "شول" مع "فيرناو دي ريسندي" "Fernao de Recinde" للقيام ببناء سفينتين بأشرعة "لتينية" (ثلاثية الشكل) .

في الوقت الراهن تقوم "كاليكوت" بنقل بضائعها كما يلي :

- بما أنه توجد هناك فئة قليلة من أبرز وأهم التجار في "كاليكوت" نفسها ، يلاحظ أن التجارة والسلع يتم نقلها بواسطة تجار من شمال إفريقيا ، إذ يسافرون بتجارتهم في الفترة الزمنية ما بين شهري أغسطس وفبراير عبر القاهرة وجدة إلى "كاليكوت" ، إذ لديهم هناك سفناً جديدة وأخرى قيد البناء يعملون على تحميلها ببضائعهم وسلعهم التجارية ثم يغادرون .

لقد سألت البعض منهم كيف يجرؤون على المتاجرة مع "كاليكوت" المراقبة باثنين من أساطيلنا واثنتين من قلاعنا؟ فكانت إجابتهم إن الفوائد التي يجنونها جداً عظيمة بحيث إنهم في سبيلها كانوا مستعدين لخوض أية مغامرة ، لأنهم حقيقة بوسعهم في "كاليكوت" تحقيق أرباح جيدة إذ إن كل "كروزادو" في "كاليكوت" يمكن استثماره بحيث يحقق اثني عشر أو ثلاثة عشر في "جدة" أو عدن .

في جدة يتم تسعير الفلفل بواقع خمسة وعشرين "كروزادوا" أما في القاهرة فالزنجبيل والفلفل يعدان ثروة بحق وحقيقة ، لقد بذلت قصارى جهدي لتأخير موعد مغادرة سفنهم لكن من الصعوبة بمكان أن يحصل المرء هنا على فئة قليلة من الرجال ممن يمكن الاعتماد عليهم ومن المستحيل أيضاً جمع ثلاثة آلاف رجل لأنه بصرف النظر عن الذين يموتون ، فإن من يأتون كي يحلوا محلهم عادة ما يكونون مرضى .

كما ذكرت في رسائل سابقة ، فليس كل من شرع في الإبحار من "لشبونه" تمكن من الوصول إلى هنا ، وليسوا كذلك ممن يعول عليهم ، وبالتالي ، سيدي ، أرجو ألا تتوقع مني أن أحقق وأنجز لك أمراً يمكن أن يتم لو كان معي خمسة آلاف من الرجال وحقيقة لو كان معي هذا العدد فإنني وبإذن الرب سوف أتمكن من إخضاع الهند بأسرها وأحصل على كل ثرواتها .

لقد سبق أن تلقيت رسائل سموكم في الكثير من المناسبات وأنت تأمرني بتدمير "كاليكوت" ، ولقد فعلت تماماً ما أمرتني به ، فبعد تدمير "كاليكوت" ، سوف يكون بوسعك أن تفعل ما تريد ، لكنك طيلة الخمس عشرة سنة الماضية لم تحقق شيئاً سوى القليل من العوائق من خلال حربك ضدها ، بل نادراً ما كنت أساطيل سموك تتدخل في عمليات الملاحة الخاصة بها .

إذ إن سفنك التي كانت تقوم بتمشيط مناطق ساحل "كاليكوت" كانت سفناً صغيرة مسلحة بأسلحة خفيفة بحيث إنها كانت ضعيفة يسهل الاستيلاء عليها ، كما أنهم كانوا لا يقدمون على الإبحار بمراكب البغلة ، الأمر الذي جعلهم يفشلون في منع تحميل السفن ، وبالرغم من أن تلك السفن تكون ساعتها تحت رحمة الأمواج إلا أن سفنك تظل في حالة رسو ولا تحرك ساكناً .

الساحل يعج بحركة السفن التي تكون دائماً وتظل قادرة على الإبحار بكل حرية مالم يتمكن سموكم من احتلال هذه الموانئ ، يتوقع سموكم ويحسب أن اثنين من الزوارق السريعة أو السفن الصغيرة يمكن أن يقوما بمراقبة ساحل "كاليكوت" .

لكن هذه سوف يتم الاستيلاء عليها ، لكن لن تتمكن سفننا من الاستيلاء على أي شيء من "كاليكوت" ، على سبيل المثال لن تجرأ "فيروس " على مهاجمة سفينة "كاليكوت" التي أبحرت

من جدة في شهر سبتمبر بالرغم من أنها كانت تبحر على مرأى من "أفونسو دي سالدانها" الذي كان موجوداً بسفينة "فلور دا روزا" .

سيدي ، لماذا تناصب "كاليكوت" العداء وفي حالة حرب دائمة ضدها؟ لماذا ترغب في أن يكون لك رصيداً من السنوات الطوال في حكم الهند وأنت تخوض حرباً خاسرة تدفع وتشجع البندقية على التدخل في شؤون الهند والقاهرة لبناء الأساطيل على أمل أن النجاح في طرد رعاياك وسفنك خارج الهند؟ وفي كل هذا الوقت الذي تقضيه "كاليكوت" في الحرب تواصل القاهرة والبندقية مخططاتها .

بسبب تأثرك بملوك "كوتشين" و"كانانور" وبواسطة وكلائك وسكرتاريتك ، فإنك رفضت الموافقة على إبرام اتفاقية مع "كاليكوت" منذ مضى خمسة عشر عاماً بالرغم من أنك حتى الآن لم تلحق بأعدائك أية خسائر تذكر ، وأنبهك ، حتى ولو كتب ملك "كوتشين" ما يروون له من تقارير جيدة عن وكلائك والسكرتارية العاملين معك فلتحذر من تقاريره تلك ، فهم يقومون بنقل كل أسرار البرتغال وينقلون كل ما تتضمنه لوائحك الداخلية إلى ملك "كوتشين" .

كثيراً ما يأتون إليه بخصوص أي أمر صادر منك كي يلمحوا لي بأنك لم تصدر ذلك الأمر ، وأضيف لهذا ، سيدي ، إنه ليس هناك من أحد يقوم بدعم ومساندة "كاليكوت" سوى ملوك "كانانور"

و"كوتشين" ، فسفنهم هي التي تجلب المؤن والأغذية ، وسفنهم هي التي تبحر محملة بالسلع والبضائع بتراخيص مرور تصدر من وكلائك بالمرور إلى ميناء "كاليكوت" وعلى طول ذلك الساحل .

يقيني سيدي أنهم يحرصون على تزويدها بتلك المؤن حتى تتمكن أنت من الاستمرار في مواصلة حربك ضدها بواسطة أساطيلك وعلى نفقتك فموانيهم تضج بحركة التجار ومختلف أنواع السلع والبضائع ، وبالتالي فهم يرغبون في سحق وتدمير "كالكيوت" من خلال الحرب .

أعتقد أن ملك "كوتشين" الذي يملك قوة حربية تقدر بحوالي ثلاثين ألف محارب من "النيرز" وكذلك ملك "كانانور" بقوته البالغ قوامها ستين ألف محارب لا يرغبان حقيقة في سحق "كاليكوت" ، لأنهما يرغبان في أن يستمر هذا الصراع للأبد .

يعمل التجار المسلمون في "كوتشين" و"كانانور" على تقديم المساعدات والدعم والنصائح ، وكذلك الرشاوي والهدايا ، إلى ملك "كوتشين" وللمسؤولين والقباطنة في قلاع سموكم ، وذلك حتى تتمكن سفنهم من الإبحار بسلام... لكن تحقق لهم تجارتهم أرباحاً طائلة ، وذلك حتى يتم منع سفن "كاليكوت" من الإبحار والتجارة .

سيدي ، في إطار علاقة الصداقة القائمة بينك وبين ملك "كوتشين" ، أرجو أن تجعل من مينائه الذي تتلقى منه الكثير من

الفوائد والأرباح منفذاً لسفن الشحن الخاصة بك ، لتعمل كما يعمل ملك "كوتشين" الذي سعى لعقد اتفاقية سلام مع "الكيمالز" والنبلاء في بلاد "ملبار" الذين يساندون ملك "كاليكوت" وعليه فهو يستقبل الفلفل والتجار من "ربليم" في مينائه .

على أن التجار والسماسرة لا يجلبون معهم من "كاليكوت" أية حجارة كريمة ، لا ترغب أي من "كانانور" أو "كوتشين" في الالتزام سواء تعلق الأمر بالحرب أو السلام ، فهما ترغبان في أن تفعل ذلك لكن ليست لديهما أية رغبة في مساعدتنا .

لكن أرجو أن ينتبه سموكم ويراقب الرسائل الواردة من مسؤوليك لأنهم هم الذين عملوا على وقف الاتفاقية مع "كاليكوت" وأثاروا استياء وغضب ملوك "كوتشين" و"كانانور" بسبب استلامهم رشاوي كبيرة من العرب .

سيدي أرجو أن تسعى لتأمين "كاليكوت" من خلال بناء قلعة هناك ، إذا ما أمكنك ذلك ، ولتحذر تجديد الاتفاقية مع "كانانور" ، إذ لا فائدة ترجى من ذلك بسبب افتقارها لأي ميناء أو نهر تسهل فيه الملاحة بالنسبة للسفن والمراكب كما أنها تفتقر أيضاً لوجود البضائع والسلع مثل الحجارة الكريمة ، بل يغيب عنها التجار الذين يرتادون محطاتك التجارية .

يجب أن تستفيد من "كاليكوت" و"كوتشين" في شحن السفن ،

وهذه أفضل نصيحة أوجهها لك ، ولتجهد لتأسيس منفذ لأجل سفنك في تلك الموانئ لأنك تملك هنا كل ومختلف أنواع السلع مثل القرفة ، الفلفل وسلع "ملبار" وكل الحجارة الكريمة من "فياجاينجار" لأنها اليوم تمثل وحتى لو دامت الحرب مع "كاليكوت" سنوات وسنوات ، أعظم المشاريع في الهند .

أرجو ألا تأخذ بالنصائح أو ما تتضمنه الرسائل القادمة من الهند لأن من يكتبون هذه الرسائل ويرسلونها لك لا يخدمون كجنود وإنما يرسلون للبرتغال أردية الكهنة كي تباع مقابل أربعين أو خمسين "كروزادو" للرداء الواحد ، أيضاً فلتعمل على إيقاف الحرب ضد "كاليكوت" ، وبذلك تكون قد حققت شيئاً جديراً بالأهمية فيما يختص بالأمن والسلام .

من واقع استتاب السلام سوف تحوز على كل أنواع السلع والبضائع مثل الحجارة الكريمة والزنجبيل من مصادرها كي تشحن في سفنك ، في الواقع لا تعتبر "كانانور" أكثر من مركز تجاري ، وهي تعتمد على "كاليكوت" في جميع السلع التي تقوم بشرائها وبيعنا المؤن والأغذية بالتجزئة بأسعار تبلغ ضعف الأسعار الأصلية –الأمر الذي يقف دون تحقيقك أية فوائد تذكر– .

هكذا فإذا ما فرغت من هذا الأمر على النحو الذي فصلته لك هنا ، فلا شك أن مصالحك في الهند سوف تزدهر ، أضيف لهذا إن محاولة تدميرها بالكامل تبدو أمراً مستحيلاً ، وأفيدك أنك قد

أصبحت بالفعل موضع حسد كل من القاهرة والبندقية وتركيا فجميعها تحسدك على الشهرة والثروة وكل الانتصارات التي حققتها في الهند .

في إطار هذا البرنامج فإنهم لن يتجرأوا على القدوم إلى هنا . نقطة أخرى بخصوص "كاليكوت" : تبين أن "السامورين" ألد خصومك من الخونة قد توفي مسموماً بواسطة "تامبياديرى" الذي خلفه على الحكم .

الآن ترغب بلاده في إبرام اتفاقية سلام مع سموكم مقابل مساعداتك والاتفاقيات والسلع التجارية ويرغبون في منحك كل ما تطلبه وكل ما يتوفر في بلادهم ، وفي حالة قيامي بتفعيل اتفاقية سلام مع "نامبيا ديرى" فإنني أحب أن أعرف ما إذا كنت ترغب أن يستمر ملك "كوتشين" في دفع ضرائبه السنوية .

لقد أمرتني بطرح سلام شامل في بلاد "مالابار" ، ولقد تابعت أمرك هذا ، ولكن إذا ما حدث في وقت ما أن الأمور لم تجر بما يشتهي سموكم ويأمل ، فيجب أن يسقط سموكم هذا الأمر من ذاكرته فيما يتعلق بدوري ، ولعل الضرر والخسارة التي اعتبرها أسوأ خسارة استهدفت سموكم هو ما تفعله الفئة التي تخاطبك من الهند لأنهم لا يسمحون لك بأن تقول كلمة حق فيما يتعلق بشؤون الهند وبالفعل لقد ألحقوا بسموك أضراراً بليغة .

من "كانانور" بتاريخ الرابع من شهر ديسمبر ، عام ١٥١٣م .

كتب بمشورة "البوكيرك" حاكم وخادم سموكم

"أفونسو دي البوكيرك" .

أحداث عام ١٥١٤م

في بداية شهر يناير عام ١٥١٤م ، كتب "فيرناو لوبيز دي كاستانهيدا" "Fernao Lopes de Castanheda" في كتابه تاريخ اكتشاف وفتح الهند بواسطة البرتغاليين ، عن البحرين وعن اللؤلؤ في تلك البلاد ، في الفصلين السابع والعشرين بعد المائة و الثامن والعشرين بعد المائة : [٢٠]

الفصل السابع والعشرون بعد المائة :

في بداية شهر يناير للعام ١٥١٤م ، أراد الحاكم الاستعداد ليغادر إلى هرمز لإكمال بناء القلعة في ظروف آمنة ، لكنه لم يتمكن من ذلك ، لأنه اكتشف أن كل سفن ومراكب الأسطول تتسرب المياه لداخلها وستغرق إن أبحرت ؛ لذلك كان من الضروري أولاً أخذها للشاطئ وإصلاحها .

---

(٢٠) رقم الوثيقة والهامش.

لصعوبة مغادرة الهند في تلك السنة ، استدعى الحاكم المجلس ليقرر إن كان عليهم قضاء الشتاء في "غوا" ، أو في "كوتشين" ، حتى يشرفوا على أعمال البناء في "كاليكوت" ، حيث لابد من اكتمال بناء القلعة خلال نفس السنة ، خلال الاجتماع تم الاتفاق بأن يقضي دوم غرسيا الشتاء في "كوتشين" مع بعض قواتنا ، حتى يتمكن من الذهاب ونجدة رجالنا في "كاليكوت" إن تطلب الأمر على أن يقضي الحاكم وبقية قواتنا الشتاء في جوا ، لعدم وجود المال الكافي في "كوتشين" لأداء أجور البحارة الهنود .

كما لا توجد بضائع تقدم لهم بدلاً عن رواتبهم ، لأن الوكيل التجاري قد باعها كلها للعرب ، بسبب تعاملات الوكيل التجاري مع العرب ، كسب العرب كثيراً (كانوا يدفعون للوكيل التجاري بعد ثلاث سنوات) ، بينما لم يكن ملك البرتغال يملك المال الكافي ليدفع لموظفيه ، لذلك تعامل الحاكم مع الوكيل التجاري بشدة – كيف لا يكون معه أي أموال ، وهو يتسلم الموارد المالية من ست سفن ضاعت .

تم إنقاذ الصناديق التي يحتفظ بالأموال فيها؟ كما أن العرب عليهم استحقاقات أكثر من خمسة عشر ألف كروزادوس من السنة السابقة ، ولم ينفق من هذا المال على الأسطول ولم يستخدم شيء منه في سداد مؤن واحتياجات الجنود والرواتب لأن نفقات أولئك جاءت من ثمن الفلفل الذي أخذ من المضيق .

كيف شرح أسباب كل ذلك؟ الوكيل التجاري ، وقد علم أنه وقع في شر أعماله ، لم يجب بكلمة ؛ ولم يلاحق الحاكم المسألة ، لأنه كان قد تسلم تعليمات من الملك بعدم التدخل كثيراً في شؤون الوكلاء التجاريين ، وكانت تلك التعليمات قد صدرت بناء على نفس الوكيل التجاري ، و"أنطونيو ريل" اللذان كتبا للملك من الهند ، لأنهما كانا يخشيان أن يحبط الحاكم تعاملاتهما ، لأنه يضع مصالح الملك في كل وجدانه .

عندما تقرر أن يقضي الشتاء في "غوا" ، بعث بقريب له يدعى "جورجي دي البوكيرك" "Jorge de Albuquerque" إلى "مالاكا" حيث كان عليه أن يعمل كقائد للقلعة لعدة أسباب رأى من خلالها أنها ستكون من مصلحة الملك ، وقام باستدعاء "روي دي بريتو" "Rui de Breito" ، القائد الحالي في مالاكا إلى الهند .

منح المنصب أولاً إلى "بيرو دي ماسكارنهاس" "Pero de Mascarinhas" ، لكن بما أنه رفضه ، تم منحه إلى "جورجي دي البوكيرك" ، وأطلعه على ما يجب القيام به في مالاكا ، وأعطاه بعض الرجال ليأخذهم على سفينته . بعد أن قدم له كل ما يحتاجه غادر "كوتشين" ، وفي الطريق قام بزيارة القلعة في "كاليكوت" التي كانت أعمال البناء قد تقدمت فيها كثيراً .

قام أيضاً بعمل كل الترتيبات الضرورية من أجل القلعة في "كانانور" ، وتقدم بعد ذلك نحو "غوا" ، عند وصوله إلى هناك رأى أنه

من الأفضل أن يبعث بمبعوث إلى ملك "كامباي" لأن "ميليجوبيم" "Milguibem" كان قد كتب له بأن ملك "كامباي" يود منحه قلعة ومحطة تجارية في "ديو" .

دعا لاجتماع المجلس والرجل الذي عين لتسوية هذه المسألة ويقوم بمهمة رسولنا كان هو "ديوغو فيرناندیز دي بيجا" وأن يكون "جايمي تيشييرا" نائباً له ورجل آخر يدعى "فرانسيسكو بايس" في وظيفة كاتب له ، وأن يكون المترجم هو "دوارتي فاز" "Duarte Vaza" ، أمر الحاكم فرسانا آخرين بمرافقة "ديوغو فيرناندیز" على أن تتوفر كل احتياجات البعثة .

كان على "ديوغو فيرناندیز" والآخرين الإبحار على سفينة "روميلوت" ، تتبعها السفينة "انشوبريفاس" "Inchobrivas" حتى "شول" ، ثم يبعث بها "ديوغو فيرناندیز" بعد ذلك إلى "ديو" ، كان عليها إيصال حمولة من البضائع إلى "فيرناو مارتنز ايفانجيلهو" "Fernao Martins Evangilho" ، الوكيل التجاري في "ديو" .

كان على "ديوغو فيرناندیز" أن يواصل رحلته إلى بلدة تسمى "سورات" "Surat" ، تقع في خليج "كامباي" ، حيث سينزل هناك ليجد شخصاً يدله على الطريق للمنطقة الداخلية التي يعيش فيها ملك "كامباي" .

رفض "ميليجوبيم" كل ذلك ، وكان حاكماً على "سورات" ؛ وعليه أبحر "ديوغو فيرناندیز" بعيداً عن "غوا" -كان ذلك في فبراير-

وبعث "بيرو كويرمادو" "Pero de Quirmado" مع أحد الكهنة يدعى "اناجاباتو" أمامه حتى يطلبوا من ملك "كامباي" أن يمنحه هو وحاشيته تصريح مرور آمن ، لكي يكون عند وصوله إلى "سورات" التصريح بالمرور جاهزاً ، ولن يتأخر .

بعد مغادرة "ديوغو فيرنانديز" أرسل الحاكم ابن عمه "بيرو دي البوكيرك" "Pero de Albuquerque" إلى "رأس جوردافي" ليبحث عن السفن ويستولى عليها ، كما عليه أيضاً المرور بـ عدن ، ويواصل من هناك إلى هرمز ليجمع الجزية التي لم تسدد لعامين ، وأن يسأل في هرمز الملك ورئيس الوزراء إن كانا سيسمحان له بإكمال بناء القلعة وإنشاء محطة تجارية هناك .

كما أمره بأن يستكشف جزيرة "البحرين" ، التي سمع أنها غنية جـداً وعينـه قائداً عاماً لأربع سفن ، كان هو نفسه قبطاناً على إحداها ، وكان القباطنة الآخرون هم : "روي غالفاو" و"أنطونيو رابوسو" و"جيرونيمو دي سوزا" "Jeronimo de Sousa" ، بعد أن أعد كل شيء غادر إلى "رأس جوردافي" .

الفصل الثامن والعشرون بعد المائة :

عندما وصل إليها كان قد استولى على سفينتين من "مكة" ، كانتا في طريقهما للوطن قادمتين من "كامباي" ، عندما سمع العرب بذلك ، خافوا وبحثوا عن ملجأ في هرمز ، حيث كانت هناك حوالي خمسين سفينة راسية .

في بداية مايو ، ذهب إلى هرمز التي لم يعد يحكمها الملك "سيف الدين" لأن "ريس نور الدين" اغتاله وأصبح رئيساً للوزراء ، كما توفى "كوجيتار" "Coujitar" ، ولهذا السبب خلفه شقيقه "ريس توروشا" ، وهو الذي عين "ريس نور الدين" رئيساً للوزراء .

استقبل الرجلان "بيرو دي البوكيرك" بطريقة جيدة ، لكن لأنه كان يريد أن يستكشف البحرين ، لم يكن يريد التأخير ، وأبحر باتجاه الجزيرة التي تقع في الخليج الفارسي ، وعلى مسافة مائتي فرسخ من هرمز ، وهي جزيرة ضخمة تمتلك كماً هائلاً من مصادر المياه والخضروات والأشجار .

يقطنها العرب الذين هم رعايا لملك هرمز ، والذي تعود له الجزيرة ، إلا أنها احتلت في ذلك الوقت من قبل أحد قادة الشيخ إسماعيل ، يوجد بها الكثير من اللؤلؤ ومزارع اللؤلؤ في المياه التي حولها ، ويقوم السكان بجمعها وبيعها للتجار بأسعار باهظة .

يتلقى الحاكم رسوماً كثيرة من هذه التجارة التي يأخذها التجار إلى الهند . عندما اقتربت سفن "بيرو دي البوكيرك" من "البحرين" ، وجد أن الرياح الغربية أصبحت أكثر شدة وستقف حائلاً دون وصوله إلى وجهته ، فإن انتظر الرياح الشرقية لن يستطيع العودة إلى الهند في حدود الوقت الذي حدده له الحاكم ، ولذلك عاد إلى هرمز حتى لا يتأخر أكثر من ذلك .

وصل إلى "ريشير" "Reshehr" التي تقع على مسافة يومين

بالسفن من "البحرين" ووجد هناك "مير أبوساق" أحد قادة الشيخ إسماعيل - بدأ بشن حرب على ملك هرمز عن طريق البحر ، واستولى على عشرين مركباً كان الملك احتفظ بها هناك لتطوف في البحر بمهمة دورية ، وبناء على طلب من "بيرو دي البوكيرك" تركها "مير أبوساق" تذهب ، وكانت بينهما علاقة صداقة حميمة ، عاد "بيرو دي البوكيرك" إلى هرمز حيث قضى فصل الشتاء .

خلال تواجده هناك تحدث مع ريس نورالدين وملك هرمز ،وطلب منهما نيابة عن الحاكم تسليمه القلعة التي بدأ البرتغاليون في بنائها على الجزيرة ، لكنهما رفضا ذلك قائلين إن الملك احتلها بنفسه ، واستخدمها كمقر إقامة له ، وأضافوا قائلين : لماذا يريد الحاكم قلعة في هذه المدينة طالما أنها تعود لملك البرتغال وتدفع له الجزية؟

بجانب أنه إن أراد محطة تجارية هناك فستكون في أمان ، حتى وإن كانت في منزله الخاص ولذلك فهم في انتظار رسالة من ملك البرتغال في أي يوم رداً على رسالة بعث له بها ملك هرمز السابق ، لابد من انتظار الرد ، وبعدها ينفذون ما يأمر به ملك البرتغال .

رأى "بيرو دي البوكيرك" أن ذلك مجرد عذر ، وهو لا يود الحديث حول هذا الأمر ؛ طلب أموال الجزية التي تبلغ عشرة آلاف "سيرافين" ودفعت فعلاً .

خلال إقامته هناك ، باع بعض الغنائم التي كان قد استولى عليها

خلال هذه الرحلة من عرب مكة ، وهم أعداؤنا ، وقد أبحروا دون استخراج تصريح مرور من الحاكم .

بعد عملية البيع كان مكسبه خمسة وثلاثين ألف "سيرافين" ومضافاً إليها مبلغ الجزية يصبح إجمالي المبلغ خمسة وأربعين ألف "سيرافين" ؛ هذا بخلاف حساب سفينة محملة بحمولة من الأقمشة البيضاء لم تباع بعد . عندما أزف الوقت أخذ معه النقود وأبحر إلى الهند .

وفي العام نفسه (١٥١٤م)

بعث الملك "دوم مانويل الأول" "D . Manuel I" ، "ألميريم" "Almeirim" (السواحل) ، في الثاني من شهر مارس ، عام ١٥١٤م ، برسالة إلى "أفونسو دي البوكيرك" "Afonso de Albuquerque" ، الحاكم في الهند ، في هذه الرسالة طلب الملك البرتغالي استفسارات عن أمور كثيرة حول "مكة" من تواجد قوات والمسافة من "جدة" ، وكذلك عن "السويس" و"القاهرة" ، وكأن موضوعاً خطيراً يعد لاحتلال "مكة" : (٢١)

الصديق "أفونسو دي البوكيرك" ، نحن الملك ، نبعث لك بتحياتنا .

إلحاقاً لرسالتنا السابقة التي تلت التقرير الجيد الذي قدمته عن "جواو سيراو" ، واعتباراً لخدمته لنا بطريقة رائعة في مسائل أوكلت

---

(٢١) رقم الوثيقة والهامش.

إليه ، رأينا أنه من الأفضل أن نبعث به لك ليعمل معك ويخدمك في كل ما توكله إليه ، ونأمل أن يخدمك بطريقة جيدة .

كما رأينا من المناسب أن أكتب لك عما نريده أن يقوم به .

نود منك أن تبعث به ليدخل البحر الأحمر ، ويذهب حتى "السويس" ، وأن يعد مذكرة بكل ما يراه من البداية وحتى النهاية ، من المدن ، القرى ، الأماكن ، الموانئ ، المراسي ، الجزر وكل أساليب التعاملات وأي شيء آخر .

كما نود أيضاً أن نعرف أنواع السفن التي تبحر هناك وأي موانئ يمكن أن يذهب إليها الأحباش .

نحتاج لمعرفة كل ما يجري هناك في ذلك الجزء من العالم ، حيث تسافر القوافل وكيف تعبر ، وأي أنواع من السلامة هو المتوفر ، ونوعية الناس الذين يقابلونهم في الطريق وحتى الوصول إلى الحبشة .

هل هناك أي ملوك لا يعرفون عن سلطاننا؟ وهل هم مسلمون أم وثنيون؟ كم من الوقت تستغرق تلك القوافل في رحلتها ذهاباً وإياباً؟ وماذا يحضرون معهم وماذا يأخذون؟

نود معرفة كل شيء يتعلق بالحبشة على وجه الخصوص .

فقرة : أي نوع من المكان هي السويس؟ هل هي من نوع المكان الذي يستطيع المرء بناء قلعة فيه؟ هل بها مياه صالحة للشرب؟ هل يمكننا تدمير ما قد نجده خاصة السفن وأي شيء آخر يؤلف أسطولاً

حربياً؟ ما هي المسافة من السويس حتى القاهرة؟ هل هي صحراء أم منطقة مأهولة بالسكان؟

نحتاج إلى معرفة كل ذلك بالتفصيل حتى نلم بكل شيء ولا يفوت عنا شيء .

فقرة : بالمثل نود معرفة كل ما يخص ميناء "جدة" ، وما هي المسافة بيننا وبين "مكة"؟ ونوع المنطقة؟ إن كانت مأهولة أو لا ؟ وان كانت هناك مياه صالحة؟ كما نود أن نعلم إن كانت هناك حامية في "مكة"؟ ما نوعها وحجمها؟ وما نوع السكان؟ وكم يبلغ عددهم؟

فقرة : تحقق أيضاً بعناية عن كل الخليج الفارسي وحتى "البحرين" ، مثلما الحال في البحر الأحمر ، وأن يدوِّن كل شيء يمكن أن يجده المرء هناك : ما نوعية السفن الخفيفة التي يمكن أن تبحر بسهولة هناك؟ السفن الضخمة والسفن ذات المجاذيف؟ وأي سفن أخرى يمكن أن تكون مناسبة؟ ويمكن بناؤها بسهولة .

الرجال الذين نبعث بهم مع "جواو سيراو" يجب أن يكونوا رجالاً قادرين ، وأن يأخذوا معهم ملابس دافئة ، وأن تكون السفن مزودة بكميات كبيرة من السلاح والمدفعية .

فقرة : سيسعدنا جداً أن يأخذ معه أشخاصاً قادرين على الوصف الجيد وبدقة عن كل ما يتعلق بالبحر الأحمر ، كل الموجود فيه ، حتى لا يفوتهم شيء .

فقرة : كما نريد منك أن تتحقق بقدر الإمكان من أعمق الأماكن لذلك البحر ، وخاصة المناطق الضحلة والقنوات الضحلة التي تبحر عبرها السفن ، كما أنه على "سيراو" أن يتعرف على العرض والاتساع الحقيقي للبحر والأماكن الضيقة فيه .

ما هي المسافة من جانب إلى الجانب الآخر؟ وما هي أعماقها على التوالي؟ وما هي أكثر الأماكن عمقاً وأكثر ضحالة في البحر الأحمر؟ هل الجزر التي على البحر مأهولة؟ أي نوع من الناس؟ أغنياء أم فقراء؟ هل عندهم مياه صالحة للشرب؟ وهل يمكن بناء قلاع هناك؟

نرجو أيضاً أن تستعلم كم المسافة بالفرسخ من المضائق إلى السويس وامتداد البحر حتى "سانتا كاتارينا" "Santa Catherina" .

ندرك أنك فيما يتعلق بتلك الأشياء لديك المعلومة الكافية ، لكن رغم ذلك نريد منه "جواو سيراو" أن يستكشف عن كل ما سألنا عنه بطريقة تفصيلية بقدر الإمكان ، وأن تمنحه وتبعث معه أفضل السفن لهذه الرحلة .

رجاءً أن تقوم بكل شيء تراه ضرورياً حتى تتمكن من كتابة تقرير لنا بأسرع وقت ممكن... .

كتب في "الميريم" بتاريخ الثاني من شهر مارس ، عام ١٥١٤م....

قام بذلك "أنطونيو فيرنانديز" "Antonio Fernandes"...

الملك .

(في الجهة المقابلة) من قبل الملك إلى "أفونسو دي البوكيرك" ، العضو في مجلسه والقائد الأول لمناطق الهند .

وفي العام نفسه (١٥١٤م)

بعث "أفونسو دي البوكيرك" "Afonso de Albuquerque" ، من "غوا" "Goa" ، في الخامس والعشرين من شهر أكتوبر ، عام ١٥١٤م ، برسالة إلى الملك ، يفيده فيها عما يقوم به بخصوص انتصاراته في حدود دولة الهند وأنه بدون قلعة هرمز لن يبقى هناك ، وتفاصيل أخرى : [٢٢]

سيدي ،

فيما يتعلق بما كتبته سموك لي في رسالة سابقة عن موضوع البحرين والخطوات التي يجب اتخاذها للدفاع عنها وحكمها ، بينما نطهرها من الدين الآخر ، فإنني أقول ، سيدي ، أن تلك أشياء تحقيقها أمر غاية في السهولة وهي ليست خارج نطاق سلطتك باستثناء شيئين :

---

(٢٢) رقم الوثيقة والهامش.

أحدهما يتعلق بصيانة وإصلاح السفن ، لا نستطيع وضع طولين من مقطورة السحب بدون رسوها عند الشاطئ وذلك لأن معلوماتنا عن المد والجزر خارج سواحل الهند تكاد تكون معدومة ، ذلك الخلل لا يمكن تحديده في الوقت المناسب وتحتاج إلى القيام بذلك في مرات عديدة .

بسبب ذلك علينا الإبحار بمحاذاة هذا الساحل في أغلب الأحيان وبعون الرب وطالما أن هرمز في مأمن فلا أحد في هذا الإقليم سيكون خارج حدود سلطانك ولا حتى سيتمكن من ذلك إن كان في نيته القيام به ، لأن لهم كحماية وكعاصمة مدينة هرمز وكأعداء فهم العرب الذين على بلاده .

سيدي . البحرين مكانٌ هامٌ وغنيٌ ، إن صيد اللؤلؤ ليس بالأمر الذي يمكن الاستيلاء عليه والقيام به لأن من يقومون به فقراء يذهبون إلى هناك في كل عام ليكسبوا رزقهم ، ويبدو لي أن الصيد عبر الشباك في هذه المنطقة سيأتي لك بربح مضاعف ، وإنني موافق على هذه المبادرة .

كما قلت في السابق في رسالة أخرى ، فإن سموك فعل حسناً بأن استولى على هرمز وإنني أتفق مع ذلك القرار ، لأنه بالرغم من أن تلك الأشياء تبدو متشابهة وهي فقط يصعب الحفاظ عليها ، لكنها رخيصة ومربحة جداً .

المسلمون في هذه المنطقة والرجال الذين استولوا على تلك البلاد وحكموها لم يحصلوا عليها كميراث من أجدادهم وأسلافهم وقريباً سيتركونها تحت الضغط ، وإن تم الدفاع عنها بعد ذلك بطريقة جيدة وعندما تصبح هرمز في أيدينا عندها تصبح البحرين آمنة وكل شيء في الخليج الفارسي .

هذه ليست جوهرة تترك تحت تصرف المسلمين ، على الأقل ليس بسبب تجارة التوابل التي تريد أخذها من مكة والقاهرة ، إضافة لذلك فإنه من الضروري لسموك أن تسمح لهم بمنفذ آخر .

اكتملت في الخامس والعشرين من شهر أكتوبر ، عام ١٥١٤م وكتبت بواسطة "أنطونيو فونسيكا" "Antonio Vonsica"

عمل تم أداؤه من أجل سموك .

"أفونسو دي البوكيرك" .

وفي العام نفسه (١٥١٤م)

صدرت أوامـر لـ "كريستوفاو دي بريتو" "Cristovao de Brito" ، (المكان مجهول) ، في الثامن والعشرين من شهر أكتوبر ١٥١٤م ، من "أفونسو دي البوكيرك" "Afonso de Albuquerque" أن يستولـي على أي سفن وما تحمله وهي ليست بينها وبين البرتغاليين أيّ اتفاقية : [٢٣]

هذا ما ستقوم به وتنجزه أنت ، "كريستوفاو دي بريتو" ، عندما تغادر كقبطان وقائد للسفن بأمر من سيدنا الملك أثناء ممارستك للتجارة بين "كوتشين" و"كامباي" وفي تلك الموانئ حيث يعتبر وكلاؤه التجاريين توفر إمكانية بيع البضائع والسلع وجني الكثير من الأرباح :

أولاً ، لن تستولي أو تقبض على أي سفن من أي مكان تحت

(٢٣) رقم الوثيقة والهامش.

حمايتي كما ليس عليك مطاردتها أو الصعود على متنها أو محاولة حتى التقرب منها وإلقاء التحية ، لأن تلك هي العادة في الهند في الوقت الحالي وأيضاً قرار سيدنا الملك .

إنك ستحاول الاقتراب من مسافة يمكن إلقاء التحية منها وإن عرفت أنها من عدن أو جده فإنك ستستولي عليها دون أن تتسبب في أي أضرار أو أذى أو أخذ غنائم ونهب بل وأن تحضرها لي تحت الحراسة لأقرر إن كان علينا الاستيلاء على تلك السفينة أو إطلاق سراحها إن كان ذلك يصب في مصلحة الملك .

يرجى منك مرافقتها والمعاملة الجيدة لها وإن حدث أي مكروه أو مضايقة أو سلبت ، فإن أي تعويض سيتم على نفقتك .

فقرة : نشير إليك بعدم اعتراض سفن من هرمز تبرز لك ضمانة من ملكها أو حاكمها لأنهم حصلوا عليها مني طالما أنهم لا يتمكنوا من توفير الحماية مثل الموانئ الأخرى والبلدات التي تحت طاعة سيدنا الملك .

عليك معاملتهم بطريقة مشرفة كاتباع ورعايا لسموه ، وجعلهم يواصلون طريقهم إلى "غوا" كما تم الاتفاق بيني وبين ملك هرمز .

فقرة : إن واجهت سفينته في المنطقة التي وصفتها لك أو عدة سفن تحمل خيولاً من "الشحر" على ساحل الجزيرة العربية ، فعليك حجزها واعتقالها وإرسالها تحت الحراسة إلى "غوا" ، لأنها من أماكن

ليست لنا معها معاهدات سلام ، كما إنها قد تكون سفناً من هذا الجانب من الهند الذي تمارس التجارة معه وعليك إحضارها سليمة وتحت الحراسة كما بنيت ذلك في الفقرة السابقة وحتى أوافق أنا فيما يجب عمله نحوها .

خلال إبحارك على الساحل ليس عليك القيام بالاستيلاء أو الانتقام أو اتخاذ عمل عدائي على مرأى من اليابسة ومن موانئ الهند . عندما تكون راسياً في أي ميناء لا تقيم بنشر أشرعتك لمهاجمة أي شخص حتى إن كنت متيقناً إنه من أعدائنا ، حتى لا تتسبب في استعداء الموانئ التي يمارس فيها الوكيل التجاري الذي تحمله معك بيع وشراء بضائعه .

فقرة : ليس عليك اللجوء إلى أي ميناء باستثناء تلك التي قررت من قبل موظفي محطة "كوتشين" التجارية والتي للوكيل التجاري عن بضائع السفينة موضوع السؤال تفويضاً عنها .

في تلك الموانئ حيث يمارس الوكيل التجاري التجارة يمكنك استغلال الفضل الذي منحه لك سيدنا الملك بأن تشتري وتبيع بضائع بأسعار ثابتة يحددها وكيل السفينة التجاري في البر وعلى الموانئ حيث تباع وتشترى تلك البضائع التي تحملها معك .

ستؤدي المستحقات والرسوم على بضائعك لملوك تلك المناطق وحكام الموانئ كما اتفقت معهم على ذلك بضاعة سموه معفاة

من الرسوم والبرتغاليون الذين يتاجرون يؤدون رسومهم طبقاً لعادة البلاد . ستقدم بياناً بكيفية سدادك للرسوم حتى أطلع عليه .

نفذ ذلك بطريقة تضمن أن بضاعة سيدنا الملك لا تتعرض لأي أضرار أو خسارة وألا يتم أي استيلاء أو اعتراض يتم عن تلك التي للوكيل التجاري من خلال تقصيرك في دفع الرسوم .

فقرة : أشير إليك وآمرك بعدم إرسال شخص بمفرده للشاطئ ولا تترك أي أحد خارج السفينة باستثناء الوكيل التجاري وكاتبه العمومي ومسؤول المشتريات لشراء المواد والمؤن للسفينة ، عليك دائماً بإرسال حاجبك في قارب لمنع الرجال من الذهاب إلى الشاطئ ، لأنك كما تعلم ، فإن الموانئ التجارية مليئة بالأجانب الذين يتسببون لنا دائماً في الكثير من المشاكل والأذى بقدر ما يستطيعون ، وهذا يحدث أحياناً نتيجة للسلوك الفوضوي من رجالنا الجاهلين .

من أجل عملك الخاص يمكنك إرسال أحد رجالك لممارسة التجارة مع الوكيل التجاري .

فقرة : نشير إليك بعدم ممارسة التجارة في أشياء ممنوعة من قبل سموه ، لعدم وجود أي شيء يخالف ذلك كتابة في التفويضات والمنح التي وفرها سموه ، هي : التوابل والأدوية ، صمغ ، حرير ، الصبغة ، والصفيح والتي رأيتها بنفسي في تعليماته .

أما بخصوص الفلفل وكل التوابل الأخرى باستثناء القرنفل والقرفة فيمكنك البيع والتجارة فيها حتى ستين قنطاراً وهذا مدرج في تصريح سموه لك عن كل رحلة تقوم بها .

يمكنك أن تحضر معك في غرفتك بالسفينة ستين قنطاراً من أي بضاعة تجنى من ورائها الأرباح كما هو مبين في التصريح من سيدنا . يمكنك عدم تحميلها في ظهر السفينة لكن فقط في الجزء من الغرفة بالسفينة التي منحها لك سموه .

فقرة : إن رغبت في انضمام أي سفن أخرى لمجموعتك والتجارة معها ، يمكنك القيام بذلك بمقتضى التصريح والضمان الذي معك ، لكن فقط في الأماكن التي حددها سموه وحيث تنقل لوكيله التجاري التعليمات من وكيل "كوتشين" التجاري . البضائع التي تحملها السفن المذكورة يجب عدم بيعها إلا فقط بالسعر الذي يبيع به الوكيل التجاري في تلك المنطقة .

فقرة : لا يمكنك أخذ أي مجموعة في الهند لأن التجارة والبضائع التي تم التصريح لك بها من قبل سموه ولأن الكمية قد تكون بحيث تتسبب في تعطيل أو خسارة السفينة أو البضائع التي تعود لسموه إن لم تتمكن من تنفيذ عملك الخاص بالسرعة الممكنة بمثل ما تؤديه لأعمال سيدنا الملك ، قد يتسبب في تأخير للسفينة وعند تبادل بضائع سموه يمكن أن يتداخل ذلك مع أعمال وتزويد محطاته التجارية في أماكن أخرى .

فقرة : البضائع التي تشتريها على حسابك الخاص يجب أن تكون بنفس الأسعار التي يشتري بها الوكيل التجاري للملك في المنطقة ، لا تشترى قبله لكن كن عملياً وخذ بنصيحة الوكيل التجاري حتى يبدو الأمر عند السكان المحليين بأن كل البضاعة عبارة عن كمية واحدة ، لأنه بتلك الطريقة قد تربح كثيراً ولا تؤدي لأي أضرار لأعمال سموه .

إذا سألك الوكيل التجاري عن شخص ما لمساعدته في تخليص على البر للبضاعة على الأرض فعليك إعطاؤه أولئك الذين ترى أنهم أفضل تعليماً وأنهم ليسوا من أولئك الذين قد يتصرفون بعدم انضباط على اليابسة .

كتبت في "غوا" بتاريخ الثامن والعشرين من شهر أكتوبر ١٥١٤م ، بواسطة "أنطونيو دي فونسيكا" .

فقرة : إن رأيت الناس الذي تجمعهم له يقومون بأي شيء يستحقون عليه العقاب فعليك إيداعهم في السجن حتى يعودوا لجادة الصواب ، وأن تأتي بهم لي حتى أقوم بمحاكمتهم وأنزل بهم العقوبة التي يستحقونها ، إن لم أكن موجوداً في المنطقة فستسلمهم لقادة القلاع مع إفادة بكل أخطائهم .

فقرة : عندما تصل أي مكان ما حيث توجد قلعة لسموه وخلال الفترة التي تحتاج فيها للبقاء هناك فستكون تحت أمرة

وسلطة القائد ، وستتقيد بقوانينه ومراسيمه التي أصدرها طالما بيده السلطة والعدالة والمسؤولية عن الرجال الذين يرتكبون ما ليس عليهم القيام به ، وستقوم بتسليمهم له إذا ما طلب منك ذلك .

(التوقيع) "أفونسو دي البوكيرك" .

أحداث عام ١٥١٥م

في الحادي والعشرين من شهر فبراير عام ١٥١٥م ، وصل "أفونسو دي البوكيرك" "Afonso de Albuquerque" إلى هرمز ليرتب أمورها بعد التمرد الذي كان يقوده "الريس حامد" وزير هرمز من قبل ملك هرمز ، وبعد أن رتب اللقاء مع ملك هرمز وقدوم الريس حامد ، طلب من الجميع الدخول للاجتماع بدون سلاح ، وتمكّن رجال "أفونسو دي البوكيرك" من قتل الريس حامد .

جــاء ذلـك فـــي كــتــاب : تـاريـخ اكتشاف وفتـح الهند بواسطـة البرتغاليين ، للكاتب "فيرناو لوبيز دي كاستانهيدا" "Fernao Lopes de Castanheda" ، مــن الفصــل السادس والثلاثين بعد المائة إلى الفصل الثاني والأربعين بعد المائة :(٢٤)

(٢٤) رقم الوثيقة والهامش.

الفصل السادس والثلاثون بعد المائة :

خلال وجود الحاكم في "غوا" ، وصل الكابتن "كريستوفاو دي بريتو" في شهر سبتمبر من عام ١٥١٤م ، وكان قد غادر البرتغال في نفس ذلك العام كقائد عام في أسطول صغير ، كانت مجموعة طاقم سفنه تتألف من كل من "فرانسيسكو بيريرا كوتينهو" "Fransisco Perreira Coutinho" ، و"لويس دانتاس" "Luis Dantas" و"جواو دي ميلو" .

كان "نيكولاو فيريرا" "Nicolao Fereira" قد صحب "كريستوفاو دي بريتو" . وقد تم إرسال الأول إلى البرتغال بواسطة ملك هرمز السابق كسفير له ، وذلك لتوطيد صداقته مع ملك البرتغال ، وأن يطلب منه الموافقة على تخفيض قيمة الجزية المفروضة عليه لكي تصبح عشرة آلاف "سيرافين" .

لأنه حتى هذا الوقت ظل يدفع مبلغ خمسة عشر ألف "سيرافين" ، وهو مبلغ يرى أنه ليس بمقدوره جمعه ، وقد تسبب في إفقاره ، ولقد حدث خلال فترة بقاء السفير في البرتغال أن مَنْ الرب عليه بفضله فأصبح مسيحياً وتوقف عن الارتداد عن دينه .

بذلك خرج عن الدين الإسلامي - دين محمد (صلى الله عليه وسلم) - وتصالح مع العقيدة الكاثوليكية ؛ وفي هذه المناسبة كان الملك قد أمر بإقامة احتفال عظيم ، وبعدما حدث ذلك بدأ يحدث الملك بحقيقة أوضاع هرمز ، واصفاً له ثراء هذه الجزيرة وما تزخر به

من ثروات وخيرات ، معدداً مصادر دخلها ، ومحدثاً عن الطاغية "كوجيتار" الذي يحكم الجزيرة ، وعليه ، فقد أوصاه بعدم الإنصات إلى توسلات الحاكم بتخفيض قيمة الجزية ، وحثه على القبض عليه حتى يتمكن من كسب الوقت ، ومواجهة ملك هرمز ، كتب ملك البرتغال رسالة إلى الحاكم نفسه فيما يتعلق بموضوع الجزية ، مبلغاً إياه بأن لديه حاكماً في الهند وهو مسؤول عن جميع شؤونها ، وعليه بالتالي أن يكتب للحاكم هناك في الهند ، فهو من يقدر على ما يجب عمله .

أوصاه قائلاً : وأيضاً كتب ملك البرتغال رسالة إلى الحاكم في الهند يخبره فيها بما قاله إلى ملك هرمز ، وأخبره بأن يقوم باحتلال جزيرة هرمز إذا ما أمكنه ذلك دون أن يدمرها ، وقد حثه على ضرورة القيام بهذا الأمر حتى يصبح موقفنا في الهند آمناً ؛ إذ من الحكمة أن تعزز ما كسبناه ، لأن ما كسبناه أفضل من المحاولة لاكتسابه مجدداً .

كان الملك قد وجه الحاكم وأمره أيضاً – بعدما يقوم باحتلال هرمز – أن يخصص كنيستها الرئيسة لتقديس السيدة العذراء كما هو الحال في "لشبونه" . عندما اطلع الحاكم على فحوى هذه الرسالة عمل على تغيير خطته التي كان قد قرر فيها الذهاب إلى "السويس" لمحاربة أسطول السلطان . وكانت الأسباب كما يلي :

بالرغم من أن هزيمة أسطول السلطان ستمثل بالنسبة له إضافة

هامة جداً بسبب ما يقوم به ذلك الأسطول من تهديد سنوي لمصالحه ، وأيضا ، فإن تدمير الأسطول سوف يجعل الأمر صعباً بالنسبة للفئات المسلمة التي تنشد أداء فريضة الحج في "مكة"

– وإنه إذا ما ذهب إلى المضيق سوف يتمكن من تفعيل اتفاقية مع "بريستر" "الحبشة" إلا أن الميزة الوحيدة هي أن العرب لن يتمكنوا من نقل بضائعهم على البحر الأحمر ، وبالتالي سوف تزيد قيمة البضائع التي تنقلها ، عموماً ، بعد هزيمة أسطول السلطان سيترتب على الحاكم العودة إلى الهند لكي يقوم بدفع تكلفة المؤن والمرتبات للعاملين في خدمة الملك .

النتيجة ، سوف يمثل هذا انهاكاً للخزينة ، وبالتالي قصوراً في الحصول على السلع التي يجب أن تتوفر لكي يتم تحميلها في السفن ، وبالتالي سوف يعمل الوكلاء على استنزاف وابتلاع جميع مصادرنا ، وسوف يواجه الرجال المزيد من الصعوبات .

من ناحية أخرى ، فإنه إذا ما ذهب إلى هرمز ، وأصبح السيد المطلق عليها ، وهو ما يتمناه – فإن الرب سوف يعينه في ذلك . وحينها سيكون لديه الكثير مما يمكن أن يزود رجاله به ، كما سيتمكن أيضاً من إجراء الصيانة الكاملة والنظافة ودهن سفن الأسطول .

بعدها ، بوسعه انتظار "الرومليوت" إلى أن يحين الوقت المناسب الذي يسمح بالإبحار إلى الهند ، فالفوائد التي يمكن تحقيقها من

التجار في الخيول ستكون عظيمة جداً بحيث إن ملك "نافنجا" "Nafinga" و"هيدالكان" "Hidalgan" سوف يتنافسان مع بعضهما البعض على مَنْ يمكنه تقديم السعر الأعلى ، ولذا سوف يكون بوسعه الحصول على "باتيكالا" أو البر الرئيس في "غوا" .

بالإضافة لهذا ، فإن سمعة وأوضاع الحاكم في الهند سوف تزدهر كثيراً ، وبالتالي ، سيتحقق كل ذلك بفضل النجاح في الاستيلاء على هرمز والاستحواذ على ثروات هذه المملكة ، وعندما تصبح في قبضتنا ونحكم سيطرتنا عليها سوف نتمكن وبكل سهولة من إغلاق البحر الأحمر من هناك ، وليس من الهند نظراً لقرب هرمز من البحر الأحمر .

عندما يتم إغلاق البحر الأحمر ، فسوف يصار إلى بيع البهارات في هرمز ، وهذا الأمر سوف يدر أموالاً ضخمة لملك البرتغال ، كل هذا يدركه الحاكم من خلال خبرته ، لأنه في العام الذي ذهب فيه إلى البحر الأحمر كان عدد السفن التي اتجهت إلى هرمز يزيد بنحو ستين سفينة عن العدد الذي وصلها في السنوات الماضية .

نظراً لكل هذه الأسباب فضل الذهاب إلى هناك ، بدلاً من الإبحار إلى السويس ؛ ولعل هناك أيضا سبباً آخر جعله يصر على قراره هذا ألا وهو وصول القائد "بيرو دي البوكيرك" الذي أبلغه أن ملك هرمز قد قبل قلنسوة ودعاء الشيخ إسماعيل ، وأن الرئيس

نور الدين ، قاضي هرمز وهو فارسي بالميلاد يبدو ميالاً لفكرة وضع هرمز في أيدي الشيخ إسماعيل .

الريس نور الدين هو رجل تقدم به العمر ، لديه عدة أطفال ، وهو يسيطر على خزينة الملك والسلع ، وقد بدأ الشيخ إسماعيل في الإعداد لمحاربة هرمز ، وقد أخبر "بيرو دي البوكيرك" سعادة الحاكم بما حدث لقبطانه في "ريشير" كما أخبره أيضا عن الكم الهائل من السفن التي وحدها في ميناء هرمز ، والتي أخذت إلى هناك بسبب رحلته إلى "قواردافي" ، لأن العرب ظنوا أنه قصد الإبحار إلى البحر الأحمر .

بعدما قرر الإبحار إلى هرمز ، احتفظ الحاكم بهذا السر في قرارة نفسه ، ومن ثم شرع في الإعداد معلناً أنه يستعد للذهاب إلى البحر الأحمر ، وفي هذا الوقت ، وصل "ديوقو فيرناندس" من "كامباي" التي ذهب إليها بصفة السفير ؛ وكان قد وصل وبيده رد الملك – حسبما ورد ذكره من قبل .

بعدها اتجه الحاكم مبحراً على "كوتشين" لإلقاء نظرة على القلعة في "كاليكوت" ، والتي كان البناء قد اكتمل فيها ، وعندما وصل إلى "كوتشين" قام بإرسال السفن إلى البرتغال ، وعلى متنها أرسل "الكركون" "وحيد القرن" إلى جلالة الملك ، كما أرسل أيضاً مجموعة من الحلي والجواهر الثمينة كانت قد أُهديت له بواسطة ملوك وحكام الهند .

بعدما زوّد جيداً كلاً من قلعة "كوتشين" و"كاليكوت" و"كانانور" ، قفل عائداً إلى "غوا" بجميع السفن التي قرر أخذها إلى هرمز ، والآن كان "هيدالكان" قد طلب من الحاكم أن يرسل له أحد سفرائه من ثقاته لكي يعمل معه على تسوية جميع القضايا ، لأنه إذا ما عمل على تسويتها معه من خلال الرسائل ، فلن يتمكنا من وضع حد لها .

عليه ، أرسل الحاكم "جواو غونسالفيس دي كاستيلو برانكو" حيث كان الحاكم يثق فيه كثيراً ، ولقد وجهه الحاكم بأن يطلب من "هيدالكان تانداريات" البر الرئيس في "غوا" ، التي تمتد من "باندا" إلى "شانداقارا" "Chandagara" إلى مسافة طويلة تبلغ عشرين فرسخاً ، وإذا ما رفض ذلك ، عليه أن يطالب منحها مجاناً .

يجب أن يعاود الكرة مرة أخرى ، ويطالبه بها مقابل إعطائه ثلث دخلها ، بحيث يتم السداد في شكل تقديم مجموعة من الخيول والأفيال ، وبالتالي فإذا ما تم الوصول إلى اتفاق مرضٍ فسوف يصار إلى تفعيل اتفاقية صداقة وسلام أبدي بينه وبين ملك البرتغال .

أيضا سوف يعمل الحاكم على أن يجعله أول رجل يحق له شراء الخيول من التجار (أي يُعطى الأولوية) شكراً لهذا الامتياز ، إذ إنه يجعله يكسب خمسين ألف برادوس ، على العموم ، لا شك أن الفوائد التي يمكن لحاكم البرتغال تحقيقها ستكون هائلة إذا ما تمكن من الحصول على تلك "التانداريات" .

كان الحاكم قد وجه "جواو غونسالفيس" أيضاً بأن يبقى هناك مع "هيدالكان" لأطول فترة ممكنة ، غادر هذا السفير "غوا" في شهر فبراير ، يرافقه عشرة من البرتغاليين الخيالة ، ومائة من المحاربين من أهل البلد ، وقد قصد الحاكم إرساله بهذا الطراز والأبهة ، لأن هذا الأمر في غاية الأهمية .

لا شك أن "هيدالكان" - عندما يرى هذا الحشد - سوف يستقبله بكل التكريم والاحترام ، وهذا ما حدث بالفعل - حيث وجد هذا السفير كل الاحترام والتقدير عند وصوله ، وهنا قدم له "جواو غونسالفيس" هدية من الحاكم عبارة عن فيل وجوادين ، ودرعين بغطائين من المخمل الأزرق .

سيف أصيل وخنجر ، بالإضافة إلى بكرتين من القماش القرمزي ، كان "هيدالكان" موجوداً حينها في معسكره الذي أقامه على مبعدة فرسخ واحد من "فيسابور" ، وهي المدينة الرئيسة في مملكته ، وعلى الرغم من وجود مدن عديدة تعود له ، فقد كانت عادته أن يقيم في خيام في المناطق الريفية لبلاده .

لم يتمكن "هيدالكان" من الوصول إلى أي اتفاق محدد مع "جواو غونسالفيس" ، وقد أخبره بأنه سوف يعطي تلك "التانداريات" الحاكميات مقابل حق شراء الخيول هذا إذا ما وافق الحاكم على البقاء في الهند لأجل البضائع ، لكن طالما أنه سوف يصار إلى إبداله بآخر فلن يتمكن من هذا الأمر .

لأنه إذا ما كان في مقدور أحد آخر تقديم عرض أفضل إلى حاكم آخر مقابل الحق في الحصول على الخيول ، فإن الحاكم ربما قبل بذلك ؛ ولأجل هذا فإنه غير راغب في توقيع أية معاهدة مع أي حاكم ، ما عدا حاكم البرتغال لأنه يرغب في إرسال سفير . كان هذا هو الرد الذي حصل عليه "جواو غونسالفيس" بعد مكوثه هناك مدة أحد عشر شهراً .

الفصل السابع والثلاثون بعد المائة :

بعدما قام الحاكم بتنظيم كل الأمور الخاصة بقلعة "غوا" ، بما في ذلك الأسطول المكون من سبع من السفن التي قرر أن تبقى في الساحل مع سفينة "الروميليوت" ، صعد إلى السفينة ومعه جميع قباطنة الأسطول ، وهؤلاء كانوا كالآتي :

"دوم قارسيا دي نورونها" قائداً في السفينة "نزاري" "Nazari" وهي السفينة التي يسافر على متنها الحاكم ، "أيريس دا سيلفا" في السفينة "بوتا فوقو" "Bota vogo" "ديوقو فيرناندس دي بيجا" في السفينة "فرول دا روزا" "Frol da Rosa" "بيرو دي البوكيرك" في السفينة "باستين" "Bastion" .

"سيماو دي أندراد" في السفينة "انكسوبريجاس" "Anexobrigas" ، "فاسكو فيرناندس كوتينهو" في السفينة "غارسا" "Garcia" ، "جورجي دي بريتو" في السفينة "سانت إيوفيميا" "Saint Euphemia" ، "لوبو فاز

دي سامبايو" في السفينة "سانتا كروز" "Santa Cruz" "أنطونيو روبوسو" في السفينة "فيروس" ، "روي قالفاو" في سفينة أخرى ، و"بيرو فيريرا" في السفينة "تافوريا" ، "روي قالفاو" في سفينة أخرى ، و"نونو مارتينز رابوسو" "Nuno Martins Raposo" في المركب الشراعي "اننسيادا" "Enunciada" ، "جواو دي ميرا" في المركب الشراعي "ساو جورجي" "Sao Jorje" ، "جـواو قـومـيس" فـي المركب الشراعي "سانتياقو" "Santiago" .

"فــرانســيسكــو بيريــرا" في المركب الشراعي "ساو نيكولاو" "Sao Nicolao" ، "جواو بيريرا" في مركب شراعي آخر بعاصم "سانتياقو" ، "فيرناو دي ريسندي" في مركب شراعي آخر ، "سيلفستر كورسو" "Silvester Curso" في السفينة الشراعية "جراندي" ، "مانويل دي كوستا" في السفينة "سانتياجو" ، "جيروينمو دي سوسا" في السفينة الشراعية "ساو فيسينت" "Sao Vicente" ، "فيرناندو إينس" "Fernando Aines" في السفينة الحربية "سانتياقو" و"بيدرو كورسو" "Pedro Curso" في سفينة حربية أخرى .

قد دعي جميع هؤلاء القباطنة إلى اجتماع المجلس ، بالإضافة إلى كل من "دوم جواو دي إيكا" القائد في "غوا" ، و"دوم سانشو دي نورونها" "D . Sancho de Noronha" القاضي الأساسي ، و"نيكولاو فيريرا" السفير لدى ملك هرمز ، وذلك بحضور السكرتير .

إن جميع الرجال قد صعدوا في السفن ، حيث بلغ عددهم

حوالي ألف وخمسمائة برتغالي ، بالإضافة إلى مجموعة من البنغاليين الذين بلغ عددهم ستمائة فرد ، وأخبرهم أيضا أن الملك قد أمره بأن يبحر إلى البحر الأحمر ، والقيام ببناء قلعة في عدن .

في هذا السياق ، ظل يراسله في هذا الشأن مدة عام كامل ، أيضا أصدر توجيهات بخصوص هرمز التي يرغب في امتلاكها . بعد ذلك أطلع أعضاء المجلس على الرسالة التي بعث بها جلالة الملك إليه في ذلك العام .

أضاف قائلاً إنه على علم تام بقبول ملك هرمز قلنسوة ودعوات شيخ إسماعيل ، وكذلك ما يدور في أوساط العرب من أقوال تفيد أن هرمز سوف تسلم للشيخ إسماعيل (وسعادة السفير "نكولاو فيريرا" يعلم هذا الأمر) .

نظراً للإلحاح والضغط الذي يمارسه الملك عليه للاستيلاء على هرمز ، فقد ارتأى الحاكم الوقوف على وجهات نظرهم في هذا الأمر ، وأن يعرف ما إذا كانوا يرون أن الأفضل لهم الدفاع عن هرمز حتى لا يتسقط في أيدي الشيخ إسماعيل ، أو الهجوم على عدن والإبحار في شمال البحر الأحمر .

قد عبر كل واحد من القباطنة عن وجهة نظره ، ومن ثم وضع توقيعه على إفادته ؛ وعموماً اتفقوا مع الحاكم بأن الأمر سيكون مفيداً جداً لمصالح الملك إذا ما اتجهوا لإنقاذ هرمز ، بدلاً من الذهاب

إلى أي مكان آخر ، وإذا ما أنقذوا هرمز ، فسيكون سهلاً عليهم أن يستولوا على عدن ويدخلوا البحر الأحمر ، بدلاً من أن ينطلق هذا الهجوم من قاعدته في الهند .

هذا الأمر تم اتخاذه فقط بمعرفة القادة الذين حضروا اجتماع المجلس ، وبعدها غادر الحاكم إلى هرمز ، وذلك في يوم أربعاء الرماد الموافق الحادي والعشرين من شهر فبراير عام ١٥١٥م ، ووصل إلى ميناء هرمز قبيل مغيب الشمس في يوم السادس والعشرين من شهر مارس .

فور وصوله هناك كان أحد العرب بعاصم عاصم علي قد استقبله بعاصم الملك ، وأخبره بأن الحاكم قد جاء بنفسه إلى منزله ، وأعطاه كمية من الفواكه الجافة وبعض الأشياء الأخرى المصنوعة من السكر .

أخبر الحاكم عاصم علي ، قائلاً : إذا كان الملك قد عنى ما قاله ، فإنه سيتعامل معه كما يتعامل مع ابنه ، لأنه قد جاء إلى هرمز بحثاً عما يمكن أن يحقق لها الرفاهية والازدهار ، وفي إطار رغبة الملك في منع دخول أية قوات مسلمة أو أية تعزيزات عسكرية لأجل المدينة .

أمر بعضاً من قادة سفنه أن يقوموا بالتجوال حول الجزيرة ، وإحكام المراقبة على منافذها ، بحيث لا يسمح بدخول أية سفينة إلى ميناء الجزيرة دون فحصها بدقة ؛ وإذا ما وجدوا على متنها أية فئة من الجنود فيجب قتلهم جميعاً .

أيضاً كان قد أخبر الملك بهذا القرار ، حتى يعمل على نشره .

بعد مضي يومين من وصوله أمر "نكولاو فيريرا" (وقد كان هذا سفيراً لجلالة ملك البرتغال في هرمز) بأن يذهب إلى الملك لكي يسلمه الرد على الرسالة التي حملها إلى البرتغال ، وقد بقي أبن أخ الريس نور الدين في الأسطول كرهينة ، وجاء الرد في رسالتين اثنتين :

- في الأولى أعطى ملك البرتغال الرد على الالتماس المقدم من الريس سفر الدين للحاكم

- أما الثانية فتتعلق بالصياد العربي الذي أرسله الملك إلى البابا بالأوزان .

لم يقل ملك هرمز شيئاً "لنكولاو فيريرا" فيما يختص بردود ملك البرتغال ، وكذلك بالنسبة لمهمته ، وعندما علم الحاكم بذلك ، عمل على استشارة قباطنته ، ومن ثم أمر "ديوقو فيرناندس بيجا" ومعه السكرتير بالذهاب لمقابلة الملك وسؤاله بشأن القلعة التي سبق أن بدأ في بنائها ويرغب الآن في استكمال بنائها .

طلب من الملك أيضاً أن يجد له مأوى ، كما طلب منه أيضا القيام بفتح أبواب القلعة الموجود قبالة البحر ، مع ضرورة إغلاق جميع القلاع الأخرى التي تقع قبالة المقر الملكي ، ورداً على ذلك ، طلب الملك من الحاكم أن يعطيه القلعة .

سيما وأنها تقع قريباً من مقر سكنه ؛ وفي المقابل سوف يعطيه أي موقع يختاره بنفسه كي يبني فيه قلعته ، والتي سوف يتكفل الملك بتغطية جميع نفقات بنائها من ماله الخاص ، سر الحاكم كثيراً بهذا العرض .

لكنه قبل العرض هذا شريطة أن يرسل له الملك شخصين لكي يحتفظ بهما كرهائن عنده ، وهما تحديداً : ابن وابن أخ الريس نور الدين ، وفي هذا الموضوع تم تبادل عدة رسائل ، لأن الشكوك ساورت العرب ، واعتقدوا أن الحاكم ربما يختار موقع منازل الملك أو المسجد كي يبنى فيه قلعته .

الفصل الثامن والثلاثون بعد المائة :

بينما كان الحاكم موجوداً في ميناء هرمز ، وصل رجل يدعى "مقويل فيريرا" كان قد أرسله إلى الشيخ إسماعيل ، حاملاً إليه بعض الرسائل ، يعرض عليه فيها صداقة ملكة البرتغال – ويقترح فيها عمل حلف معه ومساعدته ضد أعدائه .

كان الشيخ إسماعيل قد سمع عن مناقب الحاكم في هرمز والهند منذ أن أصبح حاكماً ، كما عرف أيضاً أنه استقبل رسوله وسفيره بشكل جيد ، وأنه قد عرض عليه صداقته من خلال الأخير ، وعليه ، سر كثيراً أن يجد صديقاً في مقام ملك البرتغال وحاكمه .

لم يكتف فقط باستقبال "مقويل فيريرا" بشكل جيد والرضا

بما عرضه عليه فوراً ، بل أرسل سفيره في الحال يحمل رسائل الود والصداقة إلى ملك البرتغال وإلى سعادة الحاكم ، كما أرسل لهم هدايا فاخرة أيضاً .

كان هذا السفير المدعو "خواجا علي جاه" (وهو الرجل الذي قابله في "غوا" ، وهو نفس الرجل الذي أرسل أصلاً إلى "هيدالكان" (حسبما ورد ذكر ذلك في الفصل ١١٧) ، فقد أبحر إلى هرمز برفقة "ميقويل فيريرا" ، وكان حينها قد وصل إلى المدينة في وقت وصول الحاكم .

عندما أخبر "ميقويل فيريرا" سعادة الحاكم عن وجود سفير الشيخ إسماعيل في المدينة ، أرسل بعضاً من قباطنته لكي يقابلونه ، وقد ارتدى مبعوثوه هؤلاء أفضل ما لديهم من الثياب ، ثم ذهبوا إلى المدينة في زوارقهم المزينة بالأعلام ، واصطحبوا معهم فرقة العزف بطبولهم .

من ثم أُخذ ذلك السفير إلى الأسطول في موكب احتفال عظيم ، أيضا ارتدى الحاكم وجميع رجاله حللهم الزاهية ، وكأنهم كانوا يستعدون للاحتفال بمناسبة عظيمة ، وقد نُصبت المظلة لاتقاء أشعة الشمس وفُرشت الأرض بالسجاد .

ما أن وصل سعادة السفير حتى أُطلقت القذائف تحية له – حتى اضطرب القائد قليلاً ، سيما وهو يرى شخص الحاكم في مظهره الملوكي المهيب وحوله قباطنته والنبلاء ، الأمر الذي جعله يبدو شبيهاً بأمير قوي .

استقبل سعادة الحاكم السفير ، وأجلسه بجانبه ، وقدم له زواره خطابين كتبا باللغة الفارسية ، والموجهة لملك البرتغال ، بعدما تمت ترجمتها كالآتي :

"إلى فخامة ملك صاحب المقام الرفيع ، سيد أعظم الممالك المبجل وسط جميع الملوك ، مصدر فخر ملوك النصرانية ، الملك العطوف ، ملك السعد الميمون ، فارس البرتغال ، وباني مجدها وعزتها ، والملك المبارك صاحب المكارم والعطايا .

إن الحب الذي أصوغ به كل هذه الكلمات مثل عبق المسك ، لأنها كلمات حقيقية نابعة من قلبي الذي يتمنى أن تظل دائماً قوياً عظيماً ومهاباً ، لأن مقامك كان رفيعاً عالياً .

مولاي ، أحب أن أعرفك بأنه في وقت ما وفي لحظة سعيدة كان أحد خدمي قد ذهب يبحث عن ذلك السيد العظيم ، كان يمدحه كل الملوك ، فحاكمك العظيم والقائد الأعلى يعتبر فخراً لجميع الحكام المسيحيين ، لقد ذهب إليه رجالي ، فشرّفهم باستقبال عظيم ، وأبدى فهماً لمهمتهم ، ومن ثم أرسلهم لي .

ليس هناك من شك إنه قد فعل ذلك بكل معنى الحب ، ذلك الحب الذي أصبحت قلوبنا تفتقده الآن ، لكن بالنسبة له فإننا ندين قلوبنا لأنها قد أعلنت حبه بشكل جلي واضح كضوء الشمس ، ولأجل هذا فقد أرسلت "خواجا علي جاه" (سفيري) لكي يؤكد ويوثق حبنا وصداقتنا وفق ما ترونه مناسباً .

لتكن الصداقة قائمة قوية بيننا ، وليعمل رسلنا دائماً على نقل رسائل الود هذه بيننا وبينكم ، وليبق كذلك عهد الود والصداقة ولتبقى رابطة المحبة" ، وبالمثل كان الخطاب الذي وجه للحاكم قد ترجم أيضاً للغة الفارسية وكان مضمونه كما يلي :

"إلى السيد العظيم ، صاحب النفوذ والسلطة ، فخر الحكام ، الفارس المهاب ، أسد البحار القوي ، الرجل ذو القلب الكبير ، سعادة القائد الأعلى ، لقد أسرتني بعظمتك ، فلك مني كل الاحترام والتبجيل ، ولأنك عزيز على قلبي فأمنياتي لك بأن تظل عظيماً ، وهذه حقيقة أقولها بوضوح كوضوح ضوء الصباح لا شك لأحد فيه .

إنني أتمنى دائماً أن تبقى على عظمتك ومهابتك هذه ، لأن مقامك ظل رفيعاً لن يطاله الحاسدون ، وأتمنى أن يهبك الرب نوراً يضيء لك طريقك ويمنحك كل ما تتطلع إليه ويهفو إليه قلبك .

سيدي ، بودي أن أخبرك كيف أتى "خواجا علي جاه" لمقابلتي وإبلاغي بحبك وحسن نواياك ، وعن الكلمات الجميلة التي تحدثت إليه بها ، وكل ما تم بينكما ، إنها كلمات رائعة ؛ وقد أجبرتني على توخي العبارات التي يمكن أن يخطها قلمي علها تناسب على القليل من عبارات ودك التي أكرمتنا بها .

الآن ، إنني أرسل لك مبعوثي حتى يخبرك بما حدثته به ، فإنني أطلب منك الموافقة على ما يطلبه منك ، وأناشدك عدم التأخير فيما

يتعلق بأموره ، وأن تسارع بإعادته لي ، أناشدك أن تبعث لي ببعض رجال المدفعية (من المدربين) ، وسوف أعمل على إرضائهم فيما يطلبونه مني .

إنني أناشدك أن تحقق لي ذلك لأجل الصداقة بيننا ، لأنني أضع كل آمالي عليك ، وأتمنى أن يظل مندوبنا وحاملي رسائلنا يعملون بحرص على نقل الرسائل التي نتبادلها حتى يتحقق التواصل بيننا ، أرجو أن ترسل لي إذا ما ساورك أي أمر ترى أنك يجب أن تلطعني عليه .

أتمنى أن تثق في ودي وصداقتي نحوك" . بعدما قرأ الحاكم هذه الرسائل ، كان قد قضى وقتاً طويلاً مع السفير يناقش عدداً كبيراً من الأمور ، وصرح بأنه يريد أن ينجز مهمته بأسرع وقت ، ومن ثم أرسله إلى الشاطئ حيث أخذه القباطنة لرحلة العودة .

الفصل التاسع والثلاثون بعد المائة :

بينما استمر ملك هرمز في إرسال رسائل للحاكم تتعلق بالقلعة وكيفية الانتهاء من الأمور العالقة ، ذهب ريس نورالدين ليتحدث إلى الحاكم ، ذهب قباطنتنا لإحضاره في جلال مهيب ، بناءً على أوامر الحاكم ، لأنه أراد إدخال السرور في نفسه ، حتى يتم بناء القلعة في هدوء وسلام حسب رغبة سيده ملك البرتغال .

كان "ديوغو فيرنانديز دي بيجا" يحتفظ به كرهينة في المدينة بدلاً عن ريس نورالدين . كانت قدما ريس نورالدين متورمتين بسبب

الروماتيزم ، ولم يتمكن من الصعود لسفينة العلم ، تحدث معه الحاكم من مركب "سلفستر كروسو" ، الذي كان تغطى سطح مركبه الخلفي بالسجاد ومظلة عليها .

جلس الحاكم على كرسي وثير مرتدياً معطفاً دمشقياً أسود ، وقبعة من نفس المادة مفتوحة من الجانبين ، وغطاء رأس قرمزي ، وبنطالاً من قماش "ميلاينزي" وباقة تبلغ قيمتها ثلاثة آلاف كروزادوس طلبها للمناسبات الرسمية في الهند ، وعلى حزامه تقلّد سيفاً رائعاً .

كان كل القباطنة جالسين وعليهم ملابس رسمية ، وقف الحاكم عند وصول ريس نورالدين ، وأمر له بكرسي جلس عليه . بعد أن قدم له التحايا والأماني الطيبة من ملك هرمز ، ثم بادر للتباحث معه في بعض الأمور السرية ؛ بعد أن انفض المجلس من الذين فيه عند مؤخرة السفينة ، ظل معه فقط دوم غارسيا وابن أخ ريس نورالدين ، عاصم علي والمترجم "ألكسندر دي أتايد" "Alexandre de Ataide" والسكرتير .

عندما أصبحا لوحدهما ، أبلغه ريس نورالدين أنه وبالرغم من الأفضال التي قدمها لملك هرمز ومنحه الإذن ببناء قلعة ، بدلاً عن الموقع القديم ليبنى فيه قلعة أخرى ، يود الآن أن يعيد له البناء الأصلي ، لأنه ينظر إليه كوالده ، ويتمنى أيضاً أن يعامله الحاكم كابنه .

طالما أنه وكل مملكته بين يدي ملك البرتغال والحاكم ، السبب في طلبه نيل القلعة القديمة هو الصعوبة الكبيرة في الحصول على كل المواد التي تلزمه لبناء قلعة جيدة ؛ لكن لتأمين سلامة السكان المحليين والتجار ، طلب من الحاكم أن يقسم بأن يكون صديقاً دائماً له وعدواً لأعدائه ، وسيقسم هو أيضاً بالمثل نيابة عن ملك هرمز والطاعة والولاء لملك البرتغال والحاكم الذي يمثله .

أقسما معاً على الكتب المقدسة لكل منهما ، ووقعا على وثيقة أعدها السكرتير لهذا الغرض ، عند الانتهاء من كل ذلك ، قدم الحاكم لريس نور الدين قماشاً مقصباً جميلاً لبسه في الحال ، ووضع قلادة حول عنقه مصنوعة من حبات ذهبية ومعها مائة كروزادوس .

كما منح ابن أخيه معطفاً آخر من الساتان بأزرار ذهبية ، وأعطى عاصم على خمسين كروزادوساً وخمس قطع من قماش قرمزي . منح "نيكولا فيريرا" عقداً من الذهب هدية للملك ، ولعاصم علي علماً عليه رمز البرتغال ، وللملك أيضاً واحد حتى يرفعه على مكان إقامته كرمز للسلام والطاعة .

ذهب "نيكولا فيريرا" إلى الشاطئ مع ريس نورالدين والعلم مرفوع وسط احتفالات صاخبة ، بينما أطلق جميع جماعة الملك مدافعهم وطلقات التحايا من بنادقهم ، الأمر الذي رد عليه رجال مدفعيتنا بالمثل ، تم كل ذلك في منتصف نهار اليوم الأخير من شهر

مارس من ليلة الأحد ، أصدر ريس نورالدين أوامره في الحال لفتح البوابة عند البرج

المواجه للبحر ، واستمرت الأعمال حتى هبوط الليل .

في اليوم التالي ، الذي وافق أحد دخول المسيح للقدس ، أمر الحاكم بإكمال الأعمال ، وبعث "ألفارو دي كاسترو" و"أنطونيو دي أزيفيدو" "Antonio de Azevedo" مع بعض الرجال لحراسة العمال ، فتح البوابة في النهاية قبل الغروب ، ودخل رجالنا في الحال إلى البرج ، واستولوا عليه .

عند حلول الليل ذهب الحاكم لرؤيته ، يرافقه "دوم غارسيا" وبعض الفرسان والنبلاء الآخرين ، ركع عند المدخل يملؤه السرور ، وشكر ربنا كثيراً على استعادة البرج بسلام ، وأصدر أوامره في يوم الاثنين بأن تسيج كل المنطقة التي شيدت فيها القلعة بواسطة أوتاد خشبية مليئة بالرمال .

وضعت بينها مدافع ، حتى تكون هناك دفاعات جيدة للقلعة في حالة حاول العرب خيانته ، كما حدث في مناسبة سابقة ؛ كما أنها تؤمن سلامة المسؤولين الذين يعملون بالداخل والبناءين أيضاً والحدادين والنجارين الذين بدأوا بالعمل في الحال .

كما أصدر الحاكم أوامره أيضاً بتكسير الحجارة والحفر لاستخراج الجبص ، حتى يخلط ويستخدم في البناء . كان مكان تكسير

الحجارة على مسافة ليست بالقريبة من المدينة ؛ عُين "فرانسيسكو بيريرا" لحراسة الرجال الذين يعملون ، ومعه سفينته التي سيلجأون لها بالليل للمبيت فيها .

بعد يومين بدأت عملية تفريغ بضائعنا ونقلها للمحطة التجارية ، ذهب "دوم غارسيا" للشاطئ لمرافقة الرجال وحماية القلعة ، بينما مكث القائد عند الأسطول مع الآَخرين ، وبذلك أصبح موقعنا في البحر وعلى البر مؤمناً ، ليس فيما يتعلق بقواتنا ، لكن أيضاً بواسطة ملك هرمز ، الذي كان يبعث بالطعام للحاكم لكل يوم ، ويهتم به وكأنه والده الحقيقي .

نصح ريس نورالدين الملك بأن يتصرف بهذه الطريقة ، وكان سعيداً بمجيء الحاكم ، لأنه كان يأمل بالثأر من أبن أخيه المدعو ريس حامد الذي ارتكب خيانة ضده . هذا ما حدث أثناء سلطته كرئيس وزراء ، عين ريس نورالدين المدعو ريس حامد كرئيس لحراس الملك مع اثنين من أشقائه .

كان عليه الإقامة في مسكن الملك ؛ وبناء على طلب ريس نورالدين كرمه الملك وأحسن إليهم ، بعد إقامته بالسكن لمدة عام بدأ في الطلب من الملك ليعينه كرئيس وزراء ، وأن يمنحه المنازل التي كانت تعود إلى "كوجيتار" .

رفض الملك ذلك الطلب مرات عديدة ، ولمنعه من معاودة ذلك

أرسله بعيداً من هرمز على رأس أسطول ، وأبلغ ريس نورالدين في نفس الوقت بسبب قيامه بذلك ، لم يكن ريس حامد يريد البقاء بعيداً لفترة طويلة ، وعاد ليكرر طلبه وبعناد أكثر .

في ليلة عاصفة بينما كان ريس نورالدين يرقد مريضاً ، قام ريس حامد بمساعدة شقيقه الذي كان يسكن في السكن الملكي ودخلا إلى غرفة نوم الملك التي ينام فيها مع الملكة وجاء ريس حامد بكل الرجال الذين يعملون تحت أمرته في الأسطول إلى السكن ، وأمسك بيد الملك ووجه له السيف ، وأبلغه أنه باستطاعته قتله إذا أراد .

خاف الملك من الموت ، ورمى بنفسه تحت قدميه ، وطلب منه عدم قتله ، وسيفعل ما يريد ، عفا ريس حامد عنه شريطة أن يتركه يحكم المملكة ، وطلب السيطرة على الملك وحاشيته ، بضاعته وخزينته ، ويقرر أوجه الصرف منها ، ويعطي ختماً خاصاً به يجبر أي شخص على طاعته ، وأن يبقى ريس نورالدين كرئيس للوزراء ، ويحرم من كل سلطة .

وافق الملك على كل ذلك ونفّذ الأمر ، وذلك لمرض ريس نورالدين ولأنه لن يتمكن من الحضور وإنقاذه ، وأيضاً لأن عدداً كبيراً من الرجال كانوا برفقة ريس حامد . وتمكن من السيطرة على مكان إقامته ، واحتفظ بالملك هناك كالسجين .

لم يسمح له بالخروج إلا برفقته ، كما منعه من التحدث مع أي شخص في عدم وجوده . انزعج الملك وريس نورالدين من كل هذا ، وتمنوا أن يثأر لهم الحاكم من الخطأ الذي حدث ، أبلغ ريس نورالدين الحاكم بما حدث بواسطة "ألكسندر دي أتايد" ، وطلب منه تقديم الطاغية للعدالة إن حاول مساعدته . كان خائفاً من "ريس حامد" ، وأن يتخذ خطوات دون استشارته أولاً .

الفصل الأربعون بعد المائة :

ذهب "ألكسندر دي أتايد" في اليوم التالي ليتحدث مع الملك ، حاملاً له رسائل من الحاكم ، تم ذلك في حضور "ريس حامد" ، همس له الملك بأن "ريس حامد" يحتفظ به كسجين في منزله ، وأنه حرمه من كل سلطاته ، وعليه طلب من "ألكسندر دي أتايد" أن يبلغ والده الحاكم عن الأمر (كان يناديه بأبيه ، لأن الحاكم كان يناديه بابنه) .

عندما علم الحاكم بالأمر رتب لاجتماع مع ريس نورالدين يُعقد عند الشاطئ بزعم أنه يريد التباحث معه عن بعض الأعمال . بعث "أنطونيو رابوسو" و"نونو مارتنز رابوسو" والسكرتير لإحضار ريس نورالدين الذي كان يرافقه أشقاء "ريس حامد" ، يدعى أحدهم ريس مظفر ومعهم العديد من التجار المهمين في هرمز .

قبلوا يد الحاكم ؛ قال الحاكم بما أن ملك هرمز أحد رعايا ملك

البرتغال ، فإنه يطلب منهم القسم بأن يكونوا دائماً مخلصين لملك هـرمـز ويطيعونه في كل أمر ، وأن يضعوا حياتهم وممتلكاتهم في خدمته ، إذا دعت الضرورة ، كما ليس عليهم الاعتراف بأي شخص سوى ريس نورالدين كحاكم مع الملك .

أقسموا جميعاً على ذلك ، وأيضاً "ريس مظفر" ، بالرغم من إبدائه لبعض التردد . أقسم الحاكم بعد ذلك بأن العدالة ستسري دائماً في البلاد ، وأنه سيحمي الملك ضد كل أعدائه ، قال ذلك حتى لا يتمرد أي من الرجال الحاضرين عندما يردع ريس حامد .

بعد أن أدوا القسم جميعاً تركوا الحاكم لوحده مع ريس نور الدين الذي تحدث معه في وجود السكرتير والمترجم ، وأبلغه بخيانة ومؤامرة ريس حامد ، وطلب منه نيابة عن الملك وعن نفسه بتحريرهم من الطاغية .

وعده الحاكم بذلك ، وأبلغه بأن هذا هو السبب الذي جعله يجبر هؤلاء الرجال الذين جاءوا معه على القسم ، رتبوا بعد ذلك اجتماعاً مع الملك يتم في "مادراسال" حيث يقيم "سيماو دي أندراد" بالقرب من القلعة ، هناك حيث يتوجب أن يعتقل ريس حامد ، لكنه أراد أولاً أن يتأكد مما يود الملك القيام به .

بعد هذا الاجتماع ، وبمساعدة السكرتير و"ألكسندر دي أتايد" ، اتفقوا أن يتم الاجتماع بالملك في اليوم التالي ، وهو

الثلاثاء ، عند "مادراسال" ، الرجال الوحيدون الذين سيرافقون الحاكم في هذه المناسبة هم النبلاء وقباطنة الأسطول ، على أن يكونوا غير مسلحين ، حيث يتسلم مرافقوهم أسلحتهم منهم . ينطبق نفس الأمر على الملك .

ذهب الحاكم في مساء الأربعاء إلى الشاطئ ليتحدث مع "دوم غارسيا" والقباطنة الآخرين الذين اجتمع بهم ليشرح لهم ما اعتزم القيام به ، اتفقوا على إلقاء القبض على ريس حامد عند دخوله مباشرة ؛ ولذلك تم تسليح كل النبلاء والقباطنة بطريقة سرية .

كان على "بيرو دي البوكيرك" أن يمسكه أولاً ، لن يسمح لأحد بالدخول باستثناء الملك وريس نورالدين وعاصم علي والمترجم ، لأن الحاكم كان يخشى أن يشك الطاغية ريس حامد في الأمر ، ويأتي معه برجال مسلحين سراً ، في هذه الحالة إن ألقى عليه رجالنا القبض سينشب قتال ونفقد بعض الأرواح .

يبدو أن تخمين الحاكم كان صحيحاً ، لأن ذلك ما قام به ريس حامد تماماً ، قيل فيما بعد أنه اعتزم قتل الحاكم وقباطنتنا الذين يفترض أنهم غير مسلحين ، بجانب ذلك كانت هناك تفاصيل أخرى في اجتماع ذلك المجلس فيما يتعلق بهذا الموضوع .

في اليوم التالي قبل ساعة من الشروق ذهب الحاكم إلى الشاطئ مع كل القباطنة الذين يمكثون في البحر ، جاءوا جميعاً برجالهم

المسلحين ، ومثلهم الذين كانوا على اليابسة ، كان المالابار جاهزون بأسلحتهم ، ظل الجميع على الشاطئ ومعهم أسلحتهم مخبأة تحت ملابسهم الأنيقة .

عندما شاهد ريس نورالدين رجالنا المسلحين ، سلح نفسه أيضاً بعد أن سأل السكرتير إن كان عليه القيام بذلك . كان من بين رجال الملك مائتي رجل في خدمة ريس حامد - كانوا يلبسون دروعاً من الحديد ، بينما يحمل رجال الملك أسلحة مخبأة .

حمل رجال ريس حامد أسلحتهم علناً ، وكان هو يحمل سيفاً رائعاً وخنجراً ، كان هو أول من حضر لمنزل الحاكم ، الذي جاء بعد أداء القداس ، لأن ريس حامد كان متغطرساً ، دخل في الحال مبدياً الكثير من عدم الصبر ، ذهب مباشرة للحاكم الذي استقبله بصورة جيدة .

قال إنه سعيد بمقابلته ، وسأله عن مكان الملك ، فقال ريس حامد إنه قادم خلفه ، سأله الحاكم بعد ذلك عن سبب إحضار أسلحته ، وأنه تم الاتفاق على عدم إحضار أي أسلحة للاجتماع ، وعليه طلب منه إبعادها .

أبدى اعتراضه على طلبه وخرج ، عند خروجه وصل الملك ومعه ريس نورالدين وابنة ريس شرف والعديد من النبلاء الذين وقفوا حوله ، وكانت تسبقهم أبواق الحاكم وطبول تعزف بأصوات عالية .

ترجّل الملك عن فرسه ، وقابل عند دخوله "المادراسال" ريس حامد ، الذي طلب منه عدم الدخول لأن مع الحاكم رجالاً مسلحين بالداخل ، لكن كان الملك يثق في الحاكم ، وأصر على الدخول . عندما سمع "ألكسندر دي أتايد" ذلك ، وكان يقف بالقرب من الملك .

أمسك بيد ريس حامد وكأنه يحتجزه ، وقال : "تعال إلى هنا - أريــدك أن تعلــم لا شيء يوجد كما تقول ، لأننا نريد خدمة الملك" ، وأخذه من يده إلى باب منزل الحاكم ، أحس الملك بالأمان ، وهو يقف خلف ريس حامد ، ودخل يتبعه الملك وريس نورالدين وابنه "ريس لاميشا" وعاصم علي .

أمر "دوم غارسيا" ، الذي كان يقف في حراسة الباب ، كلاً من "مانويل فيلهو" "Manuel Velho" و"ديوغو هوميم" أن يغلقا الباب في الحال ، ولم يسمحوا لشقيق ريس حامد المدعو ريس مظفر بالدخول ، فظل بالخارج مع كل رجاله - كانوا مسلحين بطريقة سرية ، وأراد أخذهم للداخل لاغتيال الحاكم ورجالنا .

كانت إرادة الرب أن يتم ذلك دون أي خطورة ، دخل حامد أمام الملك ، لأنهما إن دخلا معاً لكان رجال ريس حامد خلف الملك مباشرة ، ولحاولوا الدخول ، ولحدثت مشاجرة ، وكانوا اندفعوا بالقوة إلى الداخل .

تمكن "دوم غارسيا" وبعض القباطنة من إغلاق الباب ، وأمنوه ، وصل "ألكسندر دي أتايد" ومعه ريس حامد في ذلك الوقت إلى الحاكم ، الذي كان يستعد للوقوف واستقبال الملك ، رأى ريس حامد مازال محتفظاً بسلاحه ، فقام بإبلاغه على ضرورة إبعاد السلاح - وقف وهو يقول ذلك أمام ريس حامد .

كان الأخير يعتمد على رجاله ، معتقداً أنهم سيتبعون الملك إلى داخل القاعة ، وحاول تنفيذ خطته (قتل الحاكم ورجالنا) فسحب سيفه بحدة ، أمسك الحاكم بذراعه ، ونظر ناحية "بيرو دي البوكيرك" .

قال : "أمسكوه" ، ومشى نحو الملك ، وضع "بيرو دي البوكيرك" نفسه بين الحاكم وريس حامد ، الذي حاول في تلك اللحظة اغتيال الحاكم ، وأمسك بقبضته ، دفعه الحاكم بعيداً ، وطلب من "بيرو دي البوكيرك" الإمساك به ، وقام كل النبلاء والقباطنة بمساعدته ، وسحبوا سيوفهم وخناجرهم في نفس الوقت وارتموا عليه .

في لحظة سقط ميتاً على الأرض دون أن يجد الوقت حتى للصياح ، نُزعت عنه ملابسه ، وتُرك عارياً ، وألقوا بجثته عند الشاطئ عبر أحد الأبواب المواجه للشاطئ ، لم يسمع أحد بذلك الحادث في الخارج ، وذلك بسبب الأصوات العالية لأبواقنا وطبولنا ، تم ترتيب ذلك حتى لا يعتقد رجال الملك أنه تأذى .

عند سقوط ريس حامد على الأرض ، كان الملك يقف قريباً من الحاكم ، وعندما شاهد اغتيال ريس حامد بهذه الطريقة استبد به الخوف هو ورجاله ، لعدم وجود أي جنود لحمايتهم ، وخشوا أن يحدث أمر ما لهم ، ولكانوا هربوا إن سنحت لهم الفرصة .

أدرك الحاكم ذلك ، وذهب للملك ممسكاً بقبعته في يده ، وضحك ، واعتذر له على قتل الطاغية في وجوده ، وقال إنه أُجبر على ذلك ، لأنه سحب سيفه دون مراعاة للموقف وجذبه من قبعته . شعر بأن الملك مازال يرتعد من الخوف .

لم يتمكن من الإجابة ، فقام بتهدئته ، واحتضنه وأنه اغتال ريس هام ليخدمه هو ، لأن الطاغية استولى على المملكة منه ، واحتفظ به أسيراً . استحسن الملك ما قام به الحاكم ، وأيضاً ريس نورالدين الذي أمن على قول الحاكم ، وساعد الملك على أن يسترد هدوءه ، في ذلك الوقت كان رجال ريس حامد ورجال الملك بالخارج يصيحون ويهددون بكسر الأبواب .

لوحوا بالفؤوس أمامهم ، وكانوا سيتسببون في مشكلة لولا وجود القباطنة ورجالهم ، الذين وصلوا في تلك اللحظة ، وتمترسوا بين "المادراسال" والعرب ، وتسيدوا الموقف - خُطط لذلك منذ اليوم السابق خلال اجتماع المجلس ، وهو أن يأتي رجالنا إلى "المادراسال" وحمايته خلال وجود الملك بالداخل .

الفصل الحادي والأربعون بعد المائة :

عندما شاهد العرب وصول قواتنا ، وسيطروا على الأبواب ، اعتقدوا بأن الملك أما أن يكون اغتيل أو أُلقي القبض عليه ، لأنه سمح له بثلاثة من رجاله فقط بالدخول . أطلعوا كل شخص على شكوكهم حتى الرجال الذين كانوا في خدمة ريس حامد .

تجمع كل سكان المدينة هناك ، وبدأ الحديث ينتشر بينهم ، وبدأوا يتململون ويهمهمون ؛ وتطور ذلك إلى صراخ وهياج مخيف ، هتف البعض للملك وآخرون لريس حامد - أثارهم ريس مظفر لتلك الحالة ، وأكد لهم أما أن يكون الملك قد قُتل أو أُلقى القبض عليه ، وانصب غضبهم على البرتغاليين ، وبدا أنهم يريدون قتالهم ،

كانوا سيبدأون بذلك لولا أن أنقذ الحاكم الموقف ؛ عندما سمع الصياح بالخارج تصور أن العرب يشكون في الموقف ، (كان ذلك من حقهم لعدم السماح لهم بالدخول ، ولوصول قواتنا وأحاطتهم للمكان) ، فطلب من الملك الخروج ، والتحدث مع الناس ، وأنه حر طليق ، وفعلاً قام بذلك وتبعه ريس نورالدين .

هتف الناس فرحين برؤيتهم أحياء ، وهللوا ، وطلب منهم الملك الهدوء وعدم التسبب في أي مشكلة ، لأنه سيقوم بإعدام كل من تسول له نفسه ذلك ، وطلب منهم التفرق ، أمر ريس نورالدين أحد أبنائه ، الذي كان يقود بعضاً من رجال الملك ، بأن يذهبوا .

عندما شاهد ريس مظفر ذلك ، خشي أن يكون شيئاً ما قد حـدث لشقيقـه ، وبـدأ بمناداته بإسمه ، وطلب من رجالنا تسليمه له ، أو إظهاره أمام الناس ، لكن طلب منه الملك أن يغادر هو وإخوانه المدينة في الحال ، وأن يخلوا منزله ، وعليهم مغادرة المملكة .

استجاب للملك ، وأشار إلى أنه تحت طاعته ، شريطة أن يسلموه شقيقه ، رفضوا ذلك ، وعاد هو ورجاله إلى مقر الملك ، (كان ريس حامد قد ترك شقيقه ريس على للحراسة هناك) ، واستعد للقتال ، لأنه لم يكن يخشى الملك ، ولم يهتم بالرسائل التي بعث بها الملك له طالباً إخلاء المقر ومغادرة المدينة .

السبب الذي جعله يستجيب لطاعة الملك كان خوفه من الحاكم ، الذي أرسل له الشيخ اسماعيل ، وهدد بقتاله إذا لم يغادر المقر ، وسيأتي بكل رجاله من الأسطول ومعهم مدافعهم التي جئ بها على ظهر العربات ، ووضعت في البرج القريب من المقر .

عندما شاهد ريس مظفر ذلك ، خاف أن يصيبه نفس مصير شقيقه ، فغادر ، منحه الحاكم والملك إذن عبور آمن ، وسمحوا لشقيقيه بالمغادرة مع زوجاتهم وأطفالهم وأقاربهم وخدمهم وكل ممتلكاتهم ، وقدموا لهم بعض البضائع من الهند ، وسفينة ليبحروا عليها ، ووعدهم بعدم متابعتهم إن غادروا .

طلب من الكاتب مراجعة الخزينة ، ليرى إن كانوا قد أخذوا أي

شيء منها ؛ وكانت كما هي . صعدوا بعدها ، وغادروا . بعد إخلاء المقر الملكي أوكل الملك لأبناء ريس نورالدين المسؤولية عليها ، كان يمكن للحاكم الاستيلاء على المقر .

حتى الملك الذي كان تحت سيطرته ، إلا أنه لم يفعل ذلك لعدة أسباب ، منها أن الناس كانت ستثور ضده ، وسيخسر الكثير ، كما أنه أراد أن يبقي على علاقته بالملك ، الذي وضع نفسه بين يديه ، وأنه جاء إلى هرمز فقط لدعمه وليعيد له ما اغتصب منه .

الفصل الثاني والأربعون بعد المائة :

استمر هذا الأمر حتى مغيب الشمس ، وقد بقي الملك طيلة هذا الوقت جالساً فوق المصطبة ، ولقد قصد بذلك أن يراه كل الناس ، ويرى كل فرد كيف أنه يجد كل هذه المعاملة الكريمة والعطف من الحاكم .

بعدما تم ترتيب مقر السكن ، وأصبح كل شيء آمناً ، مضى الملك إلى منزله ، تتقدمه فرقة الموسيقى بآلات العزف والطبول ، وخلف هذه الفرقة سارت كوكبة من الرجال المسلحين من رجاله ، حيث سار الملك خلفها مباشرة ، وكان مسلحاً أيضاً .

قد ارتدى عندما كان موجوداً على المصطبة ، بناء على طلبه ، لأنه كان قد رأى رجالنا ، وهم يلبسون مثل ذلك الزي ؛ وتقدم الملك على صهوة جواده ، وخلفه سار "دوم قارسيا" ، وفئة من القباطنة

البرتغاليين ، وبعض النبلاء ، هذا بالإضافة إلى الريس نور الدين ومجموعة أخرى من النبلاء وذوي المكانة .

عندما غادر الملك "المادرسال" ، كان سعادة الحاكم قد انتظره في مكان فوقها ، يرافقه بعض قباطنتنا ، وهم على صهوات خيولهم ، وكذلك العديد من الرجال المسلحين ، وما أن انضم إليهم الملك ، حتى مضى الركب في طريقه إلى المقر الملكي .

كان المنظر رائعاً أن يشاهد الرائي هذا الموكب العظيم ، الذي يتبعه حشد كبير من الرجال ، وعدد لا يحصى من عامة الناس ، الذين جاءوا خصيصاً لمشاهدته ، ولما كان الحاكم يمتطي فرساً نشيطاً مفعماً بالحركة ، فقد صعب عليه السير بجانب الملك ، وبالتالي تقدم عليه لكي يفتح الطريق أمام الملك .

لولا ذلك لما تمكن الملك ومن معه من التقدم والسير بسبب هذا الجمع الحاشد من الناس ، الذين ظلوا يهتفون مهنئين وشاكرين الحاكم على المعاملة الكريمة التي خص بها جلالة الملك . وعندما وصلوا إلى المقر الملكي ، وهو أيضاً يمثل قلعة المدينة .

قام الحاكم بتسليمها للملك و"للقاضي" الرئيس نورالدين ، وذلك في حضور هذا الجمع الحاشد من الناس ، وحضور سفير الشيخ إسماعيل وقائده ، وأقروا جميعاً بأنهم استلموها على يديه .

عندما حانت لحظة مغادرة الحاكم ، ودعه الحاكم بانحناءة

كبيرة ، قائلاً له : "إنك أبي ، وبصفتي مثل ابنك فسوف أظل أذكر هذا الفضل الذي أكرمتني به" ، وبما أن الليل قد أظلم فقد مضى الحاكم لكي ينام في برجنا .

بعد وفاة الريس حامد ، بدت المدينة تنعم بالسلام ، وصار الحاكم يجد احتراماً وافراً من السكان ، لأنهم لمسوا حقيقة نواياه في تنمية المدينة وتطويرها وازدهارها ، وتأكدوا من المعاملة الطيبة التي كان الحاكم يعامل بها جلالة الملك ، على الرغم من أن الفرصة كانت مواتية للحاكم لكي يستولى على المدينة والقلعة ، لو كان يرغب في ذلك ، سيما وقد كانت لديه القوة الكافية التي تحقق له ذلك .

في صبيحة اليوم التالي ، أرسل الحاكم مجموعة من رجاله لزيارة جلالة الملك ، الذي بعث إليه برسالة يقول فيها إنه لم ينم نوماً هادئاً ، كما نام البارحة ، منذ شهرين وتعامل مع رجالنا بكل لطف قائلاً إنهم تكبدوا مشقة كبيرة لأجله يوم أمس .

أرسل له الريس نور الدين أيضاً رسالة أعرب فيها عن شكره وتقديره ، وفي نفس الليلة كان قد صرف مجموعة الحراس الذين يراقبون القصر في الجانب المقابل لقلعتنا ، كما أمر بإزالة أسلحة المدفعية التي نصبت في نفس الجانب .

في اليوم الذي أعقب وفاة الريس حامد وهو يوم الجمعة ، توجه الملك لكي يؤدي الصلاة ، وهو أمر لم يفعله منذ عدة أيام ، وقال

إن الشيخ إسماعيل كان قد أرسل له ابتهالاً ، لكنه أسقط منه الجزء الذي أضافه الريس حامد ، هنا احتج سفير الشيخ إسماعيل للحاكم قائلاً إن الملك قد فعل ذلك لأنه يخافه .

بعدها أرسل الحاكم رسالة إلى الملك ، يطلب منه أداء الابتهال ، كما كان على الأقل حتى يذهب سفير الشيخ إسماعيل في حاله . وبالفعل وافق الملك على طلبه هذا ، وإذعانا أيضاً لطلب الحاكم صدر القرار بأبعاد الكثيرين من شواذ الرجال من هرمز ، فقد كان هناك رجال يرتكبون الفاحشة تماماً كالنساء .

تلبية لطلبه كان الملك قد اشترى بضائع بقيمة اثني عشر ألف سيرافين من بضائعنا أراد بأموالها أن يشرع في بناء القلعة ، لم يكن الحاكم راغباً في أن يطلب من الملك المال في هذا الوقت ، بالرغم من أن المال هذا أصبح مستحق الدفع ، وذلك حتى لا يبدو أنه جاء إلى هرمز فقط لأجل الكسب ؛ كما أنه أراد أيضاً أن تصبح علاقة الصداقة بينه وبين الملك أكثر قوة وتماسكاً .

بعد مضي أربعة أيام على وفاة الريس حامد ، كان الملك قد ذهب إليه ، ومعه بعض الهدايا ، وهي عبارة عن خيل وسرج مزركش بالفضة وسيف أصيل وخنجر وحزام مطرز بالذهب وقطعتين من القماش الأزرق وثلاثة أخر من الحرير .

أما بالنسبة للكابتن "دوم قارسيا" فقد أهدى له الملك خيلاً

وسرجاً وقطعة من القماش وأخرى من الحرير ، وكذلك أهدى الملك لكل واحد من القباطنة قطعة من القماش وأخرى من الحرير .

في هذا الاجتماع ، كان قد طلب من الحاكم أن يسلمه بعض الأسرى العرب ، الذين يعملون في المراكب بالتجديف ، وقد وافق الحاكم على استجابة طلبه هذا ، ووعده بإعطائه المزيد من المجدفين على أن يدفع لهم أجورهم بنفسه "بطلب من الحاكم" .

بعد هذا الاجتماع أمر الملك بأن يذاع في المدينة إعلانا مفاده أنه يحظر تماماً على أي فرد حمل الأقواس والأسهم داخل المدينة ، ولعل الذريعة في هذا الإعلان هو خشية الملك من أن يقدم أحد على قتله ، وذلك بسبب ما حدث للريس حامد - عموماً في واقع الأمر كانت هذه الأسلحة التي يخاف منها الملك أكثر من غيرها .

بعدما تم حرمان العرب من حمل أسلحتهم هذه ، أراد الحاكم تعزيز نفوذه وسيطرته بشكل أقوى عليهم ، حتى لا يلجأوا لأعمال الخيانة والغدر ، كما حدث في المناسبات الماضية ؛ ولتحقيق هذا الأمر أصدر أوامره لقادته بأن يحرصوا على تنبيه رجالهم بحمل أسلحتهم وحرابهم بشكل دائم .

في أي مكان يوجدون فيه ، أو عندما يخرجون من منازلهم ، وبالإضافة إلى هذا فعلى كل واحد أن يذهب إلى زيارة الملك كل أربعة أو خمسة أيام آخذين معهم رجالهم المسلحين . كان قرار

الحاكم هذا قد أدخل السعادة والسرور في نفس الملك ، سيما وقد أصبح يراهم حوله بلباسهم المميز والأسلحة التي بأيديهم ؛ وبالتالي وزع مجموعة من الخيول على القادة واستمر في توزيعها عدة مرات .

في يوم الثامن عشر من شهر مايو ، كان الحاكم قد اكتشف غياب ثمانية من رجالنا ، وهم "بانتالياو" "Pantaliao" المسؤول عن موانع الانزلاق ، و"جواو أفونسو" "Simao Afonso" وهو أيضاً يعمل في انزلاق "نازاري" و"أنطونيو فريز" "Antonio Freiz" (وهو بحار كان قد ذهب إلى مالاكا مع الحاكم) غاليشيان – أحد الحراس .

"غاليشيان" آخر اسمه "دي ألفيتو" كان قد أسلم في يوم ما ، واثنان من الجنود وأحد الخدم من المسيحيين . كان جميع هؤلاء قد هربوا إلى البر الرئيس ، وعندما علم بذلك أخبر جلالة الملك بالأمر ، وناشده القبض عليهم جميعاً ، وأعلن بأنه سوف يقوم بمكافأة من يتمكن من القبض عليهم وإعادتهم ،

وبالفعل اهتم الملك والريس نورالدين بهذا الموضوع ، وأولوه كامل عنايتهما بحيث استعادوهم جميعاً ، ففي اليوم الأول من مايو كان "جورجي دا هورتا" قد أتى بسبعة منهم من البر الرئيس ، حيث كان قد ذهب يبحث عنهم بأمر من الحاكم وتوجيهاته .

قد حكم عليهم الحاكم بعقوبات رادعة باستثناء مسؤول الانزلاق "جواو أفونسو" والبحار "أنطونيو فيرناندس" ، لأن كلاهما كان سبباً

في نجاته عندما غرقت سفينته أثناء رحلتها من مالاكا إلى الهند . أما الخادم فقد أعطاه إلى "جيرونيمو دي سوسا" الذي كان قد ذهب أيضاً للبر الرئيس مرافقاً وحامياً لسفينة الطراد العائدة "لجورجي دي هورتا" .

وفي العام نفسه (١٥١٥م)

جاءت رسالة كتبها رئيس المستشارين في "رودس" "Rhodes" وكبير قضاة "فيراكروز" "Vera Cruz" نقل فيها لجلالة الملك الأخبار عن كيف حقق رجال "الإمبراطور" الفارسي النصر على عظيم الترك وحصد قواته تماماً للمرة الثانية ، "فيرا كروز" في الخامس من شهر فبراير عام ١٥١٥م : [٢٥]

نتيجة لذلك هناك شك إن كان قد قُتل أم لا ... وقد استولوا على معدات ضخمة من الأسلحة العسكرية منه ، وعن سلب ونهب للغنائم من قبل البنادقة ومسائل أخرى .*

أكثر الناس محبة والسيد العظيم .

في الرابع من الشهر الحالي تسلمت بعض الرسائل من

(٢٥) رقم الوثيقة والهامش.

"رودوس" ، كتبت هناك في الرابع عشر من شهر أغسطس ، أطلعتني على الأخبار التالية :

أُفيد أن عظيم الترك ذهب إلى ميدان المعركة مع العديد من القوات ، وكان معه عدد كبير من المدفعية ضد إمبراطور الفرس ، ملك فارس ، وفي الوقت الذي كتبت فيه هذه الرسالة ، فإن الحرس المتقدم للأتراك يواجه مع أولئك الذين يتبعون للإمبراطور ، وعليه اشتبكوا في معركة كسبها رجال الإمبراطور وقتلوا خمسين ألف من جنود المشاة ومئتين من حاملي البنادق تم أسرهم من رجال عظيم الترك .

استعد الأتراك للاشتباك معهم مرة أخرى في معركة لاحقة ، وقد اعتقد أنهم سيخسرون المعركة وحياتهم نظراً لقوة ملك الفرس وروح رجاله العالية تجاه قتال الأتراك .

يبدو لي على اعتبار خسائرهم خلال تلك الخمس سنوات وحتى الآن يبدو قريباً جداً ألا يبقى أحد للقتال... بالرغم من السمعة بأن النساء لن يتحولن إلى رجال .

في الرسائل التي وصلت في أكتوبر عن طريق "سيلان" ، أُفيد أن عظيم الترك قد خسر المعركة ، لكن لم يُعرف أن كان حياً أم توفي ، وأن القسطنطينية قد نهبت بواسطة الجندرمة (الإنكشارية) الذين كانوا يحرسونها ، الأمر الذي آسف عليه كثيراً ؛ لأنني تمنيت من

الرب أن أكون مشاركاً في الاستيلاء عليها ، بالرغم من أن القليل قد بقي ليسلبه المسيحيون .

يبدو أن الرب قد بدأ يلطف بهذا الوضع ، حتى وإن كان هناك أشخاصاً يودون أن يذهبوا إلى هناك بنفس الطريق عبر "سيلان" ، مثل "بيرو جواو دا بيروس" قائد الملك الفرنسي الذي عبر في مناسبة أخرى من خلال "لشبونه" واستولى على سفينة من "جنوا" خارج ساحل "فالنسيا" ، علموا بذلك في "جنوا" وأعدوا تسع سفن مع العديد من السفن الأخرى ، واصطدموا به خارج ساحل "برشلونة" ، حيث دارت المعركة حتى حلول الظلام عندها انفصلوا عن بعضهم ، لم يلتقوا مرة أخرى ولا أحد يدري أين ذهب المذكور "بيرو جواو" .

عن سفن "جنوا" ، ثلاثة منها تحطمت على البر وقاربان على ساحل "برشلونة" ، ولم ينج أي من الرجال الذين عليها .

كانت هناك خمسة من المراكب التركية تبحر بالقرب من "كورسيكا" ويقومون بأعمال مذهلة ، جاءت اثنتان من سفن "جنوا" للبحث عنها . استولت المراكب على إحدى السفن وفرت الأخرى ، لذلك عندما اعترضت سفينة "جنوا" قارباً صغيراً لفرساننا احتجزوها انتقاماً لكل ذلك .

ادّعوا أنها تعود إلى "بيرو جواو" ؛ لأنه يأتي من القديس "جيليس دو جارد" وعضو في أخويتنا التي غادرها بالرغم من أن ذلك كان

لصالح الفرنسي ؛ كان ذلك لأنهم أرادوا أن ينتقموا منا . أعتبر أن ذلك من واجبي في أن أطلع سموك عن كل هذا .

على الرغم طول هذه الرسالة ، إلا أنها أقل ضجراً عند قراءتها عن الأُخريات بسبب الأنباء التي فيها ، بعثت لي سموّك بتفويض لرئيس القضاة في "بيرا" ليعد سجلّاً بمنح الأراضي وأن يقابل من يتولّى المنصب الكنسي في "فيلا كوفا دا كولهيرا" "Vila Cova da Culhera" .

استأنف سكان "فيلا كوفا" المذكورة ضد حكم مساعد رئيس القضاة ، والقضية القانونية لم تخسر بعد في "لشبونه" ، لذلك ألتمس من سموك أن تبعث برسالة للحاكم حتى يتم إرساء العدالة فيما يتعلق بالأخوية وأن ينظر في هذه القضية بأسرع ما يمكن .

أقبل يدي سموك الملكيتين ، نسأل الرب أن يعلي من شأنك ومكانتك مع عمر طويل بإذن الله .

من "فيرا كروز" وفي الخامس من شهر فبراير عام ١٥١٥م .

وصل تابعك المطيع كبير المستشارين في "رودس" والمراجع العامّ في "فيرا كروز" .

(نصّ غير كامل) .

وفي العام نفسه (١٥١٥م)

صدر أمر من "أفونسو دي البوكيرك" "Afonso de Albuquerque" الحاكم في الهند ، إلى "مانويل دا كوستا" "Manuel da Costa" وكيل هرمز التجاري . هرمز ، في السابع عشر من شهر إبريل عام ١٥١٥م ، بالاستيلاء على أموال الناس وسفنهم لا لذنب اقترفوه : [٢٦]

أنا القائد العامّ ، آمر بموجب هذا "مانويل دا كوستا" الوكيل التجاري لمدينة هرمز والكتبة العموميين في المحطة المذكورة أن يؤدوا لي مبلغ مائتي "أشرفي" التي أقبل بها كجائزة لي عن السفينة المحملة بالأرز والتي استولى عليها الأسطول في مسقط . وأيضاً كل الأرز الذي يخص السفينة المذكورة ، وهيكل السفينة لسيدنا الملك أخذ كنصيب له . تسلم ذلك عندما تم الاستيلاء

(٢٦) رقم الوثيقة والهامش.

على سفينة أخرى كانت محملة بالقطن في نفس المكان والتي اقتسمتها معه .

بأمر مني ، فإن الأرز من السفينة المذكورة تم تفريغه وسلم إلى مضيف السفينة لإطعام الأسطول .

تم بعد ذلك تفكيك السفينة للمساعدة في بناء قلعة هرمز ، وعليه آمر بتسليم وتسديد مبلغ المائتي "أشرفي" المذكورة أعلاه لطرفي والتي أقبل بها كجائزة من أي مبلغ مالي تتسلمه من سيدنا الملك .

عليك بإفراغ وتسليم الأرز لأنك تود أن تكون الموزع للغنائم . قم بتنفيذ هذا الأمر .

سيتم اعتماد ذلك حسب الأصول في حسابك من خلال قيده في دفتر حسابات الكتبة العموميين المذكورين ، وبهذه الطريقة سأعلم بأنني تسلمت مبلغ المائتي "أشرفي" المذكورة كنصيبي منك .

أُعدّ في هرمز بتاريخ السابع عشر من شهر إبريل عام ١٥١٥م بواسطة "فيرناو بيمينتيل" .

(التوقيع) : "أفونسو دي البوكيرك"

وفي العام نفسه (١٥١٥م)

صدر أمر من "أفونسو دي البوكيرك" "Afonso de Albuquerque" الحاكم في الهند ، إلـى "مانويل دا كوستا" "Manuel da Costa" الوكيل التجـاري في هرمز . هرمز ، في اليوم الخامس من شهر مايو عام ١٥١٥م ، بشأن هدايا للشيخ "إسماعيل الصفوي" ملك فارس : (٢٧)

أنا القبطان العامّ ، بهذا آمركم "مانويل دا كوستا" وكيل هرمز التجاري وكتبة الوكالة المذكورة أن تسلموا إلى "جيل سيموز" السكرتير لدى السفارة الأغراض التي أرسلتها إلى الشيخ إسماعيل من خلال "فيرناو جومز دي ليموس" و"جواو دي سوزا" مساعده ، والأشياء المذكورة هي التالية :

اثنتين من الأساور المصنوعة من الذهب ، إحداهما مرَّصعة

(٢٧) رقم الوثيقة والهامش.

بسبعة أحجار ياقوتات ، والأخرى كبيرة جداً وست من ذوات الحجم المتوسط ، مضافاً إليها تسعاً وعشرين قطعة ألماس .

سوار أصغر مظهراً عين قط كبيرة ، محاطة بياقوتتين من ذات الحجم المتوسط وثلاثاً وعشرين ياقوتة صغيرة ، مع إحدى وسبعين قطعة ألماس صغيرة ، وثلاثة قطع من أحجار الزمرد المتوسط الحجم وستة قطع صغيرة ، يصل وزن الذهب في هذه الأساور إلى أربعة "ماركات" بقيمة قدرها مئتين وستة وخمسين "كروزادوا" .

أربع خواتم من الذهب اللامع ، الذي يعني ثلاثة منها تحتوي أحجار ياقوت كاملة الأوصاف كبيرة ، وأربعة ذوات حجر صفير "Sappire" أزرق "لازوردي" محاط بسبع وعشرين ياقوتة ، الجميع من الذهب المساوي في قيمته أربعة عشر "كروزادوا" .

تعليقة ذات ياقوتة حمراء كبيرة في الوسط ، مثل تلك التي توجد في الخواتم ، مع أربع متوسطة الحجم وثماني صغيرة الحجم من الياقوت ، وأيضاً مع اثنين من أحجار الفيروز التركوازي اللون ، وثلاثة لآلئ في شكل الكمثرى ، واحدة كبيرة والاثنتين متوسطتي الحجم ، ألماس صغيرة الحجم .

سلسلة من الذهب تساوي في قيمتها سبعة عشر "كروزادوا" وربع .

إنكم سوف تقدمون إليه قلنسوة معطف من القطيفة السوداء مزينة بالذهب والياقوت .

هذه القلنسوة فيها مائة وواحد وثماني ياقوتة وتقدر قيمتها بأربعة وسبعين "كروزادوا" من الذهب .

إنكم أيضاً سوف تسلمون العملات المعدنية التي أنا مرسلها كنماذج إلى الشيخ إسماعيل ، التي تعني : خمس برتغاليات من الذهب ، وخمسة "كروزادو" من المعدن ، وخمسة "كاتوليكو" ، وخمسة "مانويل" ، وخمسة "توستو" .

سوف تقدمون إليه أيضاً السيف والخنجر والرماح المزينة بالذهب ،وكذلك أيضاً بدلات الدروع مع وقايات الصدر ،والأجزاء السفلي من الدروع المصنوعة من الصلب .

سوف تسلمونه ثلاثة نشاشيب وست بنادق مع لوازمها وأدوات زينتها ، دعوا هذا يتم فعله بقرار .

سوف يتم إضافة هذا إلى حسابكم في حينه من خلال بوليصة الشحن وحساب الدفاتر لدى الكتبة المذكورين .

كُتب في هرمز في اليوم الخامس من شهر مايو عام ١٥١٥م ، بيد "فيرناو بيمينتل" .

آمركم أن تسلموا هذه الأشياء إليه لكي يتم حملها كهدية إلى الشيخ إسماعيل .

كُتب في اليوم المذكور والشهر والسنة .

أيضاً ، تسلموا إليه نشاباً آخر مع لوازمه .

كتب في اليوم المذكور والشهر والسنة .

(الموقّع) : "أفونسو دي البوكيرك"

وفي العام نفسه (١٥١٥م)

بعث "ديوغو دي ميلو" "Diogo de Mello" رسالة إلى الملك ، تتضمن عدة أخبار متفرقة من الهند وحكومتها بخصوص عدم موافقة "القضاة" على ذهاب أي زنجي أسود إلى تلك القلعة حتى لا يقف أي أحد على حقيقة ممارساته هناك ، وهنالك أمور أخرى لها علاقتها بهرمز ، هرمز ، العاشر من شهر أغسطس عام ١٥١٥م : (٢٨)

إلى مولانا جلالة الملك ، سيدي :

نسخة من الرسالة التي سطرتها إلى سعادة "دوم مانويل هنريك" "D . Manuel Henrique" الكابتن وحاكم الهند : إن المسائل التي خاطبني فيها سيادتكم وأمرتني بمراعاتها لا تتطلب رداً أو مبرراً طالما أن ما حدث لي كان نتيجة لما قاله "خواجا شرف" .

(٢٨) رقم الوثيقة والهامش.

ماذا بقي لي لأقوله عندما أخبر سيادتكم "القاضي" بأن يطلب من "خواجا شرف" أن يرسل "روج استيفز" "Rouge Esteves " تماماً كما أرسلته دون إبداء وشرح السبب ، وحينها كان "خواجا شرف" قد صرح بأنه يسعده أن يأتي لكي يتولى الإشراف وتنفيذ مهام هذا المنصب ، ويترتب عليك أن تعطي أوامرك بتعيينه في المنصب ؛ لأنك إذا لم تسمح بحضوره فسوف يكون ذلك بمثابة خيبة أمل له .

لقد آمنت سيدي بأنه كان ينبغي أن أمنح تلك الثقة وتتم مساءلتي عن ضرورة ذلك ، وأيضاً مساءلتي في كل الأمور الخاصة بخدمة جلالة الملك وليس "خواجا شرف" أو "القاضي" الذي تم إرساله إلى هناك ، ليس لأي سبب آخر سوى تعلُم اللغة ، ولو كنت في إرساله إلى هناك من دون المزيد من اللفظ فلا زلت أحتفظ بالسبب في إرساله مؤمّناً له كل أسباب السلامة والأمن ، ليست تلك غلطتي إذا لم تتم مراعاة ذلك الأمر على النحو الصحيح .

إن لديّ قاضٍ هنا يُعنى بالأمر وهو ما يقوم به بالفعل ، وهو مسؤول أيضاً عن التحقيق القضائي ، الأمر الذي يتحفظ عليه سيادتكم ويؤمن بأنه ليس الوحيد الذي يقوم بالتحقيق ، وحقيقة لهذا لا يعنيني بالإضافة إلى أن الوقت قد فات على توليه المنصب ، فإذا لم يكن من أجل مصلحة القضاء فعلى الأقل بسبب ما ورد عن الشهود عن حقده وأساليبه الانتقامية تجاه خدمة جلالة الملك ، وذلك حقيقة ، وهو موجود هنا لأن سيادتك قد أمرت بأن ذلك

ينبغي أن يكون ، أضف لذلك أن كل ما هو مطلوب من الملك أن يأمر بأن الرجل لا يجب أن يظهر في حضرته .

إن كان سيادتكم تعتقدون أن الملك قد خاطب ذلك السيد وألم بالموضوع ، فإنني أراك مخطئاً في ذلك لأنك لم تر ما كتبه أو وقّع عليه باستثناء ما وضع في يده وما أمره "القاضي" بفعله بالرغم من أنه وجميع الآخرين قد أدوا القسم ، فهم لا علم لهم كما أنهم لم يخبروني أو يأمروه بأن يروي ما يحدث ، وبسبب هذا فإنه لا يجرؤ على إرسال أي عبد أسود إلى هذه القلعة دون أمر ، وعليه فقد أعطى الأوامر للكثيرين من العبيد بعدم الحضور إلى هذه القلعة حتى لا يعرف أحد ما يحدث هنا .

عموماً فليتفكر سموكم في أنهم اتجهوا إلى هناك دون أية مرجعية أو رغبة في تواجدهم ، ولا تعتقد أن ذلك لأجل شيء آخر غير مصلحة "روج استيفز" ؛ لأن ما من شيء يزعجه غير حقيقة إمكانية إزاحته من هنا ، فهو رئيسي لكنني لا أعرف أي شيء عنه ، وهذا الأمر معلوم لكل شخص ، وبالتالي لا ضرورة للوقوف على ذلك من شخص بعينه ولكن يمكنك سيدي أن تسأل أي شخص تريد .

هكذا أرسلت "فيرناو مارتينز" وسعادة القاضي إلى الملك بالقرار الذي يعتبر سموكم أن من الأصوب أن يبقى "خواجا شرف" هنا فقط إذا ما أراد "روج استيفز" اتهامه ، وحينها سوف تجرى العدالة

مجراها ، وقد أجاب بأن "فيرناو مارتينز" قد أثبت صحة أنه قد طلب ذلك مني ، ولكن لأن سيادتكم قد أمرته بأن يبقى هناك .

سيدي ، سوف ترى في هذا الموضوع أن "خواجا شرف" لم يتوخ الصدق عندما قال إن الملك سوف يكون سعيداً بقدومه ؛ لأنه لم يتسبب في أي أذى طالني ، وإنما أضر بمصالح الملك ، ولقد اعتقدت بأنه سيكون قادراً على استيعاب مثل هذا الأمر الصغير ، لكن كانت تلك غلطتي ، عندما أرسلته إلى هناك ، إذ إنني لم أعد راغباً في ترتيب أمر إزاحته من حضرة الملك .

لكي يعلم سعادتكم كم كان "القاضي" نادماً وكيف كنت مخدوعاً من جانبه ، حاول أن تقف على حقيقة ما إذا كان قد كتب لك أي شيء ضد رئيسي ، وإن كان قد فعل ذلك لما كان أي قائد أعلى كشف قط مثل هذه الأشياء أو أعطى رداً بالرغم من أنه يجب أن يكون على علم بأفعال الكابتن وملماً بحقيقة كل ما يفعله أو يريده من الأهالي الذين ذهبوا للاستماع ، وليس من الذين قمت بإرسالهم للقيام بمهام خدمة جلالة الملك ، أيضاً كان يجب أن يتعلم من المسلمين الذين جاءوك بالرسالة السرية من "القضاة" .

سيدي يجب أن يكون سيادتكم مدركاً لحقيقة نوايا "القاضي" ، وكذلك الأسباب التي دفعته للقيام بذلك العمل قبل أن تقرر أن تمنحه أية ثقة أو مكافأة ، لأن كل شيء يبدو مؤذياً وضاراً بمصالح الملك .

بالتالي ، سيدي فمنذ اتفاقه مع "دوم دوارتي" فقد أرسله إلى هنا للاحتجاج ضدي وتقديم الشكوى بأنني قد شجعت الأهالي على تهديده ، لقد أدى "دوم دوارتي" نفسه القسم وحلف أمام "أنطونيو دي فيقويردو" إنني أصدرت الأوامر لتهديده ، ولكنه يعلم أن ذلك هو نوع من الدعاية ليس إلّا ، وهكذا والآن جعله يعترف أمام "روجو استيفز" وفي حضور "ديوغو دي ليما" كيف أنه وقع في الحب هنا وأن الملك وشخصي قد قررنا أن نأمر بقتله .

عليه فقد أخبرني "روج استيفز" أنه افتعل هذا الخلاف الذي بدأه "دوم دوارتي" ، وبسب ذلك أعطيته الأمر كي يتم الاستدعاء بواسطة "روج استيفز" وأبلغته بأسباب وجودي هنا وأقنعته بالذهاب إلى القصر .

عليه سيدي كان ذلك هو السبب الذي جعل الريس شرف لم يعد يحتملني .

عند زواج الملك بابنته ، أرسل الملك مذكرة لي ، وعندما كنت أعمل هنا في منصب الكابتن لم أكن أعلم بالأمر إلّا بعدما بقي من الزمن أربع ساعات فقط لإكمال مراسيم عقد القران ، والموافقة على قبول بعضهما بعضاً كرجل وزوجة ؛ لكي أساعده في هذا الأمر لأنه لن يتورع عن شنق نفسه إذا ما فعلوا مثل ذلك الشيء .

عندما قرروا استقباله ، جاء "القاضي أميرس" وأخبرني

بضرورة حضور حفل الاستقبال ، فأجبته بأنني لم أرَ أو أعلم بأي شيء من هذا القبيل ، وأن الملك قد أشار إليّ أنه إذا ما فعلوا أي شيء فإنه سوف يشنق نفسه ، وبالتالي كيف لي أن أفعل ذلك؟

بعد ذلك ولأجل إصلاح ومعالجة هذا الموقف فإنهم سوف يسارعون لاستقباله في غضون ساعة واحدة من الزمن بممتلكات الملك.... وتلك الخاصة "بالقاضي" ؛ وذلك لأنني قلت إنه لا يجب أن يذهب طالما أن الملك قد أكد أنه سوف يشنق نفسه إذا ما قبلت ابنته وتزوجت به ، وهذا لم يتم بلا جدوى ؛ لأنه قد أضر بشخص ما ولكن لست أنا .

هكذا سيدي فمن الواضح أن "دوم دوارتي" قد ذكر هذا له لكي يخشاني ولإحداث نوع من البلبلة ، موعزاً إليه أنني رجل شرير وقوى وأنه إذا ما حدث بيني وبينه أي خلاف فلن أتردد في طعنه وإردائه قتيلاً .

يبدو هذا صحيحاً ، سيدي ، بأن يصار إلى إبلاغك بأنني قوي كما وصفت بل أقوى ، ومنذ أن أخبر سيادتكم "دوم ديوغو" "دي ليما" كي ينصحني حتى لا أكون مزاجياً سيّئ الخلق سيكون من الجيد أن تعلم سيدي أن تلك الكلمات القاسية كما يقولونها ، هي فقط كلمة واحدة قيلت إزاء غلطة واحدة ، فيجب أن أقبل كل كلمات الحق الأخرى . لكن يكون ذلك هو مربط الفرس ، كما

أنني لا أعتزم الإقرار بأنني لا أفهم ما أفعله ؛ لأنني حقيقة أفهم ذلك بشكل جيد وأنني أستحق أكثر من هرمز... إلخ .

صحيح أنني غالباً ما أقول "للقاضي" إنه ملك نفسه وليس ملك البرتغال طالما لا توجد لديه رغبة في أن يدفع ما عليه ، وأنه في حالة عدم الدفع فإنني سوف أفصله وأسارع في تعيين آخر بدلاً عنه ، ولو لم أتمكن من وضع يدي على أمواله بواسطة تلك السبل فإنه لن يحصل عليها قط ؛ لأنه لن يدفع أي شيء على الإطلاق .

سيدي ، عندما تعرف الكثير عنه لا شك أنك سوف تكتب إليه كما تفعل ، وحقيقة ، شخصي أنا من يجب أن ينال المكافأة والتعويض وليس المسلمون ، طالما كان عليَّ إبراء ذمتي من خدمة الملك ، ولا يجب أن يتم إعطاؤهم المكافأة التي لا يوافقون عليها .

ليس هنالك من قبطان واحد كبيراً كان أو صغيراً تمكن من الدوران حول "رأس الرجاء الصالح" من أي اتجاه كان أو أي شخص آخر يمكنه أن يعمل في خدمة الملك بشكل أفضل مني ، فكل واحد سوف يفعل ذلك حسب منصبه .

أما بالنسبة للمسائل الأخرى التي تطرق لها سعادتكم في الخطاب الذي أرسلته إلى "القاضي" وأنك لم ترسل أمراً بالتجديد في الحال بل بشكل عام ، فليس من تلك المسائل ما وجد صحيحاً .

إنني لم يحدث أن تحدثت مع المسلمين في الرحلة من البصرة ،

وإذا ما وجد الشخص الذي يزعم حقيقة وصحة ذلك ، فإن تلك سيدي ليست المسائل التي أرسلت لي وإنما إلى شخص آخر يمكن أن يكون قد تواجد هنا ، أو ربما في مكتب الجمارك في "غوا" . أنني إذ أتوجه بالشكر الكثير للرب لأنهم حقيقة لم يجدوا أي شيء يمكنهم الكتابة عنه ، وبالمثل لأنهم لم يتفوهوا بأي شيء آخر إذ ربما قاد ذلك إلى شيء آخر .

إن سيادتكم يقترح أن تلك الأشياء تتسبب في طرد الناس من البلاد ، ولكنك سوف تقف على سبب إخلاء البلاد من خلال الاطلاع على الوثائق القانونية التي أرسلتها إلى هناك ، فالمواطنون الأصليون هم من بقوا معي لأجل مولانا جلالة الملك ، وهذا سبب رغبة "القاضي" في إيذائي بسبب الاستبانات القضائية التي وُجّهت ضده وضد "دوم دوارتي" بسبب كل ما فعلاه وبسبب الوسائل التي يستخدمانها في سرقة البلاد والعمل على إخلائها .

لهذه الأسباب أبلغ "دوم دوارتي" "القاضي" ألا يهتم لهذه الوثائق التي تتناقض مع أوامر الملك ، وبالمثل الاتفاقيات التي أبرمها هنا معهم ، وعلى كل حال ، فبموجب اتفاقية أصلية فإنه إذا ما عين القادة والشباب الذين أرسلهم كبار القادة ، ولو كانوا نبلاء أفضل مني ، فإنهم سوف يظلون يحكمون بشكل مطلق من خلالهم .

قد صرح "دوم دوارتي" شفهياً بأنه سوف يصوغ مجموعة جديدة

من اللوائح الداخلية والقوانين لأنني لا أفهم شيئاً عن شؤون المسلمين ، وبالتالي فمن مصلحة جلالة الملك أن يرسل الصلاحية إلى "القاضي" طالما أنه يملك البلاد ، فهو "قاضيها" ويوافق الملك على ذلك .

التوجيهات الواجب عليه اتباعها تتعلق بالخنازير والخيول والسفرجل والبطيخ ، وكذلك بالسبل والطرق التي تناسب الالتزام بأداء خدمة الملك الذي سمح لعضو هذا المجلس بأن يقول عنه ما لا يجوز أن يقال بحقه ، حسبما علمت من خلال الاطلاع على بعض الشهادات الخطية والتي أرسلها الآن بحيث تصعب الخدمة .

لقد تدخلت ورتبت الأمور بحيث يجب أن يُدفع للملك ، موضحاً بأنني على استعداد كي استعيد الأموال الأخيرة من "القاضي" ، وعليه فقد أصدرت الأوامر بضرورة مصادرة كل الأموال والأشياء الأخرى التي حصل عليها من فئة ضخمة من المسلمين المقيمين هنا ،

بسبب هذا وأيضاً بسبب ما فعله "دوم دوارتي" ، فقد هُجرت هذه المدينة تماماً ولم يبق فيها غير أقل من ألف نسمة من السكان ، ولكن الآن ربما أصبحوا ثلاثين ألف نسمة ، وفي موسم هذا الشتاء ربما ازداد عدد السكان أكثر فأكثر .

حقيقة لقد هُجرت هذه المدينة تماماً ، وبمجرد مغادرة "دوم دوارتي" أعطيت الأوامر بضرورة تعميم عدة رسائل على جميع القرى والمدن والطرق الخارجية وفي أي مكان توجد فيه فئة من الناس لكي يعودوا بممتلكاتهم وبضائعهم ، متعهداً بتوفير الحماية لهم ولمدينتهم ، وهكذا عاد الكثيرون (والحمد للربّ) إلى هذه المدينة ،

في هذا العام حدث أمر لم يكن قد حدث من قبل ، حيث تم إنفاق مبلغ ألفين وخمسمائة "برادوس" لشراء الكثير من الأغراض والمؤمن ، وهناك المزيد من الأموال التي أُرسلت للبرتغال أكثر من التي جُلبت إلى هنا في كل السنوات الماضية ، وعموماً كل شيء بدأ يسير على ما يرام نتيجة لجهودي وعملي الشاق .

قمت بإصلاح اثنين من صهاريج المياه اكتشفت أنهما قد مُلئا بأخشاب الوقود ، كما قمت ببناء الكنيسة التي ألحّ جلالة الملك على بنائها ، وتقريباً اكتمل البناء في الطابق الأعلى ، كما أنني توليت القيام ببعض الأعمال الأخرى والأمور المالية ،

لقد أعلن السيد "دوم دوارتي" و"القاضي" أن هنالك استغاثة تم تعميمها في جميع أنحاء المملكة لحث الناس كي يتبرعوا بمبلغ مائة "ليقوس" وكذلك خمسين (؟؟؟) وعشرين (؟؟؟) ، وبالتالي حتى لا يتهرب أي فرد آخر من الدفع ، وبما أن الملك لم يدفع حتى الآن فسوف أتمكن من إقناعه بدفع شيء يملكه الآن ، وبالطبع سيكون ذلك مبلغاً كبيراً ، كان "القاضي" قد قام بمصادرة ممتلكات

بعض التجار المسلمين الذين كانوا ينقلون سلعاً لأربعة أو خمس من الناس ، ولقد أوعز إليهم أنهم سوف يلقون حتفهم في الطريق أو في الموانئ ، أما الذين كانوا يسافرون بترخيص فقد عادوا إليَّ ، وبذلت ما في وسعي لإجباره على إعادة أغراضهم لهم ، وهكذا لم يبق برتغالي أو مسلم واحد صغيراً كان أم كبيراً إلّا استعاد أغراضه بسبب "القاضي" .

لو كنت طالبته بما لديه من أغراض الآخرين ، لما استطاع فرد واحد استلام أي شيء ، لكن كل ما رغبت فيه هو مصالح الملك وحفظ ما وجهي .

عليه ، دعوه يغتابني وليقل ما يحلو له ، فقد كل شيء ، أصبح أفراد المسلمين ودودين لكل شخص على عكس ما كان يكتبه لسيادتكم ؛ لأنه كان يسعى للحصول على شريك يساعده في نهب البلاد .

الآن ، وبعد أن استتبّ الأمن والسلام وزاد عدد السكان كثيراً ، تمّ بناء الكثير من المساكن وأصبحت العدالة والقانون ماثلين تماماً ، فمن الواجب أن يتم التطبيق بهذه الطريقة وسوف تكون على النحو الذي يأمر به سعادتكم .

آمل أن يتكرم سعادتكم بإرسال توقيعكم على وثيقة تقر وتؤكد اعتماد ذلك ، شريطة أن تكون على النحو الذي يأمر به "دوم دوارتي" .

في إطار اعتراضي على جميع وكل ما ضاع وسار في الاتجاه الخاطئ ، إلّا أن ذلك لم يحدث من خلال خطأ من جانبي ، وإنما بسبب أخطاء الشخص الذي أمرني بفعله ولم يرَ إنه من الملائم إن أنفّذ أوامر مولانا جلالة الملك .

بالتالي سيدي ، فإنني أرسل لسيادتكم نسخة من أمر البلاط والترخيص وأوامر جلالة الملك ، وأرجو من سعادتكم الاطلاع على الفقرة ثلاثة من الأوامر ، حيث إن جلالة الملك يدرك تماماً أن الرسائل يجب أن تُرسل لي ، بل ويجب إعطاؤها الأولوية عن الترخيص والأوامر .

طالما تؤول إليه البلاد و"القضاة" ، فأرجو أن توعز إليهم بألا يقدموا على فعل أي شيء دون إبلاغي ، حتى نضمن أن مصالحه تُخدم وتُراعي على النحو المطلوب .

إذا ما أخطأ ولم يُقم بالعدل بين شعبه ، فإنني سوف أدينه أمام حضرة جلالة الملك أو سوف أزيحه .

إنني أعلم ذلك جيداً وكذلك يعلم ابن "هوميم" ، وسوف يبلغ سعادتكم أنني لم أذكر شيئاً عن الصلاحيات التي تلقيتها من الملك ، ولكن شيئاً مما يمكن للحاكم أن يعطيني إياها ، وكان من الممكن أن يعطيني الكثير لو كنت قد سلمته أوراقي ويعدها كعدوٍ ، بعث لي بهذه الوثيقة ويمكن لسعادتكم الاطلاع عليها .

هكذا ، إنني لا أسعى لإيجاد شخص ما كي ينصحني أو يريني كيف أقوم بتنفيذ أو إدارة خدمة جلالة الملك ، لأنني أدرك كيف يكـون ذلك ، وإذا ما أخطأت فسوف يكون مرد ذلك لشخص ما لا يريد لي الخير بل يسعى لإيذائي ؛ لأنه لم يتلق اليوم أي خطاب إذ إنني في البداية أنقل كل شيء كما هو معلوم ومعروف إلى جانب الخطابات التي أُرسلت بواسطتي ، وشخص نبيل مثلي لا يسوؤه الاحـتيال والخـداع ولن يكون هنالك أحد يمكنه أن يؤذيني أو يشوه سمعتي .

سيدي ، بالإشارة إلى ما تفضلتم بذكره من أن هناك بعض الطرادات قد وصلت من الهند تحمل بعض البرتغاليين ، فمن بحوزتهم وثائق موقعة أو أذونات من بعض قادة القلاع تحمل سلعاً تجارية للبصرة ، يجب عليَّ أن أسمح بمرورها ، فإنني أعلن سيدي أنه بالنسبة لمتلكاتها فإنني سوف أتصرف تجاهها وفقاً وبناءً على ما ورد في التقارير التي أرسلتها لي سواء كانت صحيحة أم لا ، وسوف يطلع عليها ويدرك ما هو عادل بشأنها ؛ لأنه سوف يكون من الجيد أن ما قيل لي سيجدونه مطبّقاً من جانبي .

لقد فعلتم سيدي حسناً بإرسال خطاب إلى "فرانسيسكو دي سا" ، حيث رأيتم أنه من المناسب أن يقوم بتخفيض جميع الموانئ في "غوا" من أجل ذلك الهدف وتلك التي أعطيتها ، وألا يحدث الخطأ من خلال أخذها من الأهالي كي يستأثر بها لنفسه .

مولانا جلالة الملك يدرك جيداً بأنني آتي بالرجال وأُعيّنهم في تلك المناصب التي يملكون عنها الخبرة ، وهكذا سيدي ستسحبون الذين كان الحاكم أيضاً قد وافق على توزيعهم وسط شعبي ، وعليه فإنهم لم يخصصوا لخدم الملك ، أما بالنسبة للآخرين فسيكون من الأفضل .

سيدي ، أن تلح على ضرورة التزامهم بطاعة أوامرك ، وإلّا لأصبحت أنا مجرد مهرج هنا ، لا أعرف ما يترتب عليّ عمله ، حيث إنك لم تفشل فيما يختص بالأوامر التي راسلتها بضرورة حرث أرض هرمز وزراعة البلح الذي يوجد بوفرة هنا ، وعندما جاءت الإشارة وبسبب إرسالها من قبل "منسيس" حسبت أنها أرسلت من قبل "دوم دوارتي" لأنه يريد أن يلحق بي الضر والأذى .

أعود مرة أخرى إلى واحدة من المسائل التي خصني بها سموكم وهو الأمر الذي يختص بالعمل الذي يؤديه ابني ، والسبب أنه يوجد الآن هنا إلى جانبي وليس بسبب الوثيقة القانونية التي أرسلها سيادتكم إلى هناك والتي شهد بها كل من مدقق الحسابات و"القاضي" و"روج ستيفز" لأنها طلبت بواسطة الملك .

لقد حضر "القاضي أميرس" بنفسه كي يطلب مني أن أسلمها له ، ولقد كتب سيادتكم إلى "القاضي" وأرسلت "دوم جورج" وهو أحد أفراد عائلة مرموقة في البرتغال قائلاً : إن الملك يجب أن يخدم من خلال منصب بواسطة شخص مثله ، وإن عليَّ أن أقوم بعزل ابني فوراً من هذا المنصب .

إن ذلك مطلوب مني بأمر من "قاضي" الملك السيد "أميرس" .

حقيقة لم أعتقد أن ابني سيكون جلفاً بحيث لا يكون قد فهم طبيعة العمل بينما فهم ذلك "دوم جورج" لأنه يطلق لحيته ويتمتع بجسم ضخم ، لكن ربما كان حسبما أمرت به سيادتك .

لكي أُعطي سيادتك فكرة عن الكيفية التي أعيش بها ، يرى "اقناسيو دي بلهوس" أنني لن أحصل على الكثير من المال ، وبالتالي فهو يرسل فقط مبلغ ألف "بارادوس" كي استخدمها ،

الآن بما أنني قد ذكرت ذلك فإنني لا أعتقد أنني سوف أقبل بها ، وكان قد عاد مؤخراً وأرسل لي شريطاً من اللؤلؤ وفرساً إسبانياً صغيراً كي يقف على مدى قبولي بها ،

عموماً ، فإن "أنطونيو فيقويردوا" "Antonio Viguerido" يعلم الكثير عن هذا الأمر ، وعندما رأى أنني لم أقبل الهدية ، أرسل في طلب "روي فاريلا" "Rui Varella" للمرة الثانية كي يناشد "دوم أنطونيو" ليأخذ مبلغ الألف "أشرفي" أو شريط اللؤلؤ ، وعندما علمت بذلك أعطيته نفس الرد كما فعلنا مع شعبي عندما أبلغوني ولم أقبل أنا كما أن "أنطونيو" لم يأخذه .

يمكن لسيادتكم أيضاً أن تتحقق من هذا الأمر من "رودريغو هوميم" الذي أعطاني أكثر من ألفي "برادوسا" ، وسوف يخبرك عن

الرد الذي أعطيته إياه وأشياء أخرى من نفس القبيل ؛ لأنني لا أود أن أتظاهر بأنني أطلب المال من أي شخص باستثناء الملك .

كما أن سيادتكم لن يجد أنني أجبر أي شخص على أن يدفع أكثر من الشخص الآخر ، كما أنني لا ألجأ إلى شراء أية بضائع أو مؤناً زائدة عن الحاجة ، أو أعمل في تجارة التوابل أو أية بضائع أخرى لا يجيزها الملك ،

كما أنني أيضاً لا أتاجر في المال أو أعمل على اختلاس "ريل" واحد ؛ لأنه في الحال سوف ينظر إليَّ وكأنني أدهن مجاديفي ، لكن هكذا أنا وتلك هي طبيعتي .

هكذا فأوامر "دوم دوارتي" فيما يتعلق بالتوجيهات التي تركها لي والتي نفّذتها للملك وفي اتفاقية السلام حتى يصار إلى فهمها جيداً ، وحينها أشير إلى أنك قد اقترفت إثماً كبيراً بإعطائك الأمر وبالخروج عنها وما جاء في تلك الوثيقة يجب أن ينفّذ لمصلحة القضاء ، فأول أسلحة يقوم باكتشافها في المدينة يجب أن يتم تسليمها ، وفي حال اكتشاف السلاح مع أحدهم ، يجب أن يصار إلى جلد الأشخاص الذين توجد بحوزتهم تلك الأسلحة ، أما في حالة ثبوت هذا الجرم عليهم في المرة الثالثة فيجب الحكم عليهم بالإعدام .

بما أن محكمة المسلمين كانت تدار بواسطة صديق "القاضي" ، فقد أمرني ألا أتدخل في الشؤون القضائية ، ولكنه إذا ما أتى بفعل

كنت قد طلبت منه ألا يفعله ويعتزم تكراره ، فعليّ أن أكتب تقريري عنه إلى الهند ، أما إذا ساء الأمر فدعه يذهب إلى حيث يريد ويفقد كل ما لديه ،

لكن لا يجب انتظارهم كي يذهبوا بالرسالة ومن ثم يعودوا ، فهو يريد سيدي أن يحجب السماء بستارة ، لقد كان "دوم دوارتي" طموحاً كي يقرر في بديل أو بديلين كي يفهم ذلك جيداً وليس الاعتراض على أوامر الملك من خلال إبلاغ الهند ؛ لأنه إذا كان على مبعدة أربعة فراسخ من هناك فسيكون الأمر رائعاً .

كان المسلمون أيضاً هم مَن تسبب في قيادة عبيد المسيحيين وتسببوا في ضلالهم وجعلوهم يهربون معهم ، فلو كانوا قد استقبلوهم ، فإن العبيد سيأتون بمبلغ ألفي "برادوس" ، وبوسع المسلمين استقبالهم وإخفاؤهم في منازلهم مع الاحتفاظ بالمال ، فماذا في مقدور "دوم دوارتي" أن يفعل إزاء ذلك؟

شيء آخر سيدي ، فالمسلمون الذين يستغفلون عبيد المسيحيين يأخذوهم إلى منازلهم وينزعون عنهم القيود ويخفونهم إلى حين يعبرون إلى اليابسة ، وعموماً يجب الانتظار كي يرى كيف سيتصرفون في هذا الأمر .

أحد التجار ممن قدموا من الخارج ويرغب في العودة إلى الوطن ، ولكن أُخذت منه ممتلكاته وبضائعه ، فإذا لم تأخذ العدالة مجراها

فسوف يترتب عليه الانتظار ، بينما أرسل رسالة إلى الهند ، لكن لم يتم استلام ذلك ، وعليه سيدي فليأمر سعادتكم بما ترونه مناسباً ، ولكن عند تناول مثل هذه الأمور ، فإن مصالح جلالة الملك سوف تؤول إلى الضياع .

سيدي ، إنه يقول أيضاً في مقطع آخر من مذكرته أنني لن أتدخل في شؤون الخزينة الملكية ، ويشير إلى أن الملك لم يرسلها إليَّ في مذكرته ، وهناك نسخة أرسلت إلى سيادتكم مع الترخيص الذي لم يرغب في الإشارة له في مقطع مذكرته ، وبعد الاطلاع عليه وإرساله ، كان الوكيل قد أمره بأن يطلبها من "بيرو نونيس" المسؤول (المراقب) من مالية الهند ، وبعدما اطلع على الترخيص كتب إليه قائلاً : سيكون من الأفضل أن يصار إلى استخدام شخص مثلي مع الخزينة الملكية ، وليس من خلال إعطاء الأمر بتوجيهه بعدم التنفيذ ، بل بالنسبة لي يمكن ذلك .

إن المادة في "الإضبارة" (alvara) هنا في المصنع تنص على أنه لا يجب على القادة إقحام أنفسهم فيما يختص بالخزينة ، باستثناء تنفيذ الأوامر حسبما صدرت ، ولأجل هذا أعطى مراقب الخزينة أوامره لإبلاغه بذلك .

أُذكّر سيادتك بأنك قد بعثت لي أمراً مفاده أنك ترى أنه من غير المناسب أن يبقى هنا أكثر من ثلاثمائة شخص بما فيهم الوكيل ثم شخصي ، وهذا يكفي لإقصاء الآخرين ، وحقيقة لا علم لي بمن

جاءك بهذا الأمر ولفت نظرك إليه أو من أبلغك بمثل هذا التضليل ؛ لأنه إذا كان من هرمز فهو لم يُبلغ بشكل تام ، لأن "دوم دوارتي" بالرغم من اعتقاده أنه سلمني للمسلمين ، فقد أخبرني في وثيقته الموقعة أنه قد ترك أربعمائة من الرجال .

لكن كان العدد حقيقة لا يقل عن أربعمائة وخمسين أو أربعمائة وثمانين أو حتى خمسمائة رجل ، وعندما يأتي سيادتك سوف يبدو أكثر عدداً مما ذكر ، وفي هذا الأمر أخذت بنصيحة القادة والناس الآخرين الذين أرسلهم إلى سيادتك هناك لأجل تأكيد خدمة جلالة الملك ، فإذا لم يتوافر الرجال وقل العمل ، هل بوسعك العمل بدون أولئك الذين ترسلهم لي ؟

آمل أن يطمئن سعادتك على أن الكيفية التي أؤدي وأدير بها خدمة مولانا جلالة الملك هي الإلمام بها ومعرفتها من جميع سكان هذه المدينة ، ومن جميع سكان الساحل ومن العارفين بها من سكان المقاطعات المجاورة الذين لم يستسلموا لنا قط هنا .

سوف تتبين أنني قد تمكنت من فرض الهدوء والاستقرار والأمن وفرض العدل والسلام ، ولم أحرم أي فرد أو أُجرد الآخرين من ممتلكاتهم .

سوف تعلم أيضاً أن "دوم دوارتي" بسبب ما فعله ضد ملك البصرة ، فإنه لم يعد راغباً في ذهاب أي فرد إلى هناك ويرغب في إعلان الحرب على الملك ، وبما أنه من الجيد أن تستمع لكي تعلم

عن الأسباب ، سوف أذكر الآن واحداً منهم تمكنت الآن من جعله ينخرط بشكل أفضل من قبل في خدمة مولانا جلالة الملك .

لقد فعلت الشيء نفسه بالنسبة إلى "لورد" ، الذي لم يأت لهذه المدينة قط أو يكون مديناً بأي شيء لكابتن الملك في هرمز ، ومؤخراً كان قد جاء للملك و"للقاضي" ولشخص ليقدم هبات نفسه لخدمة الملك ، حيث أشار في حضور "دوم ديوغو دي ليما" بأنه لم يسبق له أن أتى إلى هنا أو استسلم لهذه المدينة ، وأنه فقط يفعل هذا حالياً إرضاءً لخاطري وأيضاً لما علمه من أنباء حول ما أقوم بعمله .

الآن إنه شيء جميل أن يعلم سيادتكم بما أقوم بعمله ، وما يقوله معظم الناس في كل مناطق الساحل ،

هناك كابتن باسم "بيرم بك" أيضاً كان قد جاء إلى ميناء هذه المدينة ومعه جنوده ومعهم رسائل تبين أنه قد امتلك هذه الأرض من الشيخ إسماعيل ومن شخصي ، وعلينا أن نسمح له ولوزرائه وقادته بالحصول عليها وتسليمها له لكي يمتلكها ويتصرف فيها بصفته مالكها .

لقد نصحني المسلمون بضرورة مساعدتهم ، اقترحوا قائلين إنه من الأفضل أن أعطيهم بعض المال لإغرائهم كي يغادروا ، عموماً أجبت بقولي : إنني سوف أعطيهم ما اعتاد جلالة الملك تقديمه للذين يرغبون عن خدمته .

بناء على هذا وبدون علمهم أو ارتيابهم في أي شيء أصدرت أمراً لابني وكذلك للسيد "بالثذار بيسوا" وكذلك الناس الذين نحتاجهم لهذا الأمر أن يأخذوا في الاستعداد ، ومن ثم أرسلتهم بالأبواق لمهاجمتهم ، فتمكنوا من النيل منهم ، حيث قتلوا الكابتن وحوالي خمسة عشر أو عشرين منهم من الذين أخذوا مواقعهم في الميناء وكذلك العديد من الخيول ، أما الآخرون فقد ثاروا فيما بعد ثم ابتعدوا .

كمكافأة على هذا كان سيادتكم قد أصدر توجيهاته إلى ابني كي يتنحى عن المنصب الذي يشغله والأمر لأحد أقربائك كي يحل محله ، ولا شك أنه يجب على سيادتك أن تلم بكل ما في هذا الأمر من أي فرد ، ولعل هذه الازدواجية تتطلب مني أن أكتب شيئاً ، واعتبارك سيدي أنني مسؤول وعليَّ تقع كل الأخطاء التي يمكن أن تخطر على بال سيادتك ، إن الأفضل بين الجميع هو القائد الأعلى "فيرناو مارتنز" الذي كان سيادتكم قد أرسلته إلى هنا .

منذ أن عهد لي سيادتكم بعمل الكثير من الأعمال لم أنتبه لكل ما عملته لشأني ، لقد كنت على استعداد تام في اليوم الذي أمر سيادتكم بضرورة استعراض القوات عندما وصل "فيرناو مارتنز" بأمر آخر يماثل الأمر الذي صدر لي بتنفيذ استعراض الجند .

لقد سألته ما إذا كان يعمل قبطاناً أيضاً والعمل الذي يقوم بأدائه ، وبما أنه لم يغادر فقد عدت إلى منزلي ، وهكذا وفي محل القائد

الأعلى أو مراقب الخزينة والتي اعتقد أنه فيما يتعلق باختصاصه يقوم بإصدار الأوامر هنا إلى جامع الضرائب والمسؤولين ، ولقد قمت بإطلاعه على ترخيص الملك ، أرسل لسيادتك نسخة منه ، لكنه احتج بأنني لا أقود شيئاً هكذا .

كما سأوضح فإنه يقوم بتحرير أوامره الخاصة به والتي تتناقض مع أوامر الملك ، ولعلي أبدو مناسباً أكثر منه ، بل إنني أكثر إخلاصاً وحرصاً منه على أداء خدمة مولانا جلالة الملك ، حيث إنني لم يسبق قط أن طلبت السماح عن شيء قمت بإنجازه .

لأن "دوم أنطونيو" أخبره أنه لا يجب أن يتجول متفاخراً يناقش ويتحدث مع المسلمين من دون تفويض مني ، فقد أجاب بأنه يكرر نفس ما كنت قد أمرته به دون أن يقدم لي تقريراً ، سيدي إنني أحمد وأشكر الرب على ذلك .

بعد ذلك نأتي إلى مسألة المبيعات الجانبية في خزينة الملك ، فقد دأبوا على البيع لكل شخص يريدون ، بمثل ما يدفع الجنود أو بسعر جنيه الملك .

ليس هنالك من عذر لمشرف الخزينة كي يتوجه للرب بالدعاء بالشكر ، حيث زعم في إحدى رسائله أنه فعل ذلك لأنه التقى "فيناو مارتينز" القادم في طريقه إلى هنا كي يوضح لك الأمور ، حقيقة إنني لم أشهد ما كان قد فعله هنا سوى أنه أوجد الصعوبة في كل شيء .

على كل حال ، سيتولى القادة والأهالي إبلاغك عن كل ما فعله بشأن كمية الفلفل القليلة التي وصلت هنا والتي حصل عليها "أنطونيو دي ميراندا" .

إن وجودي هنا ليس على حساب أي شخص وإنما بسبب تجريدك لي من كل شيء .

سيدي إن "فيرناو مارتينز" يقوم الآن باستلام مبالغ لقاء توليه بيع ممتلكات أناس آخرين لكن ليست ممتلكات الملك ، ولكي تعلم ما إذا كانت تلك الحقيقة أم الزيف ، فأؤكد لك أنني شاهدت ذلك ، وبالتالي ، فإن "الفاردو" (Fardo) ما كان سيتم تحويله تحت ذريعة أنه يؤول إلى الملك بينما في الواقع يؤول إلى شخص ما آخر .

سيدي ، فيما يتعلق بإعلانكم أنك سوف تأتي إلى هنا في العام القادم ، إنني أتوسل إليك باسم الملك أن تفعل هذا ، وإذا ما وجد هنا أناس أخبروك عن قصص عني أو يفعلون هذا الآن ، أرجو أن تأتي بهم معك حتى تستمع إلى روايتي ورواياتهم ، وذلك حتى تقام العدالة .

أما في حالة عدم مجيئك فبوسعك أن تعطي الأوامر بقدومي إلى هناك مع الموجودين هنا وتترك الآخرين هناك ، وذلك حتى يتم الاستماع إلى روايتي معهم ويقام العدل للذين يستحقونه .

لأنه لا يصح أن يبقى في خدمة الملك من يُعطى السلطة ويرتكب

مثل تلك المخالفات ، أعتقد أن العكس هو الصحيح ؛ لأنه لا يوجد أحد قدّم للملك خدماته بكل إخلاص وتجرد أكثر مني .

بالتالي سيدي أتوسل إليك باسم الملك أن تراعي مصالحه وخدمته بقدر مراعاتك للأمور التي تهمك ، وإذا ما وجدوا عليّ أبسط مخالفة فأعدك أنني سأقبل بكل شيء يقولونه عني إذا ما كان صحيحاً ، وإذا كان هذا السيد المذكور غير راغب في فعل أي شيء أو راغب عن معاقبة من يتقولون عليَّ ويكذبون بحقي لأنني أقوم بخدمة الملك ، فعليه أن يتعرض للعدالة ويعيد لي حقي في خدمة الملك .

سيدي ، بالنسبة لما ذكره سعادتكم في واحدة من المذكرات التي أرسلتها لشخصي بواسطة "القاضي" ، فقد حضر وعرضها عليَّ دون أن يطلعني على محتواها ، فقد جاء إليّ وإلى الوكيل التجاري والمسؤولين ، ولكن لم أصدق أن تلك المذكرة كانت من الأهمية بمكان بحيث توجه إلينا جميعاً في المحطة التجارية .

لو كنا قد أبلغنا بواسطة الجنود البرتغاليين ، فإن الضرورة لا تقتضي أن نبلغ بواسطة "القاضي" ، وفيما بعد بوسعه أن يقول إنه قد أبلغ بها .

بعد ذلك ذكر سيادتكم أن هنالك أموراً قد جرت وليست في مصلحة خدمة الملك ، أو تمت بناء على توجيهاته وأوامره ، على

كل أنني لا (.......)؟؟؟ (.......)؟؟؟ باستثناء تنفيذ أوامره وأداء خدمته ، ومن قال لك هذا لم يصدقك القول .

إذا كانوا من المسلمين فكان من الأولى أن يشتكوا إليّ وبالمثل إلى سيادتك ، وكان لابد على الأقل أن يرد في المذكرة التساؤل عن أوامر الملك ، ولكن حدث الفشل في الإذعان لهم أو مراعاة العدالة .

أيضاً فيما يتعلق بما أشرت له سيدي ، أنه في ظل تلك الأمور ومسبباتها ، إقدام السكان على الهجرة ومغادرة البلاد ، يبدو أنهم مثلما يقول سيادتك في الرسالة التي كتبتها إلى "القاضي" والتي ورد فيها ما قلته ؛ لأنه لم يقم بإرسال الإقرار ، فإن سيادتك لم تأمر بأي شيء سوى ذلك الأمر العام ، إنهم لم يبلغوك الحقيقة بالنسبة للأشياء الأخرى التي ذكرتها عن الضرائب ؛ لأن ما حدث كان لابد أن يحدث .

لقد استجبت لكل شيء أشار إليه سيادتكم في الأمرين اللذين أعطيتهما "للقاضي" واللذان يكونان محتوى الأمر العام ، وأعتبر هذا شيئاً جميلاً فعلته تجاهي سيدي ؛ لأنه إذا كان لابد كل من إرسال أوامر عامة دون أن تحاول أن تعرف من الكابتن أو من أي شخص آخر ماهيتها أو فحواها ، فدعهم يكونوا صادقين وليسوا بكاذبين ، باستثناء ذلك المسلم الذي سيقول ما هو العكس في خدمة الملك ، والذي لا يسره أن يرى المسيحية مبجلة قط ،

سيدي ، سأكون سعيداً ومسروراً إذا ما تكرمت بإصدار الأمر بنقلي من هنا إلى أي مكان آخر إذا ما عزمت على أن ترسل لي الأوامر وتعلمني الأبجدية ؛ لأنني أكثر غباء بحيث لا أدرك ما يجب عليَّ عمله أو أي أوامر يجب أن أصدّرها وأن أستمع إلى ما هو مخالف للقوانين ، لكن أحيلكم إلى "ديوغو دي ميلو" لكي أكشف السبب في ذلك لأنه لا قِبل له بفعل هذا أو حتى بخدمة الملك .

سيكون من الأفضل أن أرسل لسيادتك الأوامر العامة لأداء خدمة الملك ؛ لأنني أفهم جيداً إذا ما أرسلتها إلى المسلمين فإنهم سيتجهون إليك كي يخبروك بحزمة من الأكاذيب التي لن تُكشف لي قط ؛ لأنهم يدركون أنهم ليسوا على حق .

سيدي ، هذا إن دل على شيء إنما يدل على أنني أجهل (عملي) أو أجهل المكائد والخدع التي يحيكونها ضدي ، ويوجد هناك قاضٍ يعرف حق المعرفة كيف يتعامل معها ، وهي ليست مأخوذة من اللوائح والأوامر الداخلية وما يجب عليه عمله في هذه الأمور ، كما أنك لن تجد أي شيء آخر يقوله عنهم ، فهم لا يصدقونك القول على الإطلاق وإنما يصوغون أكاذيب ملفقة ومحبوكة .

سيدي ، من يجرؤ على إبلاغك بالكثير من الأشياء دون أن تكون حقيقية ، على استعداد كي يخبرك بالمزيد تماماً كالآخرين ، فبالرغم من سماحهم لي بإعطاء الأوامر لأجل تسجيل أعمالهم فهم يتوقعون عدم حقيقة كل ما يتم اكتشافه ، وتبدو وجهة نظر

"ديوغو دي ميلو" جزءاً من تلك الخطة ، طالما أن جميع تلك الرسائل قد جاءت حسب طلبه ، وهكذا يبدو وجودي هنا وأنا لا أملك أية صلاحية ، فمن الواجب والضروري أن يعلم سيادتكم بهذا الأمر .

أؤكد لك أن هذه المدينة ومملكة "دوم دوارتي" و"قاضيه" ستبقى كما هي ، وستستمر على نفس المنوال ، وأنه غادر إما بسبب أعمالي السيئة أو أعمال "القاضي" العظيمة ، وبالتالي ، فإن الأمر موكول لسيادتكم كي تقرر ما إذا كانت تلك الفوضى قد نجمت من إدخال الأموال في العام المنصرم .

هذا إذا ما كانت الأموال التي أمرت بها في هذا العام ، والتي لا تقل في كل الأحوال عن خمسين ألف "بارادوس" ، لم تؤخذ أو تجمع ، وإذا لم يحدث إن تمت معادلتها بأموال أخرى كانت قد سلمت والتي أمر سيادتكم بدفعها إليهم .

ربما كان هناك الكثير ، بمعزل من الإقدام على عمل الكثير من خدمة جلالة الملك ، وذلك من خلال دفع نفقات المؤن كلها في العام إلى جميع الموجودين في هذه القلعة ، والتي تزيد بكثير عن مبلغ اثني عشر ألف "بارادوس" ، بما فيها مدفوعات الجنود والمعاشات ونفقات أخرى على الأعمال الضرورية في القلعة .

يجب أن يتم التحقق من هذا الأمر إلى جانب أمر السكان ، أيضاً يجب التأكد إذا ما كان بعض الناس قد غادروا بنيّة العيش

في الخارج ، أو إذا ما كانت مغادرتهم بسبب أموال أُخذت منهم أو سُرقت منهم ، وبالمثل أيضاً الراغبين في المغادرة ، وهنا أطالب بإقامة الحواجز وعدم السماح لهم بالرحيل ، ويجب أن يوضّحوا الأسباب التي دفعتهم للرحيل ، فمن الجيد أن تُعرف الحقائق ، (ويجب أن يُنصحوا) ممن يجب أن تعرف تلك الحقائق ومن ثم أرسالها .

بعدها ، يجب أن يرسل لي سعادتكم الكثير من المال ، وإذا ثبت لكم أن هناك من غادر بسبب عدم الإنصاف من جانبي ، فيجب أن ينظر في هذا الأمر .

من الجيد أن تعرف الحقائق ، لكن لن يوجد السبب ، فإذا كانت هنالك مجموعة من التجار قد غادرت فإنهم أقدموا على ذلك بسبب تعرضهم للاعتقال والضرب من قبل "القاضي" ، قبل أن يتم الاستيلاء على أموالهم ،

عليه سوف ترى ذلك من خلال الوثائق الرسمية هناك ، لأن أولئك النفر ليسوا مثل الذين بحوزتهم طروداً صغيرة أو من ذوي المزارع الصغيرة التي تفتقر للمياه وأشجار المانجو ، هذا ما يجعلني أبيّن السبب ، وإذا كانت فئة ما غادرت لأنني أجحفت في حقها ولم أكن عادلاً معها قضائياً ، فإنني على استعداد لأن أدفع مائة "ريلز" عن كل واحد .

أخيراً سيدي ، فإنني أقول إن هذا قد وقع بسبب أنني شاهد

على ما سمح به "دوم دوارتي" ، وتلك ليست الطريقة التي يجب أن تُنجز بها خدمة الملك ؛ لأنه فعل ذلك من خلال إجراءات قانونية اتخذت باسمه ،

لقد أمرت سيادتكم ألا يكون لـ"دوم دوارتي" أية سلطة بعد ، ولكنك لم تذكر ما إذا كان بوسعي أن آخذها من الملك .

الآن ، أنني أعطي "دوم دوارتي" الأسباب ، وما كان أرسله لي يؤكد ما أفعله ، وأعلن سيدي أنني سوف أقوم بذلك وفق شروط وبالهدف الذي أشرت له أعلاه فيما يتعلق بما لا يمكن تحصيله من الضرائب المستحقة تجاهه ، وأيضاً فيما يتعلق ببعض الأمور الأخرى ذات الصلة بخدمته من حيث التنفيذ ، وذلك بسبب ما أمر به "دوم دوارتي" .

على سيادتكم أن تضع في الاعتبار ما يمكن أن تأمر به في هذا الموضوع ، فالكثير الكثير من مصالح الملك قد دُمّرت بواسطة القادمين والخارجين وإصدار الأوامر ، كما سيعرف سموكم ذلك من أي شخص .

أعتقد أيضاً ، أنه سوف يقدم تقريراً عن هذا لسيادتكم لأنك موجود معه في "غوا" ، أيضاً سوف يخبرك عن حالة وجودنا وعن كل ما حدث لي وأيضاً ما فعله لي ؛ لكي ترى الأوامر التي سوف تتركها لها ، أيضاً بسبب ما يمكن أن يراه سموكم بخصوص ما فعله

في ساحل "ملبار" ، وسوف يتبين سموكم من خلال الوثائق التي أرسلها لك دون أن تخبر بأي شيء .

يجب عليك أن تأمر بعدم اتباع التعليمات التي يصدرها ؛ لأنها جميعاً تصب في مصلحته ، ولكن إذا كان على سعادتك أن تعطي الأوامر من خلال تعليماته ، فليكن ذلك على أرض الواقع خاصة بالنسبة لي .

قد تبين لي أنه أعلن بشكل واضح أنني عدوه ، وبدأ يعاملني بالفعل كعدو له ، ويعرف سعادتكم تماماً بذلك كما تعرف الهند أن ذلك هو السبب في أن تصبح جميع أفعاله غير مجدية ، سواء بالنسبة لي أو لأي شخص آخر ؛ لأنه يؤديها كعدو حتى يراني مرمياً في السجن أو متهماً في شرفي ، وبالتالي تتدهور خدمة جلالة الملك بسبب سوء الأداء والفساد .

سيدي ، أود أن أشير إلى أحد المقاطع في رسائل سعادتكم ، حيث ورد عنكم احتجاج وشكوى المسلمين والمسيحيين بشأني شفاهة ، بأنني قمت بمصادرة ممتلكاتهم ، وكذلك أنني لم أقم العدل ولم أنصفهم ، سيدي ، يحدث كل هذا لي وأنا بلغت هذا العمر ولي كرامتي كنبيل وقائد أعلى وأيضاً لسيادتك كل تلك السلطات والتشريعات ، فلا ينبغي أن يفوت عليك ذلك ولا تفهمه! فإنني سأعتبر أنك أيضاً قد وجّهت الإهانة لي ولم تراع سني وما بلغته من العمر .

من بين كل الأشياء التي قالها سعادتكم لن يبقى منها شيء في سلطاتك بل لن يبقى أي فرد مسلماً كان أم مسيحياً يمكنه أن يؤيد ذلك ، باستثناء الشخص الذي يعمل ضد مصلحة خدمة الملك ؛ لأنني أعاقبه ، فالعار الذي سيلحق بي من جراء هذا سوف يبدو ظاهراً ؛ لأن أعمالي منذ بداية عملي لن تعلو على عار وخزي أي شخص آخر قط ، لذا فليتوخى سعادتكم ويحرص على تطبيق العدالة حسب الأوضاع .

بالتالي سيدي ، أناشدك مرة أخرى بالإنابة عن مولانا جلالة الملك أن تحرص على الحضور إلى هنا لكي تنزل العقاب بكل من ارتكب المخالفات ، لأنني لن أعاقب إذا ما ارتكبت المخالفات كما أنني لن اقتنع قط إلّا إذا قمت بشنق أربعة من الأنذال وأربعة من المحتالين ، وأنني أدرك جيداً أن معرفة سيادتكم ضئيلة في هذا الأمر ، لن يصار إلى معرفة الحقيقة باستثناء أن خدمات جليلة تؤدّى إلى جلالة الملك ، ولابد لسيادتكم من فرض ضريبة كبيرة على من جاءك بمثل هذه الأخبار .

ألم يلحظ سيادتكم أي سوء وعيب يرمونني به ؛ لأن هذا عشر الكمّ الذي قيل ويُلقى ، وهو كافٍ .

يقول سيادتكم في خطاب آخر أنك قد أرسلت لي نسخة من خطاب مفتوح من صاحب السمو ، حيث كان قد أقر وأمر بأنه بسبب وفاة نائب الملك فإنه يجب على سيادتك أن تتولى منصبه ،

فهذا الخطاب لم يتم تسليمه لي ، كما أنني لم أطّلع عليه ، وبالتالي فليتأكد سيادتكم مع مَن أرسله لأنني لا أعلم بما كُتب فيه .

عموماً وكما أكّد لي جميع هؤلاء القباطنة أن الرسالة بحوزة سيادتكم ، وبالرغم من عدم اطّلاعي عليها ومعرفة ما ورد فيها ، أؤكد لكم طاعتي التامة وإذعاني لكل الأوامر والتوجيهات التي يصدرها مولانا جلالة الملك .

في الختام أقبل أيادي سموكم .

مـن هرمـز ، العاشـر من شهـر أغسطس عام ١٥١٨م "ديوغو دي ميلو" .

ملحوظة : لم يكن من السهل ترجمة هذه الوثيقة إلّا بصعوبة بالغة ؛ وذلك نظراً للأُسلوب الملتوي الذي انتهجه الكاتب .

وفي العام نفسه (١٥١٥م)

بعث "بيرو دي البويم" "Pero de Alboem" ، برسالة إلى ملك البرتغال ، هرمز ، في الحادي عشر من شهر أكتوبر عام ١٥١٥م ، يذكر فيها وصول "أفونسو دي البوكيرك" "Afonso de Albuquerque" إلى هرمز عندها تمرد الرئيس حامد : (٢٩)

غادر القائد الهند ، إلى مدينة هرمز حيث يتواجد الآن ، بناءً على نصيحة كل الضباط بالأسطول ، بالرغم من أنه كان قد صمم على الذهاب إلى هرمز قبلاً كما كان قد كتب لسموك ، سيعرف سموك الآن من رسالته أسبابه التي من أجلها جاء إلى هنا وليس الذهاب إلى البحر الأحمر ؛ لأن المؤن لم تكن (...) في حالة يمكن أخذها ، وابنها في حوزة الشيخ إسماعيل .

(٢٩) رقم الوثيقة والهامش.

في الواقع أنها ملكه الآن طبقاً للأنباء التي وجدتها هنا ، عندما وصل القائد إلى مسقط التي هي أول حدود مناطق هرمز التي وصلها قادماً من الهند ووجد معلومات أن مسلماً يُدعى ريس حامد قد ثار وتمرد ، وأن هرمز بحوزته وأن الملك تحت قبضته كسجين .

لكنه (....) ومعه أيضاً ريس نور الدين حاكم الملك ، و(.....) كسجناء ، وقد سلم أشقاؤه وأقرباؤه كل وظائف ومناصب أهل بيت الملك ، ويقوم بحكم البلاد وسيدها (.....) الحقيقي ، بالرغم من أن ذلك لا يبدو ظاهرياً .

ذهب القائد إلى هرمز وأول رسالة بعث بها للملك هي أن يفيده بأنه قد أمر السفن الشراعية المراكب والمراكب الشراعية التي احتفظوا بها في المدينة وجزيرة هرمز بعدم الدخول أو مغادرة الأرصفة ، وأن يأتوا بالرجال تحت تهديد السلاح ؛ حتى يعرف إن كان يقر بالطاعة لسموك ومراسيمك التي أصدرتها ، وضع الكثير من الضغط عليه وبكل حذر ويقظة وإصرار .

بعد خمسة أو ستة أيام وصل إلى اتفاق مع الملك بأن تُسلّم القلعة التي قمنا ببنائها أو بدأ العمل فيها قبل مدة ، وطلب منه القائد أن يوفر السكن في البلاد لكل الجنود ، وقد تم تلبية كل ما أراد وحيث طلب .

بعد أيام قليلة جاء الملك لرؤية القائد في منزله ، بعث له مرات عديدة برسائل سرية بواسطة الإسكندر "دي أتيدي" المترجم

وشخصي ، يرثى له حاله ويشكو بأنه تحت قبضة الريس حامد الذي أنقض عليه وغدره وألقى القبض عليه وكل أهل بيته ، طلب منه ورجاه أن يحرره من هذا الأسر ويستعطفه متوسلاً وكأنه والده ، أرجأ القائد عمل أي شيء حتى يجد طريقة ليأتي لمقابلته (....) جاء الريس حامد (.....) الملك (....) حيث كان القائد وحيث (.....) كان قادماً مع (....) .

ذهب إلى الملك (....) وأخبره بعدم الدخول ، كان الملك قريباً في ذلك الحين وفي طريقه إلى باب مقر القائد ، و"دوم جارسيا" وضباط آخرين ذهبوا بناءً على أوامر القائد لاستقباله عند الباب ، لكنّ ريس حامد أخبره بعدم الدخول (....) مع "الإسكندر دي اتيدا" المترجم ، وأخذه (....) من هنا وسأجعلك ترى كل المباني ، ومن ثم أخذه مرة أخرى إلى حيث كان القائد .

عند وصوله رأى حالاً أن الملك عند المدخل في ذلك الحين للمقرّ ومعه "دوم جارسيا" ، أمر القائد الضابط الذين حوله بقتل ريس حامد بخناجرهم ، وبعد أن لفظ أنفاسه ، جاء الملك إلى القائد (....) فقط هو والريس نور الدين وأحد أبنائه (.....) وحارس أبواب الملك ، لم يدخل أي مسلم آخر ، بخلاف أولئك الاثنين ومسلم وهو الذي ينقل الرسائل دائماً بين الملك والقائد .

أُغلق الباب الذي دخل منه الملك بناءً على تعليمات القائد ، عندما رأى الملك ريس حامد وكيف قُتل بطريقة وحشية وأرعبه الأسلوب

القاسي ، (....) وأمر القائد بإعدامه لأنه اعتقد أنه لن يفعل سوى القبض عليه وإلقائه خارج المملكة ، وهذا كل ما في الأمر ، ثم قام القائد باحتضان الملك وضمه بين ذراعيه حتى هدأ وسكن روعه .

قامت اضطرابات في المدينة بعد موت هذا المسلم ؛ لأن الضباط الرئيسين والجنود كانوا في صف كل أشقائه وأقربائه ، وعندما سمع الرجال المسلحون التابعون للملك والريس نور الدين (....) شيئاً عما كان يحدث ، بدأوا يحسون بالضجر .

ثم أخذ القائد الملك إلى سطح فوق الشارع حيث تجمع الناس ؛ ليُريه الجماهير والجنود وقد هدأوا عندما رأوا المنظر أمامهم ، وفقط أتباع ريس حامد (....) بدون ريس (...) بعثوا بكلمة للقائد (....) يجب ألا يسألوه مرة أخرى عن ريس حامد أو أن يتحدثوا معه عنه ، أو أن يأمروه برؤية رأسه .

ثم ذهب أشقاؤه وأقرباؤه وكل أتباعهم وأغلقوا على أنفسهم في قلعة الملك مهددين بأنهم سيحتجزون أطفال الملك سيف الدين تحت قبضتهم وخزائنه وأسلحته ومدفعه ، عارضاً على الملك والقائد أن يفهموا أن عليهم إيجاد ملك آخر وأن يحموا أنفسهم داخل القلعة ، وفعلاً حالما أصبحوا داخلها بدأوا في إعداد البنادق وبدأوا استعدادهم للدفاع عنها ، أرسل القائد بعد ذلك السفن حتى يجد الضابط وسيلة بالقوة للدخول ،

عندما رأى الملك وريس نور الدين أن القائد كان مصمماً على الدخول بتلك الطريقة ، طلبوا منه عدم القيام بذلك حتى يبعثوا برسالة اعتقدوا أنها قد تثنيهم عن إكمال غرضهم ، استدعى عندها الملك الأئمة التابعين له وأرسلهم إلى أشقاء ريس حامد مع رسالة طالباً منهم المغادرة وأنهم سينالون (....) من القائد وأن عليهم مغادرة منازله وعدم التعرض للهزيمة ؛ لأن القائد سيقوم بالحجز عليهم جميعاً داخل القلعة ،

ذهب الأئمة وعادوا دون أن يأتوا بأي رسالة ، عندما رأى الملك ألا فائدة من ذلك أرسل في طلب إبراهيم بيك أحد كبار ضباط الشيخ إسماعيل ورجلاً محترماً جداً ، وأيضاً السفير الذي أرسله الشيخ إسماعيل للقائد ، بعث بهم الاثنين برسالة أخرى يقول فيها أنّ عليهم الخروج وعدم التعرض لمخاطر الهزيمة ، كما أخذوا أيضاً رسالة من القائد توعّدهم فيها بأنهم إن لم يغادروا القلعة ومنزل الملك قبل غروب شمس ذلك اليوم فإنه لن يقدم أي (...) لأيّ منهم ،

ذهبوا بتلك الرسالة وعند عودتهم (....) طلبوا من القائد الأمان حتى يغادروا ويذهبوا إلى أراضيهم ، وأيضاً مروراً آمناً لزوجاتهم وأطفالهم وممتلكاتهم وأقربائهم وكل الرجال الذين يحملون السلاح الذين برفقتهم ، أمّن لهم القائد تلك السلامة شريطة أن يغادروا منزل الملك في الحال وعدم أخذ أي شيء من ممتلكاته أو خزينته أو أي شيء آخر ، رضخوا لكل ذلك وغادروا في الحال في عصر ذلك اليوم .

(......) الملك يشرف إلى منزله ، وقد اعتبر أن قتل ريس حامد كان فيه الكثير من الحكمة وهو الذي استخدم القوة حتى يخضع الملك ليبقى تحت سيطرته .

استحسن كثيراً ذهاب القائد شخصياً مع الملك إلى منزله فقط ، الملك والقائد على حصانيهما وكل الضباط الآخرون والنبلاء والفرسان مع "دوم جارسيا" على الإقدام ، عندما غادر الملك مقر القائد كان يرتدي درعاً وتنوره وخوذة فولاذية كان قد طلبها من القائد (....) وهو في طريقه لساحة العرض ؛ لأنه اعتقد (....) الجنود (....) على طريقتنا ، ابتهج المسلمون لرؤيته يظهر كذلك مسلحاً وسعيداً وراضياً عن نفسه ،

من ذلك اليوم ولاحقاً أصبح الملك تحت سيطرة القائد ، حتى أنه لا يتحرك لأي مكان أو يفعل أي شيء دون اطّلاع القائد أوّلاً بذلك ، وأؤكد لسموك حتى في أيام الجمع عندما يودّ الذهاب للصلاة في المسجد كان يبعث في طلب الإذن بذلك (....) كان ناصحاً في ذلك ؛ لأنه أصبح ملكاً للمملكة من قبل يد سموك .

عاد الملك للقائد وقدم له هدية حصاناً مسرجاً ووشاحاً وسيفاً مزيناً بالذهب وبعض قطع من القماش المطرز والحرير ، كما قدم لكل من الضابط الآخرين قطعة من القماش المطرز وبعض الحرير ، لكن اهتمام القائد من كل ذلك (....) والخدمات ، بأن يجعل نفسه قوياً والملك ضعيفاً ، كان قد استولى فعلاً على كل المدفعية

التي معه ، بعد أن أرسل "دوم جارسيا" يطلبها منه ، فأرسلها الملك معه دون أن يحتفظ بمدفع واحد أو قذيفة في منزله ، الأمر الذي أشهد عليه بنفسي .

جمع القائد أيضاً كل المدافع الأخرى الثقيلة والخفيفة التي كانت على الأبراج خارج المدينة وعلى أبراج المراقبة وسفن الأسطول ، كلها جُمعت هنا في قلعة سموك ، أنه لأمر بديع أن نرى قاذفات النحاس والحديد الثقيلة التي صُنعت بطريقة رائعة لم أرَ مثيلاً لها (.....)

أيضاً البنادق النحاسية مع علب الطلقات والمواسير التي صُنعت بطريقة ممتازة ، "دوم جارسيا" حمل المسلمين لأي نبال أو أسهم ، وقد أطاع الجميع ذلك مثل أي أمر آخر أصدره ، عدم دخول أو مغادرة المدينة من أي شخص دون إخطاره بذلك أوّلاً (.....) كل (......) يزور القائد حاملاً الرسائل والهدايا ،

أول أمر جديد قام به القائد في هرمز أن أمر بأن على المسلمين الذين ينغمسون علناً في المعصية ضد الطبيعة أن يغادروا المدينة ، أبدى الملك وكل الأهالي رضاهم عن ذلك وأظن أنه قصد أن يرميهم جميعاً خارج المملكة ، بعد ذلك أمر كل الأمراء المتهورين وأبناء الأمراء الذين احتفظ بهم الملك في منزله والذين خارجه مع كل أبنائهم وزوجاتهم أن يبعثوا إلى "غوا" ، الأمر الذي أكد أن أيّ رجل له علاقة وارتباط ملكي وقد يصبح ملكاً لن يبقى في المدينة .

نقوم الآن بالمزيد من البناء في القلعة التي تبدو في غاية الجمال والقوّة ، وإن رأيتها سموك فإنك ستثمّنها غالياً ، الآن أصبحت محاطة تماماً وثلاثة جدران مع أبراجها بطول الساحل مما يجعلها قوية جداً وصامدة ، مع العمل الذي بدأه القائد وعند انتهائه لن تكون هناك قلعة تماثلها خارج الهند ، لكنها أُنشئت على حساب عرقنا وجهدنا ، ونأمل كلنا أن يكافئنا الرب وسموك عن كل الذي قمنا به ، هرمز هادئة تماماً وآمنه حتى يبدو وكأننا لسنا هنا ،

بعث القائد "جوميز دي ليموس" و"جواو دي سوزا" كسفراء ورسل للشيخ إسماعيل ، ذهبا في رحلة مهيبة على ثمانية من المطايا وهدية قيمة ، كما كتب لسموك مطولاً ، نرجو أن نسمع قريباً ،

سيدي ، القائد رجل كبير السن وبمفرده في الهند التي لا أظن أنها تحظى باهتمامك ، هناك العديد من الأمور ذات الثقل والأهمية في الهند خاصة تلك المشابهة لموضوع هرمز هذا ، الذي هو منصب الحاكم الأوحد (....) في حد ذاته ، هناك حاجة لرجال يكون فيهم (.....)

بذلك قد يشعر هو بالراحة (....) وأن يثق أن مثل تلك الأمور ذات الأهمية العظيمة لخدمتك ستستمر في النصيحة والمشورة الحكيمة والمعرفة (....) يمكن لسموك أن يبعث له برجل أو اثنين ذوي الكفاءة والسلطة بين الضباط ، ورجالاً آخرين تحت السلاح ، ليس فقط من أجل تلك الأشياء لكن من أجل أشياء أخرى قد تحدث .

هناك حاجة لرجال اطّلعوا بمعلومات عن الهند قبل حضورهم إلى هناك ، الشؤون الهندية كثيرة ومعقدة ، وفي كل يوم نتوقع (....) هرمز حالة خاصة وهامة جداً وبعيدة المنال (....) بعون الرب ، قريباً عوناً آخر وأكثر صعب الوصول إليه ستكون هناك ضرورة ملحة له من أجل (...) البحر الأحمر الذي (.....)

لم أستطع فهم مشاكل الهند حتى جئت للعيش هنا ، رجل واحد مثل القائد كاف ليكسب الممالك والمدن لكن على سموك أن يبعث له برجال بحكمهم وليعيشوا هناك ؛ لأنه إن كان عليه أن يبقى بينهم فلن يستطيع (...) لأن الأشياء الأخرى التي تود رؤيته شخصياً كل سنة .

فيما يتعلق بهذا فإنني أذكر (....) أن تغادر "مالاكا" بعد أن استولى عليها ولن تكون آمنة في تلك السنة ؛ لأنه لم يكن يغادرها في وضع يجعله (.....) يأتي إلى الهند ، قد يعتقد سموك أنني لم أكن سعيداً بخصوص ذلك ؛ لأنهم فهموا أنه إمّا توفّي أو مفقود ، الآن ينشأ نفس الموقف فقد أخضع واستولى على مملكة هرمز هذه ووصل بالقلعة إلى مرحلة اكتمال إنشائها ومعه أحد (.....) أعني ليقوم بتسليمها ويبحر ليستولي على الحكم في الهند (.....)

إن قرار سموك والأسطول الذي تعتزم إرساله معه هذه السنة حتى يتم اتخاذ قرار فيما يجب عمله (....) كان هدفه دخول البحر الأحمر إذا أرسلت له سموك الرجال والسفن من أجل ذلك ،

لكنه مشغول بالأوضاع في هرمز ولا يجرؤ على المغادرة ولا يدري إلى أي جهة يتجه طلباً للعون .

قرر أن يجعل هرمز آمنة بوجوده وحتى لا (.....) وهو يستطيع (....) أمر بإحضار أربعة من المراكب الشراعية التي صنعها في الهند بأن تعد ، وهناك "سلفستر كورسو" لمتابعة ذلك ، كما طلب الأسطول أيضاً ، فإن أرسلته سموك هذه السنة حتى يكون في انتظاره في الهند ؛ لأنه آجلاً أم عاجلاً سيذهب إلى هناك وحتى يبحر من هناك مع الأسطول باتجاه البحر الأحمر وليظهر نفسه أيضاً في الهند .

في هذه السنة لم ترسل سموك أي جنود أو الأسطول للقائد حتى يدخل المضيق ، إذا كنت ترغب سموك في إكمال (....) هرمز ، فعليك أن تأمره (....) بالبقاء هناك (...) وكان (لا؟) من الأفضل أن يتوقف (....) هرمز حتى يقوم بأي عمل آخر .

إن أرسلت سموك قوة من الرجال مرة واحدة فمن الممكن أن تتم أشياء كثيرة دون نشوب قتال من التي يمكن كسبها عن طريق القتال ، ما يجب على سموك أن تفعله وتقرره بهذا الخصوص يجب أن يتم بأسرع ما يمكن قبل (...) أن يصبح أقوى مما هم الآن وكلما أسرعت سموك في التصرف ، فإن عدداً قليلاً من الرجال يمكن فقدانهم وسنفوز بكل شيء بخلاف أن (....) سيد ،

سيدي ، بعث القائد "لوبو دياز" خادم سموك وخيالة آخرين معه وبعض الفرسان وجنودا تابعين للملك إلى البر الداخلي على الجانب

الفارسي ليستكشف القلاع وامتداد الأراضي للداخل ، أعتقد أنه يتحقق من ممتلكات المملكة وهو يفعل ذلك (...) وبنفس الطريقة كما يفعل الملك بنفسه والحاكم التابع له (...) لهذا أيضاً سيدي ، قام بإرسال "جواو جوميز شييرا" مع أموال ومركب شراعي و"بيرو لوبيز دي سامبايو" في سفينة تجارية "غاليوت" وشقيق "لكورسو" على متن مركب شراعي واثنين من القوارب لفحص ميناء "جودر" للاستيلاء عليها والتي قد طلب رسل الشيخ إسماعيل عونه .

تقع هذه الميناء على الجانب الفارسي وقد أرسلهم ليروا كيف يكون موقعها (....) وقد طلب منهم الذهاب بعيداً حتى جزيرة (....) من حيث يبحر "التوضاكي" ؛ وهم لصوص يكمنون في انتظار السفن التجارية القادمة من الهند إلى هرمز والاستيلاء عليها ونهبها ، إذا وجدوا طريقة وسنحت لهم الفرصة فإنهم يدمرونها ويحرقون المدينة ويقطعون رؤوس الجميع بالسيوف .

بعث "روي يديروس" أيضاً ، خادم سموك (...) إلى "كالهات" مع الكاتب ومعه ألفي "كروزادو" قيمة بضائع في تلك البلاد حتى يقوم بشراء خيول تؤخذ بعد ذلك إلى "غوا" يتم بيعها هناك ، تلك كانت من الموانئ الهامة بهذه المملكة على الحدود العربية وتجلب فيها أفضل الخيول التي تباع هناك .

بعث في الاتجاه الآخر "فيرناو مارتنز ايفانجيلهو" مع بضائع أخرى إلى مملكة "لار" على الحدود الفارسية ، أيضاً لشراء خيول لسموك

والتي أيضاً (....) خزينة سموك (....) أرباح و (....) مستحقاتها والتي آمل أن يتم تحصيلها قريباً لسموك ، ستكون الكثير من النفقات (...) وسيقومون بسداد كافة أجور الجنود كما سيتوفر بعض المال أيضاً ،

عندما أبحر القائد من "غوا" لهذه المملكة ترك "كريستافاو دي بريتو" لحراسة ساحل الهند مع السفن التركية وأربع أو خمس من سفن "غوا" ، سلمه أموالاً للأجور التي تم حسابها بناءً على الأوامر السارية للهند ، (....) يجب أن يصدر مرسوم من سموك ؛ لأن السفينة الشراعية التي كان سيغادر عليها (شبت فيها النيرات وفُقدت) .

أيضاً بعد أن تم تحميل السفن لم تبق أي بضائع تتم التجارة بها ، ما كان عليه أخذها ، وأخذ فقط السفينة ومسؤولية حراسة الساحل ولا شيء آخر .

كان القائد يشعر بالمرض لمدة عشرة أو خمسة عشر يوماً (....) وقد أخذ القسم بالولاء من كل الضباط الذين كانوا معه أنه في حالة وفاته في هرمز فإنهم سينفذون كل ما كان يعتزم القيام به بخصوص هرمز ، كما ترك كل شيء مرتباً مقرراً ، وأنهم سيطيعون الشخص أو الأشخاص الذين سيترك لهم مهامه وسلطته ومنصبه أيا كان أو كانوا ، حتى يتم اتخاذ قرار وتعيين لشخص من قبل سموك ليحكم الهند ، أقسموا جميعاً .

لكن الرب منحه الصحة بعد وقت قليل وسيكمل إخضاع الهند لسلطة سموك ، ولم يبق أي شيء سوى أن يغلق البحر الأحمر ،

أنا أنهي رسالتي هذه ، وصل اثنان من الرسل من سيد "الحسا" أحد أبناء "بنوجير" الذي يحكم جزءاً من الجزيرة العربية والذي تتبع له البحرين والقطيف ، جاؤوا ليقدموا للقائد هدية من ثلاثة خيول ورسالة بها الكثير من المنح والعروض .

بما أن القائد كان مريضاً كما ذكرت وكانت رسائله قد أُغلقت وخُتمت فلم أستطع إعطاء بياناً بهذا لسموك ، بعد أولئك السفراء جاء رسول برسالة من ملك البصرة التي تقع في نهاية البحر الفارسي ، الرسائل التي جاء بها السفراء وهذا الرسول كلها في طريقها لسموك وقد ترجمت نسخ منها للبرتغالية ،

كُتب في هرمز في الحادي عشر من شهر أكتوبر عام ١٥١٥م .

من خادم سموك المخلص "بيرو دي البويم" .

في الخلف : إلى سيدنا الملك .

وفي العام نفسه (١٥١٥م)

من مكان غير معروف وفي عام ١٥١٥م[أ] ، جاءت الرحلة التي قام بها السفراء المبعوثون الذين ذهبوا إلى الشيخ إسماعيل ، وما تحملوه ، والهدايا التي أخذوها معهم والإجابة التي عادوا بها[ب] ، وفيما يلي وصف الهدايا : [٣٠]

(أ) البرامج المترجمة من مجموعة دفاتر العلاقات تؤرخ عن شهر إبريل / مايو ١٥١٦م وتقول : بما أن فيرناو جوميز وصل هرمز عند عودته من فارس في يناير ١٥١٦م ، (راجع الرسالة بتاريخ ٤ أغسطس من تلك السنة) ثم واصل تقدمه نحو الهند ، قد يفترض المرء أن التقرير قد انتهى في إبريل / مايو .

(ب) يوجد وصف للرحلة التي اتبعها المبعوثون للشيخ إسماعيل ، كانت طُبعت في السابق بالمجلد ١ من "رسائل "أفونسو دي البوكيرك" f 391 . وهو وصف غير مكتمل مثل الذي وجد في the Alcobaca في المكتبة الوطنية في لشبونه (codex no . 475, f 176) ، نفس المؤسسة حصلت على بعض المخطوطات تخص المجموعة الشهرية لمخطوطات كونت فيميرو والتي تكاد تكون غير موجودة اليوم أو بُعثرت ، يوجد من بينها وصف أكثر تفصيلاً عن نفس الرحلة مع اختلافات عديدة ، لذلك أصبح من الضروري أن تُطبع في هذا المجلد مقارنة بمخطوطة فيميرو مع Alcobaca ، يبدو أن هناك حذفاً هاماً تسبب ربما بفقدان نسخة من المخطوط بالرغم من التسلسل الصحيح للصفحات .

(٣٠) رقم الوثيقة والهامش.

في العام ١٥١٥م ، عندما عاد "أفونسو دي البوكيرك" إلى مدينة هرمز وذلك بغرض الاستيلاء عليها مرة أخرى ، التقى مبعوثاً من الشيخ إسماعيل الذي أرسل له العديد من الهدايا بكثير من الفخامة والأبهة ، وقام هو بدوره بابتعاث بعض مبعوثيه للمدعو الشيخ إسماعيل مع هدايا منه ، المبعوثان المذكوران هما : "فيرناو جوميز دي ليموس"[أ] ، وسكرتيره "جيل سيموس" الخادم في مخدع الملك ، معه حوالي خمسة عشر آخرين من النبلاء .

كما رأيت ، فإن تعليماتهما كانت بيد شخصين آخرين ، توفي كلاهما في هرمز ، وعليه ، فإن الأمر لم يتم ، سلموا عندئذ إلى "فيرانو جوميز دي ليموس" مع رسالة وغادر الكل هرمز برفقة إبراهيم باكيت قائد مدينة "دراجور" في عصر يوم السبت الموافق الخامس مايو من نفس العام ، أخذ أولئك الأشخاص الهدايا التالية للشيخ إسماعيل :

أولاً : مدفعان من المعدن مع البارود والمعدات اللازمة ، أي : "berco falcao" .

مادة : ست بنادق مع البارود الخاص والمعدات .

مادة : أطقم عديدة كاملة من الدروع مع قمصان من الحلقات الحديدية ،

(أ) يشير ذلك للتعليمات التي صدرت لفيرناو جوميز ، الذي تسبقه نسخة منه هذه الوثيقة في مخطوطه Vimieiro ، وقد طُبعت سابقاً في المجلد الأول من "رسائل" f 389 ، وأُخذت من مخطوطة Alcobaca التي سبق ذكرها .

مادة : درعان لحماية الصدر والظهر وضعا على مخمل قرمزي .

مادة : سيف بمقبض ذهبي وغمد للخنجر من المخمل الأسود مع ثقب مذهب على الطرف وأزرار صنعت من خيوط ذهبية وأربطة من الحرير الأخضر مع حزام مزين بالذهب .

مادة : خنجر مزين بمقبض من الذهب وطرف أزرق مذهب وثقب صغير في نهاية غمد الخنجر وحزام من الذهب ،

مادة : أربعة من أقواس النبال مع ملزماتها ، ذخيرة وخيوط أقواس إضافية .

مادة : رمحان مع أطراف غليظة مغطاة بالذهب .

مادة : قلنسوه من المخمل الأسود من النوعية التي يستعملها الشيخ إسماعيل مزينة أطرافها بالذهب وعليها مائة وإحدى وثمانين ياقوته ،

مادة : سواران من الذهب ، أحدهما كبير جداً وكان عليه ياقوته ضخمة وستة صغيرة وإحدى وعشرين ماسة ، الآخر أصغر حجماً مع حجر كريم كبير وياقوتتين من الحجم المتوسط تحيط بهما ثلاث وعشرون ياقوتة صغيرة واثنتان وستون ماسة صغيرة ، وثلاث زمردات من الحجم المتوسط وستة صغيرة .

مادة : عقد من الجواهر مع ياقوته كبيرة في الوسط وثلاث ياقوتات

من الحجم المتوسط وعشرون صغيرة وقطعتان من الفيروز ، ثلاث من حبات اللؤلؤ في شكل الكمثرى ولؤلؤة أخرى ضخمة جداً .

مادة : أربعة خواتم من الذهب ، ثلاثة منها عليها ثلاث قطع كبيرة من الياقوت والآخر عليه قطعة من الياقوت الأزرق تحيط به سبعة وعشرون ياقوتة .

مادة : قطعة من الكهرمان في شكل حبة كمثرى مع مائة وستون ماسة صغيرة مع حزام سيف في شكل سلسلة من الذهب .

مادة : خمس عملات برتغالية من الذهب .

مادة : خمسة "كروزادو" من الذهب .

مادة : خمسة "manuels" ذهبية على شكل عملة "غوا" المعدنية ، كل قطعة تساوي ثلاثمائة وأربعين ريالاً .

مادة : خمسة "testoons" فضية ،

مادة : ثلاثون قنطاراً من الفلفل .

مادة : قنطار واحد من "الهنيل" .

مادة : عشرون قنطاراً من الزنجبيل .

مادة : عشرة قناطير من مادة الصفيح .

مادة : عشرة قناطير من القرنفل .

مادة : عشرة قناطير من النحاس .

مادة : خمسة قناطير من القرفة .

مادة : اثنان "farcolas" من صمغ اللبان .

مادة : عشرون قنطاراً من السكر .

مادة : ستمائة قطعة من الكتان الممتاز .

وصلوا في صباح الأحد إلى ميناء "بندر" التي تقع في البر الرئيس على بعد ثلاثة فراسخ من هرمز ، حيث توجد محلة بها مائة من المنازل ومسجد ، وهناك جاء إبراهيم بيك قائد البلاد لمقابلتهم نيابة عنال شيخ إسماعيل ، الذي كان قد أُعدّ أربعين جملاً لحمل البضاعة والتي سددوا أجرتها في الحال ، ومقدماً بلغ مائة وثلاثين ونصف "أشرفياً" من عملة هرمز حيث يساوي كل واحد منها ثلاثة ونصف "paces" من عملة الشيخ وخمسة عشر ونصف "vintems" من عملتنا ،

كان على الحمالين إنزال تلك البضاعة في "دراجور" وهي بلاد المذكور إبراهيم بيك .

غادروا "بندر" في مساء الحادي عشر من مايو وسافروا طيلة الليل لمسافة أربعة فراسخ ، واحتموا عند الفجر في ضفة كبيرة من نهر بديع غير مأهولة لكنها كانت أرضاً طيبة وبها طريق ، في اليوم التالي واصلوا رحلتهم ، أحياناً بصورة جيدة وأحياناً غلب عليها السوء وانعدام المياه .

في الخامس عشر من مايو وصلوا إلى غدير تنبع مياهه على بعد نصف فرسخ ، وبسبب المنحدر كانت المياه تتدفق على طول قنوات خشبية ، ويتواجد هناك منزل أحد المزارعين الذي يعيش مع زوجته وأطفاله ، وله قطعة أرض مزروعة بالقمح والذرة والكمون .

في السادس عشر من مايو غادروا ذلك المكان ، وفي الثانية صباحاً عندما قطعوا مسافة ثلاثة فراسخ التقوا بستين من النبالين المشاة يرأسهم "ميزابيا بودارا" شقيق زوجة ملك هرمز وأحد نبلاء ملك "فرانجو بونجو" ، وكانوا يبحثون عن إبراهيم بيك لوجود تقرير يقول إن أشخاصاً معينين أشقاء وأقارب لبعض اللصوص ، كان المدعو إبراهيم بيك يشنقهم ، يتجمعون معاً للذهاب لقتله على الطريق الذي يقع وسط الجبال الضيقة .

لأنهم خشوا العدد الكبير من اللصوص المتواجدين هناك ، قاموا بمغادرة الجبال ، ودخلوا إلى سهل واسع حيث يوجد نهر به طاحونة مياه ، على بعد فرسخ توجد قرية بها خمسون من السكان وحقول واسعة من القمح والذرة وحدائق بها العديد من أشجار الفاكهة .

غادروا ذلك المكان وذهبوا إلى مكان كبير لمقابلة اللورد المدعو "ميرغلادين" الذي عاملهم بحماس عظيم ورحب بهم وقدم لهم الطعام والمؤن التي تكفيهم ليومين ، كان رجلاً يبلغ من العمر حوالي الستين بصحة جيدة طيب القلب وكان معه ثلاثة من الأطفال الذكور .

يسمى المكان "توروم" وكانت تحيط به الأسوار مع أبراج صغيرة مربعة وخندق ، وبداخل ذلك المكان المغلق كان هناك ثلاثمائة منزل وفي الخارج مئتان ، كانت المنازل من الطين ، بأسطح مسطحة ، كانت تزود بالمياه من مكان بعيد بواسطة الأنابيب ، كان موقعاً فخماً بالكثير من الخبز والفاكهة ومزارع الخضروات وحقول العنب ، أشجار النخيل والعديد من الطواحين ذات الدواليب التي ترفع المياه التي تتوفر بكثرة .

في اليوم السبت الموافق التاسع عشر من شهر مايو غادروا "توروم" وواصلوا رحلتهم ، ووصلوا يوم الأحد إلى "بوركام" ، مدينة إبراهيم بيك ، واستقروا في مزرعته الضخمة من البرتقال التي كان بها منزلان للسكن وحقلٌ شاسع من الكروم وأشجار النخيل ، أخرى[أ] تابعة للحاكم كانت تقع على سفوح جبل ضخم .

كان لونها أبيض من الخارج والداخل ، تزينها ستائر الساتان وحراير بألوان متعددة ونقوش بارزة غاية في الجمال ، كان هناك الكثير من خيام التخييم من القماش المطرز والحراير في شكل مظلة ، وقد احتلت حيزاً عظيماً مغطى بكامله بالأبسطة والعديد من قطع السجاد الثمينة ، كان يجلس الكثير من الضباط وعدد كبير من الأشخاص داخل وخارج الخيمة ، وظلوا هنا حتى حلول الليل ، وعندها غادر الجميع ، بقي السفير مع الحاكم بأمر منه ،

(أ) الحذف المشار إليه في مذكرة سابقة يبدو أنه هنا ؛ لأنه يختلف بقدر كبير عما جاء في مخطوطه Alcobaca ، ليس فقط في هذا القسم لكن أيضاً في الجزء التالي حيث قوطع الوصف .

كانت الموائد تمد يومياً محملة بأنواع مختلفة من الطعام ، فاكهة وخمر ، وكمية كبيرة من مختلف أنواع العزف على القيثار مثل التي عندنا وأيضاً الفلوت .

قدم لهم الحاكم في ذلك اليوم قمصاناً من الحرير وقلنسوات من القماش المطرز للبسها ، وعندما جاء الشيخ إسماعيل لصيد السمك خرج الرجال من خيامهم ولامسوا الأرض برؤوسهم أثناء مرور الشيخ إسماعيل ، وعندما اقترب منه الحاكم ماشياً على قدميه وكان يعتمر قبعة مثل التي نلبسها ، قام الشيخ إسماعيل بخلع عباءة من الساتان الأخضر على خطوط من الفراء وبعث بها إلى السفير مع الكثير من أسماك التونة المرقطة التي اصطادها .

في اليوم الأربعاء بعث الحاكم برسول إلى السفير يطلب منه تجهيز الهدايا حتى يأخذوها إلى الشيخ إسماعيل ، تم ذلك على أحسن وجه ، وجاءت أعداد كبيرة من الضباط وآخرون على ظهور الخيل إلى الخيام من أجلنا ومجموعتنا ، وعندما أصبحوا على بعد رمية بندقية من الشيخ أطلقوا بعض الجمال في حضور الحاكم .

أمر الحاكم بأن تحل الأربطة التي على الرزم والأشياء الأخرى حتى يراها الشيخ إسماعيل عند مرورهم من أمامه ، حملت الأسلحة النارية على أطباق فضية وكان فرحاً جداً لرؤيتها ، وأيضاً الدروع .

كانت خيام الشيخ إسماعيل في مخيم على طول ضفة النهر ، وبالقرب منها تلك التي كانت للملكة زوجته ، لكن لا توجد خيام أخرى على بعد رمية حجر حول المنطقة ، عندما مرت الهدايا المذكورة في العرض لرؤيتها جيء بها إلى الشيخ إسماعيل وبرفقته المراقب وأمين الصندوق ، اقترب منه السفير وقبل يديه وقدميه ، ثم ذهب "جيل سيموس" سكرتير السفير وقبل الأرض ثلاث مرات ، وكان يرتدي درعاً ابتهج الشيخ إسماعيل لرؤيته وطلب منه خلعه في حضرته ، جاء بعده "فرانسيسكو دي سوزا" و"جاسبار بيريس" المترجم .

كان الشيخ إسماعيل يجلس داخل خيمة ضخمة وفاخرة مزينة بالذهب وأرضية من البساط بارتفاع ذراع وعليها مساند ووسائد كان يجلس عليها ، وكان أمامه حوض من المياه به أسماك "التروت" ، وتحيط به العديد من خيام المعسكر التي كانت أبسطتها من القماش المخطط .

على يمين الشيخ جلس ملك جوليم ، وهو رجل في الستين من عمره كان الشيخ يبدي له الكثير من الاحترام ، بجانبه ضباط الحرس وهو شقيق "شيكولان" حاكم الشيخ إسماعيل الذي كان في الحدود يحارب ضد الأتراك .

على يساره كان يجلس "دورميسكان" "Dormiscan" ، ملك "لورينز" وسفير ملك "جورجيا" مع ضابطين آخرين .

قبل السفير رسالة "أفونسو دي البوكيرك" التي كان يحملها معه وقدمها للشيخ الذي طلب منه الجلوس على يمينه مع كل رجاله ، أمام ملك "جوليم" وضابط الحرس .

كان في المعسكر قرابة الثلاثين ألف شخص ، وعندما جلسوا سأل الشيخ السفير عن اسمه وأسماء كل الذين معه من الرجال ، من كل أولئك الذين كانوا هناك لم يتمكن الشيخ سوى نطق اسم السفير ، لذلك أمر الحاكم أنه بعد الآن فصاعداً لن يناديه أي شخص سوى بالاسم "فيرناو جوميز دي ليموس" .

سأل الشيخ بعد ذلك السفير عن أحوال البابا إن كان لازال على قيد الحياة ، فأجابه بعدم معرفته لذلك ؛ لأنه قضى سنين طويلة في الهند وأنه عند موت الشخص يعين آخر في الحال ، لذلك يكون هناك دائماً أحدهم .

تساءل أيضاً عن عدد الملوك المسيحيين الموجودين بجوار إسبانيا ، وأجابه أن هناك سبعة وهم في البرتغال ، "كاستيل" ، فرنسا ، انجلترا ، ألمانيا ، المجر وروسيا .

كما سأله أيضاً عن عمر سيدنا الملك ، وأجابه أنه يبلغ الخامسة والثلاثين وله أربعة من الأبناء الذكور وبنتان ، وسأل إن كان حاكم الهند ملكاً فأجابه أنه القائد العامّ للملك وقد نال لقب الدوق لشجاعته وإخلاصه .

واصل الشيخ إسماعيل أسئلته على هذا النحو ليتعرف على الكثير من الأمور .

جاءوا له بعد ذلك بالدروع الحديدية والرماح والنبال والبنادق وقد أثارت كل الأشياء إعجابه .

وطلب من أحد ضباطه أن يلبس درعاً ويجلس ، وعندما جلس سقط على ظهره ولم يتمكن من الوقوف مرة أخرى ، لا يمكن أن تتصور مدى الابتهاج والتسلية التي اجتاحت الشيخ وهو يراه ممدداً بتلك الطريقة دون أن يتمكن من الوقوف على رجليه .

قدم الغداء بعد تلك الحادثة الطريفة ، قدم الطعام أولاً للذين كانوا في الميدان على موائد بلا أغطية ، وبعد أن وزع الطعام على الجميع وبدأوا في خدمة الشيخ إسماعيل على النحو التالي :

وضعوا أغطية على المائدة ، وقدم له الماء لغسل يديه في إبريق من الفضة وحوض ، اغتسل بفوطة من الحرير الأزرق أطرافها مذهبة ، بسطوا بعد ذلك بساطاً له بعض أغطية المائدة المخططة من الحرير ، ووضع على المائدة ما لذ وطاب ، وقدم له الطعام على أطباق من الفضة .

لم يقترب أحد من الشيخ باستثناء الخادم الذي يقوم بتقطيع الطعام أمامه وهو جالس على ركبتيه ، لم يتناول أي شيء حتى تمت خدمة تقديم الطعام لأولئك الذين يجلسون بالقرب منه ، وتم ذلك على أغطية للمائدة مشابهة لما أمامه ، قدم بعض منه للسفير والذين معه .

عندما رفعت الموائد جاءت العديد من الصواني الخشبية المطلية بالذهب عليها أنواع من الحلوى واللوز ووضعت أمام الملك ، كل تلك الحلويات وكمية كبيرة من الفاكهة وعدد كافٍ من جرار خمرة العنب لكل شخص وقسم منها على جموع من ناس آخرين كانوا بالقرب منه ، لاستعماله الخاص طلب جرة من خمر الأجاص التي كانت أفضل ما هناك في تلك الأنحاء .

طلب أن يقدم للحاكم منها ، أجبر هو ورجاله على الشرب ؛ لأن الضابط دار حول المكان مهدداً بأعلى صوته أنه سيضرب كل من لا يشرب ، لذلك كان عليهم الشرب بأكواب ممتلئة ، في كل مرة تملأ فيها الكؤوس كانوا يعرضونها أمام الشيخ وإن لم تكن ممتلئة كان يأمر بصب المزيد من الخمر .

شرب الشيخ من كأس حجري مطلي من الداخل بالذهب يستوعب نصف "Canada" وأحياناً من كأس من البورسلين ، كان يصب الخمر بنفسه ويعرض على جماعتنا الكأس في كل مرة يشرب فيها ، قائلاً إنه وحده شرب أكثر منهم مجتمعين .

اقترح السفير أن يضاف بعض الماء للخمر ، وعندها أمر الشيخ أن يقدم له كأساً من الخزف الصيني مليئاً عن آخره ليشربه ، وليقوم بذلك كان على السفير أن يتوقف ثلاث مرات حتى يلتقط أنفاسه ويكمل إنهاء ما بالكأس .

أصدر الشيخ أوامره بعد ذلك بأن تقدم الجرة التي أمامه لأتباعه ، وطلب منهم ضاحكاً بأن يقدم أي شيء تحت بصرهم

إلى السفير ، عبر ملك "جوليم" بأن بعث له بمنديل قرمزي كان يلبسه حول عنقه مغطى بتطريز من الذهب ، كانوا معه منذ العاشرة صباحاً وحتى حلول الليل عندما طلب إلباسهم بحرير منسوج ووشاح على الكتفين من قماش مطرز بقطع من الساتان ، بعد أن لبسوا بقوا معه منذ العاشرة صباحاً وحتى حلول الظلام .

قدموا خلال ذلك للشيخ جرة من خمر برتغالي جاء به "كوليجان" "Coligan" ، هو مبعوث جاء من طرف "أفونسو دي البوكيرك" كان قد قابله في "غوا" ، وطلب أن يقدم لأمين الخزينة ليشرب منه وقام الأخير بشربه كله أمامه ، وقال وهو يضحك أنه لا يستطيع أن يفيد إن كان ما شربه ماء زبدة أم عسلاً! أعلن عندها الشيخ أنه طالما حظيت خمر البرتغال بالثناء العظيم فإنه يود أن يبعث ببعض الحمولة من خمر الأجاص إلى حاكم الهند ،

قام حاكم الشيخ بلبس ملابسنا ووضع قلنسوه من المخمل على رأسه قدمها له السفير ، كان ذلك شكلاً من الذهب وهيئة وسأل الشيخ عمن يكون ، شرح له السفير إن ذلك هو القديس "جيمس" ، أشار الشيخ للحاكم أن يطلبه منه وعندما لبس الحاكم ، أخذ السفير من يده وأطلع الشيخ أنه أفرنجي (أوروبي) وأراد أن ينضم إليهم .

أحنوا جميعاً رؤوسهم نحو الأرض وذهبوا إلى خيامهم ، بينما قصد الحاكم خيمته .

أخذ الملك من "كوليجان" رداءً غريب الشكل للمسلمين من قماش أسود رفيع من السراويل من نفس النوع الذي نلبسه ، وأخبر جيل سيموس سكرتير السفير أن يعطيه واحداً مماثلاً كسا به نفسه ثم خلعه فيما بعد .

كان المعسكر قد نصب لعشرة أيام بين تلك الجبال ، واعتاد الشيخ الذهاب للصيد وصيد السمك كل يوم ، كان دائماً يبعث بأسماك "التروت" مع بط محلي وآخر من الذي يصطاده إلى السفير .

أصدر أوامره في أحد أيام الجمع بأن يتحول المعسكر لمسافة أربعة فراسخ ، وأخطرهم الحاكم بأن يذهبوا إلى هناك ، لكن عند تلك الأربعة فراسخ لم يتمكنوا من إيجاد أول الصف الطويل من الناس في المخيم ؛ لأن الطرق والجبال المحيطة كانت مليئة بهم .

غادروا في الصباح الباكر ووصلوا للمعسكر الآخر في الثانية بعد الظهر ، حيث بناءً على تعليماته نصبوا خيمتين بالقرب من الحاكم .

بعث السفير في اليوم التالي برسالة إلى الحاكم يقول فيها ، بغض النظر عن الرسالة التي سلمها للملك ، كان معه الكثير الذي يود إطلاعه عليه ، طلب منه الحاكم أن يذهب إلى هناك ، وفي خيمة منعزلة ومعه رئيس وزراء الملك والكاتب العدل أطلعه على كل شيء ، وقام بكتابة كل ذلك ليرسله للشيخ الذي كان يقضي عدة أيام هناك في رحلة صيد ، لذلك غادر الحاكم لمقابلة الملك ، وبينما

هو يغادر أبلغ برسالة تقول بتحول المخيم إلى مكان آخر ، بما أنه يغادر في رحلة فقد ترك أحد الأشخاص لترتيب أمر نقل المخيم وأمر ثلاثين من الفرسان لمرافقة السفير ، كان عليهم الاختلاط بالنساء بناءً على تعليمات الشيخ إسماعيل ،

في اليوم التالي الموافق ليوم الاثنين ، وبعد قضاء أربعة أيام هناك ، غادروا برفقة المخيم وعبر كل الرحلة لم يكونوا قادرين على مقاومة زوجات كبار السادة والضباط اللائي كبرن برفقتهم .

لم يكن هناك ما لم يرغبن فيه ، رغماً عن كونهن برفقة السفير إلا أنهن لم يكن مطمئنات ، كن بيض البشرة لدرجة مذهلة ، لهن أغطية رأس من "الفليمنج" ومن أعلى الألبسة كن يلبسن أردية من القماش المطرز ، والمخمل والساتان الدمشقي القرمزي ، هكذا عندما وصلن في تمام الساعة الثالثة بعد الظهر إلى الميدان الذي نصب فيه موضع المخيم بالقرب من بلدة تسمى "ماراجوا" على بعد ثلاثة فراسخ من حيث بدأوا التحرك .

في يوم الخميس الموافق السابع من شهر من سبتمبر وصل الشيخ من رحلة الصيد ، واستفسر السفير من الحاكم إن كان الشيخ سيستقبله ومتى يريده أن يأتي لرؤيته ، رد عليه الحاكم بأن ذلك سيكون في اليوم التالي إن لم يكن يوم عمل ، وكان اليوم التالي يوم الجمعة الثامن من شهر سبتمبر ، ذهبوا لمنزل الحاكم الذي أجابهم عن البعثة بما يلي :

إن أراد الملك صداقته فلماذا أمر بأن يتم الاستيلاء على هرمز التي تتبع له؟

ظلت كل سنة تؤدي له ألفي "أشرفي" كجزية .

الكلمات ليست هي البديل عن الأفعال ، نعم ، بالرغم من كل شيء ، كان صديقه ، وسعد كثيراً بصداقته .

أما بخصوص إرسال سفراء للبرتغال ، فقد كانت رحلة طويلة براً أو بحراً ، وأن تنتظر لرد يأتي سينقضي الكثير من الوقت في قتال الأتراك .

قرر في تلك السنة إنه في طريقه للانضمام لعظيم الترك ، وسيتلقى ملك البرتغال أخباراً في هذا الخصوص .

وعندما انتهت الحرب ضد الأتراك ، كان يأمل في اتفاق على الحرب في بلاد مكة ، وهناك احتمالات جيدة لهذا .

بما أن القائد العامّ للهند قد وعد بتوفير النقل لقواته ضد الجزيرة العربية فإنه يبعث بضباطه ، إبراهيم بيك و"بيدم جامبيكا" مع عشرة آلاف رجل للاستيلاء على القطيف والبحرين ، التي كانت تخصه ، إلا أنهما ثارتا ضده .

التمس منه أن يسمح بمرور أولئك الرجال ، وبهذا أراد أن يبرهن كيف أنه صديقاً وفياً .

حتى يقبل رجاله بعدم التصرف مع ما يتعلق "بالسابايو" لا يبدو الأمر معقولاً دعم هذه الفكرة ؛ لأن الأخير كان أخاً في الدين ويحمل شعاره بل سيبعث برسالة يتوسل فيها "السابايو" بألا يدفع بنفسه إلى الحرب ، بل أن يبرم سلاماً مع حاكم الهند الذي كان صديقه وأن يفعل كل شيء يطلبه منه .

أما بخصوص المسائل التي طلب منه التقرير عنها ، وتتعلق بقلاع هرمز ، فعليه الكتابة إلى القادة بأن عليهم القيام بكل شيء أمرهم به القائد العامّ ، وأن يكتب لحاكم الهند وأيضاً للسفير بكل التفاصيل .

بعد الرد بهذه الطريقة ، أخبر الحاكم السفير بأن الشيخ كان آسفاً جداً لأنه لم يقم بزيارة المعسكر أو الريف ، وسأل كثيراً عن هذا ، وقد بدا له أن هناك بعضاً من عدم الرضا ، وتوسل إليه إن كان الأمر كذلك ، فعليه إطلاعه به ، أجاب السفير بعدم وجود أي عدم رضا وعدم وجود أي سبب ليجعله يحس بذلك ، لكن الأمر كان بقصد الابتهاج ، وكان كل رجاله في شوق لرؤية مدى عظمتهم بخصوص ما سمعوه كثيراً .

عليه رأوا إن ذلك كان مناسباً حتى يستفيدوا مما تبقى من زمن في رؤية كل شيء ، وعليه امتطوا خيولهم في اليوم التالي وذهبوا لرؤية المدينة التي كانت كبيرة ورائعة ، كانت ثلاثة أرباعها مدمرة ، لكن رغماً عن ذلك كانت تتألف من حوالي ألفي منزل في مجملها ، لها حدود

شاسعة ، وكانت مكتظة بالسكان ، وبها كل المواد والمؤن من الأراضي المزروعة ، بساتين التفاح ، حقول الكروم والعنب ، والضفاف على النهر التي تحفها الأشجار الاستوائية والقطعان الضخمة من الماشية .

في اليوم الأحد ذهب الشيخ إسماعيل إلى التلال ، وأخذ معه معظم الناس الذين كانوا في المعسكر ، وأمر أن يضرب النطاق من الناس على مساحة لثلاثة أو أربعة فراسخ من الحقول البرية من الجبال العالية ودفع فيها بكمية كبيرة من حيوانات الصيد .

أُطلقت في شكل قطعان على سهل واسع كبير ، أحاط بها أتباعه بحيث أصبحت محصورة تماماً استدعى بعد ذلك السفير ، وحالما وصل مع رجاله دخلوا إلى السياج مع الشيخ ، كان بداخل السياج حوالي الألف وخمسمائة من الحيوانات ، مثل الغزلان والماعز البري والخراف ، الدببة ، الثعالب ، الذئاب والخنازير .

دخل الملك إلى السياج حاملاً قوساً ، وبدأ بإطلاق سهامه ، كل سهم اخترق ثلاثة من تلك الحيوانات ، عندما قتل عدداً كبيراً منها ملَّ من إطلاق السهام ، وأمسك بسيف قصير وبدأ تقطيعها بضربات متتالية ، قام بضربة واحدة على أحد الحيوانات قطعته من الرأس وحتى الذيل إلى نصفين ، وسقط كل نصف في جانب ، شق أخرى بنفس الطريقة .

عندما أصابه التعب قام "دورميسكان" رفيقه والحاكم بالدخول مع

قائد الحرس ، وعلى أية حال لم يتعاملا بنفس الضربات الرهيبة مثل التي كان يقوم بها الشيخ ، لكنهم قضوا على البقية الباقية من الصيد .

عندما انتهى كل ذلك جاءوا للشيخ بالشراب الممزوج بالسكر الصافي ، الخيار وتوت بري ، أصدر أوامره بأن يقدم الشراب للسفير ، وسأله إن كان سيدنا الملك يصطاد بهذه الطريقة ، أخبره الشيخ بعد ذلك أنه في أحد فصول الشتاء الماضية قام بقتل عشرين ألف رأس في "سافا" ، وفي شتاء آخر سبعة آلاف في أصفهان .

بعد أن أمر الملك بأخذ كل الصيد إلى المعسكر ، امتطى فرسه وسار لمسافة فرسخ للأمام ليصطاد السمك بالشباك التي كان يرميها بنفسه .

لفت السفير نظر الحاكم أنه على عجلة من أمره وبرغبته في المغادرة حالاً وطلب الإذن من الشيخ ، وعليه إخطاره بذلك ، تم ذلك على الوجه الأكمل ، واستدعاهم الشيخ وذهبوا إلى حيث كان ، قبل السفير يديه وقدميه ، وفعلت الحاشية التي معه نفس الشيء ، وقدم الشيخ بيده شخصياً سمكة لكل منهم من الأسماك التي اصطادها .

في اليوم الاثنين الموافق للحادي عشر من سبتمبر ، وفي تمام الساعة الحادية عشر صباحاً ، غادروا المعسكر مع القوات ، أرسل الشيخ بعد فترة قصيرة للسفير أربعة غزلان وخنزيراً كبيراً من التي اصطادها في اليوم السابق .

وصلوا بعد ذلك إلى حقل في الساعة الواحدة بعد الظهر ، حيث خيموا في مكان واسع يسمى "بينادو" به الكثير من بساتين التفاح والخضروات والبرتقال وأشجار الفاكهة الأخرى .

في اليوم الخميس الرابع عشر من شهر سبتمبر أطلع الحاكم السفير ، بينما كان يريد أن يبعث به إلى الهند ، وهو يقوم بعمل ترتيباته ، أن الملك سيكون ممتناً جداً إذا ذهبوا إلى مدينة "تبريز" وانتظاره هناك ، سيرسل في الوقت الحالي عدداً من الأشياء كانت قد طلبت منه هناك ، أمرهم في الحال بعد ذلك أن يبعثوا بمبلغ مائتي "كروزادو" من عملة البلاد إلى السفير مع سيف قصير مزين بالذهب .

مائة "كوزادواساً" للسكرتير "جيل سيموس" ، ومائة إلى "فرانسيسكو دي سوزا" ومائة للمترجم "جاسبار بيريس" ، وأمر الحاكم وكيله التجاري أن يرتب أمر تلك المبالغ وكثير من المؤن والمواد لتعطى لهم ،

مبعوث الشيخ ، إبراهيم بيك ، الذي ذكرناه سابقاً ، والذي جاء بهم من هرمز ، وقد تأخر وصوله ، وبسبب ذلك كان على البرتغاليين أن يستعينوا ببعض الخيول ، ووصلوا جميعاً إلى المخيم معاً والسفير ينتظر المغادرة في الحال .

أطلع السفير الشيخ عن عظمة وفخامة البرتغال وعن القائد العامّ الذي لم يكن يريد إطلاقاً مقابلة "خواجا جيجان" ، سفيره ، الذي ذهب أولاً إلى "غوا" ، بعث الشيخ برسالة عبر الحاكم طالباً منه

تأجيل مغادرته ، وبسبب ما أطلعه عليه إبراهيم بيك زاد الشيخ من المبالغ التي منحت للسفير بمائة "كروزادو" إضافية وبخمسين لكل من الثلاثة الآخرين .

ذهب السفير في ذلك اليوم إلى الحاكم حيث وجد إبراهيم بيك ، تبادلوا التحايا وكأنهم لم يلتقوا مع بعضهم لفترة طويلة ، تحدث إبراهيم بيك مع الحاكم في أمور كثيرة وتوسل للسفير بحياة سيدنا الملك والقائد العامّ أن يخبره إن كان هو أو الرجال الذين معه غير سعيدين أو إن كان هناك أي شيء هم كارهين له؟ وأضاف أن الصداقة بين الملوك تعتمد على سفرائهم .

أجابه السفير بعدم وجود أي شيء يشتكون منه ، باستثناء أن الشيخ إسماعيل لم يكن يرغب في أن يطلع على أمور تتعلق بالبرتغال وعظمة سيدنا الملك ، لكن بما أنه جاء ورأى تقارير على عدد من المسائل تمكن من التعليق عليها بطريقة جيدة ومرضية ، لذلك يغادر وهو في غاية السعادة ،

اتفق إبراهيم بيك معه على حقيقة أن الشيخ إسماعيل أسف كثيراً بسبب الاستيلاء على هرمز ؛ لأنه لم يكن يعرف ما حدث هناك ، ومن ثم بعد أن أفيد بواسطته نسي الأمر ، كان يبعث للقائد العام بأحد مبعوثيه وهو رجل موثوق به ومحترم ، كان مناسباً له أن يأخذ معه هدية من خمسة خيول مطهمة من أجود السلالات وسرجاً من الذهب وملابس جاهزة ، حريراً وأقمشة مطرزة ، مشمشاً

وأنـــاســـاً وخمــرة من تبريز ، كما أرسل فرساً إلى "دوم جارسيا دي نورونها" .

أخبرهم إبراهيم بيك أن الشيخ إسماعيل يبعث به مع رجاله لأمر طارئ إلى القطيف والبحرين ، اللتين ثارتا ضده ، وحتى يتمكن من إعادتهما لطاعة إسماعيل ويبعث أيضاً بطلب إلى القائد العامّ لنقل القوات التي سبق ذكرها .

عن ذلك أجاب السفير بأن القائد العامّ قد غادر فعلاً إلى الهند ، وأنه يدون تفويض منه ، فإن قائد هرمز لن يتمكن من توفير وسائل النقل .

تلقى الشيخ تلك الإجابة في الحال ، وكانت إجابته بأن تلك مجرد أعذار فقط وأن هناك أماكن وموانئ أخرى بها تسهيلات للسفن ، وأكثر من ذلك ، فإن البر الرئيس يخصه وأن هرمز ستضيع بدون ذلك .

يبلغ الشيخ إسماعيل الثلاثين عاماً ، ممتلئ الجسم ، متوسط الطول ، فاتح البشرة وله لحية مرتبة ، ووجه ممتلئ مع فم واسع ، وهو رجل مرح ، كثير الابتسام وحلو المعشر ، كان فاحش الثراء وله الكثير من الدخل ، إلا أنه الآن فقير جداً ، يمنح ما معه بكرم شديد ولا يمكن تقدير خسارته ، ولا توجد أموال كافية في العالم يمكن تغطية تلك الخسائر بها ، كان مالكاً لكنز ضخم

لكن هاجمه الأتراك ، هزموه وحرموه من كل شيء ، كان سبب الحرب بينهما كالتالي :

بعد أن هزم كل فارس ، شن حرباً شعواء ضد المدن والبلدات التي استولى عليها وهاجم تبريز أيضاً إحدى أهم مدن فارس ، وعلى بعد أربعين فرسخاً من أقرب جزء لتركيا .

عندما علم ملك المدينة باقترابه منها ورأى استحالة أن ينقذه أي شيء ، غادر المدينة وذهب للأراضي التركية .

بعد أن أصبح الشيخ إسماعيل سيد البلاد كلها ، قام الملك الذي هرب من "تبريز" بمهاجمة أماكن عديدة على الحدود ودمرها وقتل الكثير من الناس .

بعث الشيخ إسماعيل بقائده مع أربعة عشر ألف رجل ضده ، لكنه تقهقر .

ثم بعث الشيخ إسماعيل برسالة إلى عظيم الترك يقول فيها لو أنه صديقه فعلاً فسيرسل له الشخص الذي يسمي نفسه الملك "فوان" "Foin" .

أجاب عظيم الترك أن الملك المذكور عندما وجد نفسه خاسراً ولا أموال عنده وبلا كرامة ، فقد مثل كرجل جريح وطلب اللجوء معه ، ولن يكون ذلك سابقة جيدة أن يقوم بتسليمه له .

عند هذا أصدر الشيخ أوامره بتدمير عدد من مدنه وبلداته ،

وقتل الكثير من الناس هناك كراهية في الأتراك ، بل أكثر من ذلك وعندما سمع أن أحد أبناء أشقائه (كان قد حكم عليه بالموت لجرائم عديدة ارتكبها في تركيا ، وحتى يجعل الآخرين يخشونه) ذهب لمقابلة الشيخ إسماعيل .

أرسل إليه الأتراك سفراءهم بخصوص هذا الأمر ، وأجابهم الشيخ بأن إعطاءهم ثياب امرأة وغطاءً للرأس قائلاً لهم أن هذا هو ما يناسب الأتراك وأنه هو ، الشيخ إسماعيل ، مصمم على الموت دفاعاً عن دينه الذي كان أقدس ما عنده .

غضب عظيم الترك وأثاره ذلك فذهب للبحث عنه على رأس جيش هائل .

علم الشيخ بتحرك جيش الترك ، لكنه لم يستعجل قائلاً إنه لا يصدق أن يصبح التاجر فارساً على ظهر الخيل ، بالرغم من وجود تقارير أخرى تشير إلى اقتراب قوات عظيم الترك إلا أنه ظل يبعث بالرسل بحثاً عن المعلومات ، وعندما تلقى رداً بالإيجاب صدق ذلك لكنه بكل غطرسة تجاهلها .

لذلك وكأنه في رحلة صيد ، وبقوة قليلة معه خلاف الذين كانوا بالمعسكر ، أبحر للإمام ضد الأتراك وسط بهجة كبيرة ومعه ثلاثين ألف من الخيالة .

وصل عظيم الترك مع حشد كبير من الرجال والعديد من

المدفعية التي لم تكن مع الشيخ ولا قواته أي معلومات عنها حتى ذلك الوقت ،

عندما علم عظيم الترك بمغادرة الشيخ قوّى من كتائب جنوده ، وانتظر على بعد ثلاثين فرسخاً من تبريز حتى كانت تزحف جيوشهما هناك .

كان عظيم الترك يقود مائة وستين ألفا من الرجال جهزهم في ثلاثة كتائب ، إحداها محاطة بالمدافع حتى أخذ مواقعه ، واثنتان أخريان في طليعة الجيش .

شكل الشيخ إسماعيل قواته في كتيبتين ، عندما استعدوا دفع بهم ضد الأتراك في جرأة وقوة ، سحقت الكتيبتين من الأتراك ، وألحقت بهما خسائر في الأرواح عظيمة ، وواصلت اندفاعها نحو كتيبة المدفعية .

بدأت تلك الكتيبة في الاشتباك في بسالة شديدة وبما أن قوات الشيخ لم تكن تعرف أي شيء عنهم ولم يروا شيئاً مشابهاً لذلك واصلوا التقدم وهم في شوق لإحراز النصر ، وقتل منهم العديد من الرجال ، هربت الخيول وهي فزعة بركابها ، وحدث ارتباك عظيم ومجزرة وسط جنود الشيخ إسماعيل .

أُلقي القبض على الشيخ أثناء المعركة ، ولكن قام أحد ضباطه بمحاولة إنقاذه مبدياً أسفه ومظهراً الكثير من الشجاعة ، صرخ بأعلى

صوته أنه شخص محطم فقد شرفه وكل دولته ، عليه قام أولئك الذين ألقوا القبض على الشيخ بعد أن سمعوا حديث الرجل الذي ادعى أنه الشيخ بإطلاق الرجل الذي كانوا قد أمسكوا به وأخذوه أسيراً وأمسكوا بالضابط وقدموه لعظيم الترك ، ذهب الشيخ يبحث عن ملجأ ، بعض رجاله كان قد هرب وآخرون اختفوا في الأحراش .

وصل الأتراك حتى مدينة "تبريز" ، حيث بقي عظيم الترك هناك لثلاثة أيام ، دون أن ينهب أو يتحرش بأي شخص ، استولى على كل الكنوز التي تخص الشيخ وقام بتوزيعها بين كل المقربين منه .

بعد انقضاء الثلاثة أيام ، غادر المدينة عائداً إلى بلاده لأنه سمع معلومات تفيد أن الشيخ إسماعيل عائد للوقوف ضده ومعه جيش جرار وجمهور من الاتباع لا يحصى ، أخذ أربعين من القادة ومن التجار الأثرياء معه إلى تركيا ، وكان قد غادر في عجلة من أمره وترك ستين قطعة من المدفعية في المدينة ، يقول البعض إن ذلك كان لخوفه من الشيخ إسماعيل ، وما شاهده في حلبة القتال ، وخشي من الدخول في معركة أخرى .

أخذ الشيخ معه اثنين من زوجاته للحرب ، توفيت خلالها إحداهن ، كما مات مائة من الحرس الذين كانوا يدافعون عنها ، هربت الزوجة الكبرى جرياً على أقدامها ، عندما ذهبت للاختباء في الأحراش قابلت امرأة فقيرة ، وحتى لا يتم التعرف عليها أخذت الثوب الذي كانت ترتديه تلك المرأة ومعها طفلها وذهبت إلى منزل

أحد عمال الزراعة ، طلبت من المرأة أن تذهب إلى مكان آخر ، وأسرعت هي في الذهاب لمنزل المزارع حيث ظلت هناك لعدة أيام ، لم تكن ترغب في الكشف عن حقيقة شخصيتها ، لا للمزارع ولا للمرأة التي قابلتها حتى عودة الأتراك إلى تركيا .

كان الشيخ يحب هذه الزوجة حباً جماً ومعجباً بها أيما إعجاب ، له منها ابن يبلغ الثالثة من العمر ، وكان وريثه الوحيد .

بعد أن هرب الشيخ ذهب مباشرة إلى "كولكانيا" "Colcania" حتى قام بتجميع قواته ، وفي خلال أيام قليلة شكل جيشاً ضخماً ، وهو ينوي العودة وقتال عظيم الترك ، كان يغالبه الحزن على زوجته التي ظن أنها قد قتلت .

جاء الشيخ بجيشه الذي كان يزداد كل يوم لقتال عظيم الترك ، لأن أولئك الذين لم يعرفوا أخباره وغيرهم ممن لجأوا إلى الأحراش بعد المعركة ، خرجوا عندما شاهدوه ، وانضموا إليه في طريق العودة لشن المعركة مرة أخرى .

عندما أصبح على بعد مسيرة يومين من "تبريز" ، علم أن الأتراك قد غادروا قبل عشرة أيام ، لذلك اتجه نحو "تبريز" .

بعد يوم - لاحقاً لذلك - كان رئيس وزراء "دورميسكان" الذي يتقلد حالياً منصب الحاكم للشيخ ماراً مع حوالي ستين من الفرسان الذين انضموا إليه أمام منزل العامل الزراعي الذي كانت

تختبئ فيه الملكة ، عندما رأته تعرفت عليه ونادته ، أفشت إليه عمن تكون وأصرت على السفر معه ، وقال : (أكسبه ذلك الكثير من الاحترام والتقدير واعتبر ذلك فضلاً واستحساناً عظيماً منها) ، لذلك أخذها معه إلى تبريز للشيخ إسماعيل ، الذي استقبلها بفرح غامر أنساه كل تلك المعاناة والفقر الذي عاشه ، لكنه استعادها الآن واستعاد السعادة معها .

لتلك الخدمة قام الشيخ في الحال بتنصيب رئيس وزراء "دورميسكان" حاكمه وجعله سيداً عظيماً للأراضي وعائداتها المالية ، وهو رجل شاب بين الخامسة والعشرين والسابعة والعشرين من العمر ، حكيماً ، حسن التربية ويحبه الجميع ، كما أنه يتحدث لغات عدة .

* كيف أصبح الشيخ إسماعيل سيداً عظيماً

حمل والد الشيخ إسماعيل اسم "حيدر" وكان ملكاً لمدينة تسمى "أرادابيل" "Ardabil" تقع على بعد خمسين فرسخاً من "تبريز" من الناحية الشرقية ، له أربعة عشر من الأبناء وخمس فتيات ، وكان الشيخ أصغرهم سناً ، نذر نفسه للتدريب والقتال وفي معيته الجنود ، كان والدهم أول من أدخل لباس القبعات القرمزية ، ترك دين محمد واعتنق ديانة أحد أبناء أخيه يدعى إمام "حافار" .

عندما ذهب هذا الملك للحرب مع ملك آخر مجاور له قتل في

المعركة وأُخذ أبناؤه أسرى وتم الاستيلاء على مدينته ، أما الملك الآخر الذي كان ملكاً على تركيا أيضاً فقد شن الحرب مع أخيه وهو ملك آخر في الجوار ، كانا معاً في المعركة وقتل ملك تركيا وأخذت بلاده ، عندما وصل إلى مدينة "أرادابيل" ، أمر شقيقة أن يطلق سراح أبناء الملك الراحل الذين كانوا أسرى هناك .

كان مع الشيخ إسماعيل مئتا رجل ، عندما رأوه يؤخذ أسيراً هربوا جميعاً وتفرقوا في أنحاء فارس يلتمسون الصدقات ليبقوا على حياتهم ، عندما علموا أنه خرج طليقاً تجمعوا معاً مرة أخرى وعادوا إليه ، استقبلهم وكلف كل واحد منهم إلى منطقته حتى يرتدي كل الناس الشعار المؤلف من القبعات القرمزية ، وحولهم إلى مجموعات مسلحة نشطة ليحاربوا عن دينه .

انتشروا بهذه الطريقة عبر أقاليم كثيرة وسافر أولئك الرجال المائتان عبر الكثير من البلاد وجمعوا حولهم حشداً ضخماً من الناس الذين تبنوا الشعار ، بعد عدة أيام تجمع ما يقارب الأربعون ألف رجل الذين بمساعدتهم انتصر الشيخ إسماعيل على مملكة "بيفان" ، وبسبب الإخلاص الذي أبداه حاز على إعجاب الكثير من الناس إلى جانبه ، ومعهم هزم فارس وجعل من نفسه سيدها ومولاها .

ذهب من هناك إلى "كوركونو" "Corcono" حيث هزم ملكاً عظيماً يدعى "اسبكير" وسلبه مملكته ، لم يأخذ معه سوى ثلاثين ألفاً من

القوات المقاتلة لتلك الحرب ، بينما كان مع الملك الآخر أكثر من ستين ألفاً ، هاجم الشيخ من اتجاه واحد وزوجته من جانب آخر ، وفي زمن وجيز هزموا وقتلوا ذلك الملك ، وقطع الشيخ رأسه ووضع جمجمته في وعاء من الذهب وحولها إلى كأس للشراب يستخدمه في الاحتفالات والولائم .

تم كل ذلك وعاد الأمن والسلام للبلاد ، فعاد إلى فارس ووجد أن أحد أشقائه ثار في مدينة "تبريز" ، فزحف ضده وقتله مع ثلاثة من أشقائه المتآمرين معه ، وقتل فيما بعد والدته لأنها كتبت لأحد الضباط الأتراك ليقوم بمهاجمته وإنها تملك الوسائل التي ستسلمه بها "تبريز" والشيخ ، قتل أيضاً اثنين من شقيقاته لأنهما استشارتا منجماً إن كان أزواجهما يحبانهما في حقيقة الأمر .

لذلك بقي هو السيد الوحيد لما كان يعود لملكية أربعة أو خمسة ملوك وسادة ، أخضع بعض ملوكهم على أداء الجزية ، وجعل من آخرين اتباعاً له يخدمونه هم والناس الذين معهم بدلاً عن أخذ الجزية ، وهم كما يلي :

ملك "شاردون" "Shardon"

ملك "جولينا" "Joulina"

ملك "لاجون" "Lagon"

ملك "ماروندا ران" "Marondaran"

ملك "كودستان" "Codestan"

ملك "لورسيس" "Lorsis"

ملك "كالور" "Calore"

ملك "فيرين" "Ferine"

ملك "باريزيل" "Barisil"

ملك "جازيران" "Jaziran"

ملك "مويجا " "Mouija"

ملك "كامورابيا" "Camorabia"

ملك "كافولانج" "Cavolang"

ملك "كاندار" "Qandar"

ملك "لار" "Lara"

ملك "جاران" "Jaran"

بالإضافة للعديد من الملوك والضباط من الرتب العالية والدخول المرتفعة (sic) الذين لا يدفعون جزية بل يقدمون ويدينون له بالولاء ، وهم :

"دورميسكان" : ثلاثمائة ألف "كروزادو" .

"ايستاو" : خمسة وثلاثون ألف رجل على الحدود التركية .

سلطان قدير : مراقب أعمال الشيخ ، ثلاثمائة وخمسون ألف "كروزادو" .

"ديوب" : موجود في "كوركونو" مع خمسة وثلاثين ألف رجلٍ ، ثلاثمائة ألف "كروزادو" .

الضباط ذوو الدخول الصغيرة وقلة من الأشخاص هم :

عامر سلطان

"زيرنيلان"

"كونا سلطان"

"كولا سلطان"

"إِدوم سيت"

"فاكوما بيسنت"

"كالور بيك"

"فيليجان بيك"

"جيل خليفة"

"كارو شيك"

"عيسى فوبيك"

"محمد بيك"

"نور البي بيك"

"أرسين مورسان" "Morsan" ، شقيق "دورميسكان" وابن أخت الشيخ إسماعيل

"كونابيسا" "Conabisa"

"فارين بيك"

محمد بيك ، ابن شقيق آخر للشيخ إسماعيل

"علي بيك ميرزان"

"كولتان محمد نيرزا"

"جراس بيك "

"كورتيبباس"

"بالي بيك"

"دال نوسين"

"كيليش بيك"

"بيكاسا بيك"

"كامر أجولين"

"بيديجان بيك" كبير "الياوران" للشيخ

"محمد اليفا" مسؤول الإسطبل

"علي بيك"

"يس بيك"

"بارين بيك" ، كبير الصيادين

"تارون تاكالي"

"أمية بيك"

"سلطان كورونا"

"روشتان بيك"

"كوبار بيك"

"جاروسين بيك"

كان أولئك لقادة معهم رجال وأدوا للشيخ إسماعيل دخلاً ما بين خمسين أو ستين ألف "كروزادو" ، لذلك عندما غادر رجالنا معسكر الشيخ متجهين إلى "تبريز" على مسافة مسيرة تبلغ ستة أيام عبروا الكثير من البلدات والقرى وأراض شاسعة من الريف بها الكثير من الحيوانات وحقول العنب ومزارع الخضروات وبساتين الفاكهة ، على بعد نصف فرسخ من المدينة خرج القائد لاستقبال السفير مع حشد ضخم من الناس على ظهور الخيل .

عند الوصول إلى المدينة أخذوا للسكن في بعض منازل الحاكم ، وتقع تلك المنازل في بستان تفاح هائل ، وكانت كلها مصبوغة باللون

الذهبي والأزرق ، تحيط بها أواعي مليئة بالمياه وثلاثة من الصهاريج التي عليها نقوش مع حماماتها ، حيث قدمت لهم وجبة عشاء غنية من قبل القائد .

قضوا خمسة أيام بمنتهى البذخ ، أعد فيها كل شيء على حساب الشيخ .

تتكون هذه المدينة المليئة بالسكان من مبان ضخمة ورائعة ومنازل تدل على الثراء والجمال ، يعيش العديد من الأرمن هنا وهم يحتفلون بقداسهم على النحو التالي :

المضيفون لهم مثل هيئتنا إلا أنهم ليسوا نحيلين جداً ، يرفعون خبز القرابين مرتين وكأس القربان مرة واحدة بنفس الطريقة التي نفعل بها ذلك ، عندما يرفعون خبز القربان يتجهون نحو الناس مثلما عندما نقول : "صلّوا أيها الإخوة" ، ولا يستديروا من حولهم مرة ثانية سوى في هذه المناسبة ، يستقبلون العشاء الرباني مثلنا ، كل أردية الكهنوت وكل زينتهم مثل التي لنا تماماً ، عندهم أيقونات من الرخام موضوعة على قطعة مذبح من التي يُصلى فيها على المسيح .

على بعد عشرة فراسخ من هناك مدينة بها ألفا أرميني عوملوا بطريقة سيئة من قبل الملوك السابقين ، عندما بدأ الشيخ الحكم عوملوا بطريقة جيدة وكريمة ، فهم يحتفلون بعيد الفصح مثلنا ويقدمون الاعتراف مثلنا ، أيضاً يقدمون مراسم الكفارة ويصومون بطريقة جيدة .

في مدينة تبريز هذه هناك حوالي ستة عشر ألف منزل ، يبلغ طولها (المدينة) بالتقريب فرسخين وفرسخاً عرضاً وليست لها أسوار يحدها ، كانت مدينة يقطنها مائتان وخمسون ألف نسمة ، ولازال بها منازل قديمة غاية في العظمة ، جعل منها الشيخ إسماعيل قاعدته الدائمة ؛ لأنها كانت جيدة التزود بالمواد والمؤن التي تكثر بها .

غادروها إلى هرمز عبر طريق سياحي آخر يمتد عبر الكثير من البلدات الصغيرة والقرى ذات الأراضي المزروعة بالمحاصيل وقطعان ضخمة من الماشية ، حتى وصلوا إلى مدينة كاشان ، حيث قضوا أسبوعين حتى وصول رسالة من الشيخ إسماعيل .

ذهبوا من هناك إلى مدينة فارجين ، ومنها إلى مدينة "شيراز" عبر طريق به الكثير من البلدات الصغيرة وقلاع وقرى بها العديد من بساتين الكروم وحقول التفاح والخضروات والماشية .

قضوا أيضاً أسبوعين على الطريق منذ لحظة مغادرتهم "كاشان" إلى مدينة "شيراز" ، ليس بسبب طول الرحلة كان يبلغ طولها خمسون فرسخاً لكن على اعتبار الكثير من العواصف الثلجية التي واجهتهم هناك ، وبسبب تلك المناسبة ، فإن الطريق الوحيد لإحراز تقدم كان باستخدام المجاريف لشق ممر .

عند المدخل إلى شيراز خرج رئيس الوزراء مع حوالي سبعين فارساً لاستقبال السفير ، وأُخذوا إلى بعض المنازل الكبيرة حيث قدمت لهم كل الأشياء الضرورية والعناية بهم .

بينما كانوا في المدينة وصل إلى هناك حاكمها سلطان كبير ، كان بعيداً منذ فترة طويلة ، لذلك خرج كل السكان رجالاً ونساءً في فرح عظيم وسعادة بالغة لتحيته واستقباله ، عند وصوله بعث بثلاث حمولات من الفاكهة وكل أنواع الحلويات ، بعد يومين منحهم وليمة وحفلاً امتد من نصف النهار إلى منتصف الليل وقدم لهم ملابس حسب ذوقهم ونوعية لبسهم .

كانت مدينة شيراز ضخمة ، وبها العديد من المباني العظيمة الكثيرة ، كل الذين ولدوا هناك ادّعوا أنه كان بها ثلاثمائة ألف نسمة ، لكن بها الآن ثلاثمائة ألف وخمسمائة نسمة ، أخطروا أنها عندما دمرت بقي فيها فقط منزل واحد من كل ألف منزل ، قضوا أحد عشر يوماً هناك في انتظار سفير الشيخ الذي كان مريضاً .

غادروا من هناك ، وفي أثناء سفرهم ذهبوا إلى مدينة "لار" ، والتي كانت أيضاً كبيرة وغنية ، كانت محاطة تماماً بأسوار وأبراج ، مزينة بحجارة منحوته وأبراج مكعبة ، كانت المنازل كثيرة ، وبنيت بطريقة جيدة ، كان الملك من العرب وأحد أتباع الشيخ إسماعيل ، كان الكل يحملون شعاره ، كانت لار مركزاً هاماً لتربية الخيول والماشية .

استعملت عملات "التانجاس" و"اللارينز" عبر كل الهند ، حيث تُسكّ تلك العملة هناك ، كان الحصول على المياه يتم من الآبار .

غادروا من هناك وذهبوا إلى الميناء وأخذوا السفن من هناك ووصلوا إلى هرمز سالمين .

وفي العام نفسه (١٥١٥م)

جاءت أحداث نهاية عام ١٥١٥م ، كما وردت في كتاب : "عقود آسيا" "Da Asia Nova" ، للمؤرخ البرتغالي "جواو دي باروس" "Joao de Barros" ، العقد الثاني ، الكتاب العاشر ، في الفصلين السابع والثامن ، تروي تلك الأحداث الأيام الأخيرة "لأفونسو دي البوكيرك" "Afonso de Albuquerque" حتى وفاته ، حيث توفي في السادس عشر من شهر ديسمبر عام ١٥١٥م : (٣١)

(نص مفقود)

مهاجمة تلك المدينة ، شيخ إسماعيل بعد مغادرة الأتراك جاء بالكثير من الناس إلى "تبريز" ، حيث تسبب في الكثير من الأضرار للأتراك الذين ما زالوا هناك كحامية ، وللفرس الذين لم يدافعوا عن أنفسهم .

---

(٣١) رقم الوثيقة والهامش.

بعد سنة من ذلك ، بعث "أفونسو دي البوكيرك" "فيرناو جوميز دي ليموس" كمبعوث ، وعلى أساس هذا الابتعاث ابتعدنا عن التواصل في الموضوع ، لأن لدينا القليل لقوله عن الآخرين ، الذين أرسلوا فيما بعد من قبل الحكام ، كما أن لدينا القليل لنقوله عن العوامل الجغرافية عندما نتحدث عن وضعهم الحالي .

الفصل السابع :

من بعض نشاطات "أفونسو دي البوكيرك" في هرمز ، عن العائد المالي ، وحالة تلك المملكة ، وعن منصرفات الملك الشخصية وعن أهل بيته .

بعد إرسال "فيرناو جوميز دي ليموس" في هذه البعثة إلى شيخ إسماعيل ، شغل "أفونسو دي البوكيرك" نفسه بحكومة الأقاليم والانتهاء من بناء القلعة ، قام بتعيين "بيرو دي البوكيرك" ابن "جورجي دي البوكيرك" كقائد لها ، "فاسكو فيرنانديز" ، ابن "جورجي دي ميلو" كعمدة ، و"مانويل دا كوستا دي ألوسير دو سال" كمدير .

كان الملك يدين له بمبالغ ضخمة من سنوات ماضية ، عن الخمسة عشر ألف "أشرفي" كجزية فرضت عليه من قبل "أفونسو دي البوكيرك" ، لم يؤد سوى عشرة آلاف "أشرفي" ، مدعياً أن نائب الملك "دوم فرانسيسكو دا ألميدا" قد أخذ منه الخمسة آلاف الأخرى .

أبرز الشرط الذي وضع في الوقت الذي كان فيه "أفونسو دي البوكيرك" في "كانانور" ، تحدث السفير "نيكولاو فيريرا" عن الموضوع ، كان صعباً عليه سداد ذلك الدين ، لذلك سلم كل المدفعية التي كانت في حوزته ، وأخذ "أفونسو دي البوكيرك" كل تلك المدفعية قائلاً إنه يحتاجها ليضعها في القلعة التي يعتمد عليها الدفاع لكل المدينة .

وصلته الإشاعات من مصادر إسلامية عديدة أن أسطولاً عظيماً للسلطان قد غادر السويس ، كانت تلك الإشاعات كاذبة وقد انتشرت بواسطتهم ضدنا ، قدموا لـ "أفونسو دي البوكيرك" ذريعة ليأخذ كل المدفعية التي بحوزة الملك .

لم تصبح للملك سلطة على أي شيء ، أصبحت كل المدفعية تحت سيطرة ريس نور الدين ، والحاكم وكل موظفي الخزينة الملكية والريس حامد ، وأصبح واضحاً لـ "أفونسو دي البوكيرك" قبل أن يستولي على حكومة المملكة ، أنهم الوزراء ذوو السلطة المطلقة ، ومن بينهم بعد وفاة ريس حامد ، من سيستولي على كل شيء .

بالرغم من أنهم أدركوا بعد مطالبتهم للجزية التي كان يدين بها الملك منذ السنوات الماضية ، طالب "أفونسو دي البوكيرك" ببيان مفصل عن كل مصادر العائد المالي للمملكة ، كما طالب بالمدفعية وأيضاً أن يصدر بيان بمنصرفات الملك ، مثّل ذلك مشكلة كبيرة لهم ، وبدا لهم أن ما طلبه "أفونسو دي البوكيرك" هو أن يحول

مسؤولية تحصيل عائدات المملكة للموظفين الذين معه في القلعة وشيئاً فشيئاً يقوم بعزلهم من مواقعهم .

أقنعوا الملك بهذا وحاولوا إفهامه أنه مهما كان الحاكم الذي معه سيئاً فإنه وتحت إدارته ، سيكون للملك على الأقل السيطرة على ما يملكه ، ستستهلك تلك القلعة كل أملاكه ، وهي تحت رحمة الرب .

بقولهم ذلك بدا وكأنهم يهتمون لأمر الملك شخصياً ، أملاكه وخزينته ، عزلوا من كل سلطة لهم في المملكة حيث أصبحوا فيها بينهم يتلقون أكثر من مائتي ألف "أشرفي" التي رصدت في حسابات الملك وأيضاً نفقات أخرى لم تحسب في حسابه .

بخصوص مبلغ المائتي ألف "أشرفي" التي كان على علم بها ، كان الملك في الحقيقة يتلقى أقل من النصف ، وكان هذا كافياً للملك لينفقه على مملكته كما كان يرغب ، بذلك لم يحرر فقط "أفونسو دي البوكيرك" أولئك الملوك في هرمز من طغيان حكامهم ، لكن جعلهم أيضاً أسياداً لما يملكون ،

قبل أن نواصل ، من المناسب أن نقدم بياناً خاصاً عن حالة مملكة هرمز وعن عائداتها المالية ، لأننا لو فهمنا كيف كانت هي ضخمة ، وكيف كان الفساد مرعباً ، وكيف أن الجزية المفروضة على الملك من قبل "أفونسو دي البوكيرك" كانت قليلة جداً ، فإننا سندرك

أن ملك هرمز ، كونه أحد أتباع الملك دوم مانويل لم يكن واقعاً تحت أي ضغط أو اضطهاد ، بل تلقى العون والمساعدة ، إن كان فساد أولئك الحكام التابعين له قد استمر ، أو لو تأخر "أفونسو دي البوكيرك" في إنقاذ الملك منها ، لما كان بقي من شيء من منزل "Gordunsha" أول مؤسسي مملكة هرمز .

بناءً على ما رأيناه في أحد الدفاتر التي تسجل فيها العائدات المالية ونفقات المملكة ، كانت العائدات تتألف من طريقتين : الأولى عن الضرائب المفروضة على البضائع التي تدخل أو تخرج من مدينة هرمز .

الشكل الآخر للعائدات كان من المحاصيل والجزيرة والضرائب التي على الأراضي وأيضاً من جزء من الجزيرة العربية وفارس ومن جزر معينة في البحار تقع عند مدخل المضائق .

كانت العائدات المفروضة على دخول المدينة تجبى عن طريق الجمارك بطريقة منتظمة في مواقيتها تصل إلى مائة "أشرفي" (تعادل ثلاثين "contos" من عملتنا) ، الضرائب الأخرى التي تجبى في المدينة تبلغ واحداً وأربعين ألفاً وثلاثمائة "أشرفي" .

أما العائدات التي تحصل من الجزيرة العربية وفارس فتجبى عن المدن والمناطق عند الموانئ البحرية وبعض مناطق الداخل ، المسؤولون مثل المشرفين "almoxarifado" (وهم المحصلون الذين

يجمعون العائدات من المناطق) هم من لهم السلطة على كل الآخرين في مناطقهم ، الحكام الذين يعمل تحتهم أولئك المسؤولين يسمون (رئيس وزراء) "guazil" وتسمى مكاتبهم "guazilado" .

أكثر تلك المناطق أهمية على ساحل الجزيرة العربية هي بلدة "قلهات" التي تعطي عائداً يبلغ تسعة عشر ألفاً ومائتي "أشرفي" ، "قلهات" لوحدها أحد عشر ألف ، مسقط أربعة آلاف ، صحار ألف وخمسمائة ، "دبا" خمسمائة ، الحسا (؟) سبعمائة ، "جلفار" وهي مكتب آخر لرئيس الوزراء في هذا الجزء من الجزيرة العربية ومع كل منطقتها تجمع سبعة آلاف وخمسمائة "أشرفي" .

بهذه الطريقة ، فإن كل الجزيرة العربية تورد للخزينة ثمانية وعشرين ألف "أشرفي" ، وهذا لا يشمل العائد المالي من مدن القطيف أو جزيرة البحرين المجاورة التي تقع داخل المضيق لأنها كانت في ذلك الوقت في حالة ثورة ضد ملك هرمز .

هذا العائد المالي لم يكن مؤكداً ، ولكنه كان ضخماً ، كما سنرى فيما بعد عند وصفنا للمضيق .

في أرض فارس يوجد مكتب لرئيس الوزراء في "ميناب" حيث يقام سوق يستمر طيلة حصاد محصول التمور في "موغستان" ، والذي يبدأ في مايو حتى أغسطس وتجبى منه ألفين وخمسمائة "أشرفي" ، هناك مكتب آخر في مدينة "مونجانام" تتجمع منه ثلاثة

آلاف وخمسمائة "أشرفي" وهناك أيضاً مكتب في "باستردة" ، وهي تقع أسفل سلسلة جبلية عند حدود المملكة ويحصل منها على ألف "أشرفي" .

أما قرى "Dajaizah" ، "Darduzeh" ، "Biaben" ، "Barakoh" ، "Rudoreh" ، و"Keringon" التي تقع في "موغستان" فيحصّل منها عائد قدره أربعة آلاف وخمسمائة "أشرفي" والضرائب التي تحصل من الجمال التي تباع هناك ألف وخمسمائة ، وبخلاف كل ذلك هناك موانئ "Kuzteh" التي تورد ثلاثمائة ، "Chakoa" سبعمائة وخمسين ، "Braini" ألف ، "Dukat" ثمانمائة ، "Agon" ألف وخمسمائة وتعود إلى الميناءين الأخيرين قوافل جمال من فارس .

بهذه الطريقة ، فإن مناطق فارس تورد سبعة عشر ألف وسبعمائة "أشرفي" والتي وبالإضافة للجزء من الجزيرة العربية نفسها يصل إجمالي عائداتها إلى ٣٨,٠٧٨ "أشرفي" ، وهذا لا يشمل ما تحصله الجزر لأنها الآن تنفق تقريباً نفس المبالغ التي تجمعها .

كان هذا هو الحال في العام ١٥١٥م . ، وفي سنوات سابقة كان الوضع تقريباً هو نفسه .

حتى تعطي فكرة عن أسلوب الحياة لأولئك الأمراء فنشير إلى كيفية إنفاق تلك العائدات حتى في أشياء تافهة أو سرية ، سنقدم هذا الحساب عن طريق عملة الـ "Leques" وهو أسلوب عددي

يستخدم في تلك البلاد ، وأيضاً عن طريق عملة "أشرفي" ، "أزار" ، "كانديل" و"دينار" التي هي عبارة عن عملات معدنية ، هذا حتى لا نبتعد عن الحساب الذي حصلنا عليه من تلك المواضيع التي أخذت من دفاتر خزينة ملك هرمز .

"الليكو" يتكون من خمسين "أشرفي" ويساوي الأشرفي ثلاثمائة ريالاً بعملتنا ، تساوي اثنين أزار اثنين "أشرفي" وعشرة "كانديل" تساوي نصف "أشرفي" ، يوجد مائة دينار في الـ "كانديل" .

في تقرير الحسابات وباستخدام تلك الأعداد والقيم ، فإن الملك أنفق كل سنة على مطبخه أربعة وعشرين "ليكو" على حب الهال ، بذرة الفوفل والقرنفل التي تضاف لعمل أطعمة شهية ، وأيضاً إلى بعض المشروبات التي يتناولونها من وقت لآخر لتهدئة المعدة ، تساوي واحد ونصف"ليكو" ، عن نفس الأشياء خلال السنة على ماء الورد ، الخل المعطر والرمان اثنان "ليكو" .

على الحلاق الذي يحلق له خمسين "أزار" ، أربعون "أزار" تصرف على الأقمشة التي توضع على المصابيح التي تكون في حضرة الملك ، الزيت الذي يوضع في الشمع للإضاءة وللاستخدام داخل المنزل يبلغ ستة "ليكو" واثنين وأربعين "أزار" ، خمسة مشاعل تظل مضاءة في القصر تنفق ستة "ليكو" وثلاثة "أزار" ونفس المبلغ على خمسة عبيد يحملونها .

للعطور وروائح أخرى اثنان ونصف "ليكو" وثمانية "كانديل" ، الصوف والقطن التي تعبأ منها المراتب والفرس والوسائد تُنفق عليها ثمانون "أزارا" ، على السكر "ليكو" واحد وعشرون "أزارا" ، على المياه التي تستخدم في المنزل والإسطبلات والتي تجلب من البر الرئيس على المركب مبلغ ستة "ليكو" .

مصروفات الملابس لشخصه والسترات التي يقدمها للنبلاء والسفراء ، بالإضافة لنفقة خياطتها مبلغ مائة واثني "ليكو" ، ونصف "ليكو" على الزركشة التي تصنع في أطراف العمائم التي يضعها على رأسه ، وخمسون "أزارا" على عمل أغطية للرأس لحمايته ضد البرد ، نفقات على ملابس زوجاته والجاريات والخادمات خمسة عشر "ليكو" ،

ينفق في احتفالين يقوم بهما الرعاة الذين عنده وهي المناسبة التي يقدم فيها الطعام لبعض الناس أربعة "ليكو" ، وثلاثة "ليكو" على احتفالات القمر في شهر مايو وسبتمبر التي يحتفل بها الكهنة ، عشرون "ليكو" على مناسبات معينة عندما يخرج الملك للصيد في مكان في جزيرة تسمى "طوروم بيك" حيث يقدم الطعام لرفقائه في الصيد .

على الصقور والنسور والصقارين الذين يحتفظ بهم في "موغستان" "Mugostan" تسعة "ليكو" ، اثنان "ليكو" وأربعة "أزار" على حديقة خضروات يملكها في مكان يسمى "بروكو" ، خمسة عشر "ليكو" تصرف على الخيول ، وستة وثلاثون "ليكو" لعلفها ولإعداد مراعي لها في فصل زراعة العشب .

"ليكو" واحد لحدوات الخيول وآخر للجامات لأطقم الفرس والسروج العادية وللعبيد الذين يقومون بتدريب الخيول ، خمسة عشر "ليكو" على الخيول الذي يمنحها عادة لبعض نبلاء "موغستان" .

عشرة "ليكو" كمكافآت لأشخاص يعملون في منازله ، وعشرة أخرى لأرامل الموظفين الذين كانوا يعملون عنده ، وخمسة لفقراء آخرين ينتظرون عند بوابته يلتمسون عطفه ، صدقات كثيرة أخرى على رجال دين ومن سلالة النبي محمد وصدقات أخرى على أرواح من فارقوا الحياة تبلغ اثني عشر "ليكو" .

أربعون "ليكو" وثمانية وثمانون أزار للستة وأربعون من رجال الدين الذين في مساجده كرواتب لهم ، ثلاثة "ليكو" وستون "أزار" لآخرين يقومون بالصلاة بصورة دائمة على روح والده المتوفي ، لرئيس وزرائه والحاكم ولخمسة خيول في حوزته خمسون "ليكو" كراتب سنوي واثنان "ليكو" للمياه التي يستخدمها في منزله .

لشراء العبيد مبلغ عشرة "ليكو" ، ثلاثة "ليكو" على السفراء عند وصولهم إلى ميناء بندر "أنغون" ، عشرون "ليكو" مكافآت عادية ، ثلاثة وثلاثون "ليكو" على طعام العبيد ، الذكور والإناث الذين كانوا لملوك سابقين ، خمسة "ليكو" على الراقصين ، ولسائقي البغال الذين يتقدمونه عندما يكون راكباً مبلغ "ليكو" واحد واثني عشر "أزار" .

نفقات الحدادين الذين يعملون عنده "ليكو" واحد ونصف ، على قارعي الطبول في القصر نفس المبلغ ، على اثني عشر من أعضاء اللجنة الأمنية الذين يعملون بنظام المناوبة ليلاً وعلى قائدهم ستة "ليكو" ، على عمال الصبغة خمسون "أزار" ، على أربعة في منزلة يتكلف عشرة ليكو ، نفقات ملابس والدته عشرة "ليكو" .

لإعاشته الخاصة وإعالة أقربائه مائة وأربعة وأربعون "ليكو" ، عشرة على خمس خادمات ، على ست ممرضات وأشخاص يقومون بالعناية على أطفاله ثلاثة وعشرين "ليكو" ، الرواتب لموظفيه والنبلاء حوالي مئتين وخمسين "ليكو" ، نفقات أخرى هامشية خمسة "ليكو" ، خمسة وعشرون تمنح لأشرطة الزينة .

ما يبقى بعد خصم تلك النفقات يوضع في خزينة الملك ، ولو لم يكن الأمر يتعلق ببعض الامتيازات التي تتم رسمياً لجيرانه ، كأن سيكون لهذه المملكة ضعف هذه العائدات ، لأن ملك فارس في هذا الوقت كان شيخ إسماعيل ، هو ومعه زوجته وأطفاله والسفراء مهما أدخلوا أو أخذوا معهم خارج هرمز لم يكن عليهم من سداد أي رسوم مهما بلغت ، وتلك أيضاً كانت الحال بالنسبة لملوك "لاراك" و "شيراز" و "مكران" وشيوخ البصرة والقضاة والـ "Raxel" ولنا نحن من البرتغاليين بعد أن أسسنا القلعة هناك .

الفصل الثامن :

كيف بعث "أفونسو دي البوكيرك" بـ "دوم جارسيا دي نورونها"

لإحضار حمولة التوابل إلى هذه المملكة ، وكيف بعد مغادرة "دوم جارسيا دي نورونها" لـ هرمز سقط "أفونسو دي البوكيرك" مريضاً مما كان معه من الأفضل له أن يغادر إلى الهند ، وأيضاً عن الأحداث في الطريق إلى "غوا" حيث توفي هو .

استنتج "أفونسو دي البوكيرك" أن الوقت قد حان لإصدار الأوامر بخصوص حمولة التوابل المقرر إرسالها لهذه المملكة (البرتغال) ، أراد ابن أخيه "دوم جارسيا دي نورونها" الحضور تلك السنة ، لذلك وضعه "أفونسو دي البوكيرك" على قيادة الأسطول وبعث به إلى "كوتشين" لإيصال التوابل حتى يكون كل شيء معداً عندما تصل السفن من البرتغال ، ومنحه "أفونسو دي البوكيرك" كل السلطة التي تمكنه من القيام بإيصال التوابل بأفضل وسيلة .

في اليوم الذي غادر فيه "دوم جارسيا" بناءً على وصية ملك هرمز ، أمره "أفونسو دي البوكيرك" أن يضع في سفينته "البيليم" "Belem" كل أقرباء الملك المكفوفين وزوجاتهم وأطفالهم وخدمهم ، وقد تسببوا في كثير من الاضطراب في المنطقة .

كتب "أفونسو دي البوكيرك" للموظفين في "غوا" طالباً منهم إعطاءهم منازل وكل الأشياء الأخرى التي قد يحتاجونها على حساب خزينة الملك ، ملوك هرمز عادة يقومون بإعماء عيون من ينتمون إلى عائلاتهم ، الأخوة والأقارب الذين قد يرثون المملكة يعيشون جميعاً على الجزيرة التي كانت صغيرة جداً لتحتمل

هذا العدد الكبير من الأمراء ، ولمنعهم من القيام بأي اضطرابات ومشاكل ولتفادي التمرد الذي سببه العديد منهم لم يجد الملك وسيلة أفضل لتأديبهم سوى بحرمانهم من نعمة البصر بوضع أسلاك حامية أمام أعينهم .

حالما غادر "دوم جارسيا" في نهاية أغسطس قضى "أفونسو دي البوكيرك" جلَّ وقته في وضع اللمسات الأخيرة لتأمين القلعة ، وضع تدابير وإجراءات ليبقى أطول مما قدر هو في الحقيقة ، لكن في الخامس عشر من شهر سبتمبر سقط مريضاً بـ "الدوزنتاريا" التي أصابته منذ بداية أغسطس ، بما أنه كان رجلاً عنيداً واهتم قليلاً بشخصه ، فقد لازم سريره عندما لم يكن قادراً على شيء خلاف ذلك ، ولأن المرض كان ذا طبيعة لا تحتمل استقبال أي زوار ، وكان شديداً ، استمر لأحد عشر يوماً .

كانت هناك شكوك بأنه قد توفي فوجد أنه من الأفضل أن يلتقي بكل أولئك الذين رغبوا في الذهاب لرؤيته ، وفي يوم شعر فيه بالتحسن ، وليتأكد من أن المدينة لازالت تحت حماية جيدة ، ولأن الكثير من إجراءات الدفاع فيها لم تختبر ، بعث لكل ضباطه ، كان يخشى حدوث أمر ما واحتمال أن تكون هناك نزاعات بيننا فيمن سيخلفه .

أشار للضباط بالوضع الذي هو فيه ، وأن المرض الذي يعاني منه في غاية الخطورة لرجل في مثل سنه ، وتلبية لإطاعة ما يحس

به ضميره ولخدمة سيده الملك أراد أن يعين شخصاً ليخلفه في منصبه في حالة وفاته ، وحتى الوقت الذي يراه سيدنا الملك مناسباً لتدبر الأمر .

طلب من الضباط كرجال أوفياء ومؤمنين بالله ومخلصين في خدمة الملك أن يوافقوا على الترشيح الذي يود أن يعلنه وأن يثقوا في خبرته خلال حياته ، ومن هذا الوضع في هذه اللحظة أن على الرجال عدم الكذب على الله ولا لملكهم ،

قال ذلك وأشياء أخرى كثيرة أثارت مشاعر كل الضباط حتى إنه عندما انتهى وعدوه جميعاً بالدعم في كل ما يفعل ، ثم عرض بعد ذلك وثيقة صبغت لصالح "بيرو دالبيوم" ، لكن سراً ، والتي أصبحت أدلة فيما بعد بأنه عين ابن أخيه "بيرو دي البوكيرك" ، عاد مرضه وأصابه بشدة ، وبناءً على نصيحة أطبائه الذين قالوا إنه سيتحسن إذا ذهب للبحر ، فقد قرر العودة إلى الهند .

عندما تلقى ملك هرمز هذه الأنباء جاء لرؤية "أفونسو دي البوكيرك" مبدياً أسفه على مغادرته ، وقد عامله "أفونسو دي البوكيرك" كابن أحبه كثيراً ، لكن أيضاً كملك احترمه كثيراً وقد عمل كثيراً على شؤون الدولة وترتيب أمورها .

عندما جاء الملك لرؤيته بكى كثيراً قائلاً إنه سيشعر بكثير من الضعف والحاجة إليه وإنه يخشى على حياته لأنه لا يعتقد

أن "ريس" حامد سيعيش طويلاً ، أجاب "أفونسو دي البوكيرك" بأنه يترك ابن أخيه هناك لحراسته والدفاع عنه ، وكأنه سيده ملك البرتغال ، وقال أشياء أخرى كثيرة ليخفف ويواسي بها الملك .

ذهب الملك لكنه أراد العودة مرة أخرى لزيارة "أفونسو دي البوكيرك" ، لكنه اعتذر قائلاً إن مرضه جعله غير قادر على استقبال الأمراء ، وقبل أن يكون البحر هو أفضل علاج له حيث اشتد عليه المرض كثيراً أثناء وجوده على اليابسة .

في أحد الأيام ساعة القيلولة في هدوء وسرية صعد على سفينة "دييجو فيرنانديز دي بيجا" ، كان التحدث للناس أمراً متعباً له الآن ، ولذلك سلم سفينته "نازاري" إلى ابن أخيه "فينسنت دي البوكيرك" طالباً منه أن يجمع كل النبلاء وعمال الملك ويقيم لهم وليمة كما كان يفعل هو عادة .

أرسل في المقدمة القبطان "سيماو دي اندراد" على السفينة "إنكسوبريجاس" إلى "قلهات" ليرفع بعض الخيول التي كان قد أمر بشرائها لحراس مناطق تحصيل العائدات المالية في "غوا" ، صحب معه "إيريس دا سيلفا" الذي كان مغادراً كقائد بحري لقلعة هرمز ، وسفينتين شراعيتين واثنتين من السفن التجارية الكبيرة "غاليوت" ، وذهبوا لرؤية ساحل "قلهات" التي أصر "أفونسو دي البوكيرك" على الوصول إليها .

عندما علم ملك هرمز بالطريقة التي غادر بها خشي أن يكون قد توفي وهو على ظهر السفينة ، ولأنه كان متيقناً من ذلك بعث "حسن علي" مع زورقين صغيرين محملة بالمواد خلفه لزيارته ومعرفة حقيقة ما كان يخشاه .

تلقى "أفونسو دي البوكيرك" أخباراً استخباراتية بذلك بينما كان في "قلهات" في يوم كان مرضه قد خف قليلاً ، عندما رأى حسن وكان رجلاً يعرفه جيداً وأدرك أن الملك قد أرسل حسن كإشارة لذكرياته السعيدة فرح "أفونسو دي البوكيرك" كثيراً حتى بدا وكأنه أفضل حالاً وأحسن صحة .

عندما عاد حسن إلى هرمز أفاد بأن "أفونسو دي البوكيرك" قد استعاد كامل صحته ، لكن بعد مغادرة حسن لـ "قلهات" اشتد مرضه كثيراً حتى إن "أفونسو دي البوكيرك" أبعد "ايريس دا سيلفا" ، ولم ينتظر "سيماو دي اندراد" لكنه وجه مقدمة السفينة نحو سواحل الهند ، في عصر ذلك اليوم شاهد سفينة فأرسل إليها "أفونسو دي البوكيرك" بمركب شراعي احتفظ به لإرساله لتسليم الرسائل .

جاء إليه بالضابط ورئيس البحارة والقبطان ، وعند وصولهم بقي معهم لوحده ، أفهمه "ألكسندر دي أتيد" أنه سمع من المسلمين بعض الأخبار الاستخبارية التي أزعجته وتتعلق بأمور قد تثير غضب "أفونسو دي البوكيرك" ، جعلهم "أفونسو دي البوكيرك"

يقسمـــون عـــلى الإنجيل بعدم إخفاء أي شـــيء قد تحدث به أولئك المسلمين .

بدأ بعد ذلك بسؤال المسلمين من أين جاؤوا؟ وما هي الأخبار الواردة من الهند؟ قالوا إنهم جاؤوا من "ديو" وأن اثنتي عشرة سفينة قد وصلت من البرتغال بقيادة "لوبو سوريز" "Lopo soares" ، تأكدت تلك الأخبار في رسالتين سلمهما له المسلمون وقد تضمنت معلومات معينة لن يستطيعوا هم إفشاءها لسيادته ، لأن إحداها كانت من "سيد علي" خادمه المتواضع والأخرى من سفير شيخ إسماعيل الذي كان في "كامباي" .

في الرسالة التي بعث بها "سيد علي" لم يعين "لوبو سوريز" كقائد وحاكم فقط على الهند ، لكن قادة السفن والقلاع ونبلاء آخرين أيضاً حصلوا على مناصب .

عندما قرأ "أفونسو دي البوكيرك" هذه الرسالة بدأ يخشى أن تتسبب تلك المعلومات في التأثير على الترتيبات التي وضعها في هرمز حيث كانت السفينة متجهة .

أخذ الرسائل من أولئك الرجال ، والتي جاؤوا بها من "ديو" ، ولهذا السبب جعلهم يؤدون القسم ، كما سلمهم رسائل لابن أخيه "بيرو دي البوكيرك" شارحاً له كيف يتصرف .

شكر المسلمين لما قاموا به وصرفهم وبقي لوحده مع "دييجو

فيرنانديز" و"بيرو دا البويم" ، ثم قرأ رسالة "سيد علي" مرة أخرى ، في النقطـة الـتي ذكـر فيها أن "لوبو سوريز"سيصبح قائداً ، قال "أفونسو" : "لوبو سوريز" سيكون قائداً للهند ، هذا هو ما يجب أن يكون ، وليس بخلاف ذلك ، لكن "دييجو ميينديز" و"دييجو بيريرا" اللذين أرسلتهما للملك كسجناء عن الجرائم ووكيل تجاري في "كوتشين" والآخر كوزير ،

حان الوقت بالنسبة لي أن أسلم نفسي للكنيسة ، ولذلك أجد نفسي في خلاف مع الملك للحب الذي أكنه للرجال ، وعلى خلاف مع الرجال من أجل الحب الذي أكنه للملك .

رفع يده للرب وقال إنه يقدم شكره ويدعو الرب أن يبعث الملك بقائد في هذا الوقت لأنه في الحالة التي هو فيها لم يبق له من العمر إلا القليل في هذا العالم ، وبدأ يردد : حان الوقت لأقضي بقية حياتي في كنيسة ،

شعر بكثير من السرور عند قوله ذلك وأنه غير راغب في الطعام ولا المرح أو ملذات الحياة التي حاول "دييجو فيرنانديز" و"بيرو دا البويم" يلهياه بها ، لأنهما أدركا أن روحه تضعف نتيجة لمرضه وللأخبار التي تلقاها الآن وأنه كان يأمل في جائزة مختلفة ،

الحادثة التي أضعفته كثيراً حدثت بالقرب من "دابول" حيث التقوا بسفينة كانت ترافق "لوبو سوريز" ، كان الربان وصاحب

السفينة هو "جونيز إمبول" الذي وبناءً على أوامر من "لوبو سوريز" كان في طريقه إلى "ديو" لبيع بضائع ولتحميل ملابس وأخذها إلى "ملقا" ، وطبقاً للعقد الذي معه كان عليه تحميل حمولة أكثر .

قام "جونيز" هذا وبطريقة سرية ونقل إليه فوراً تفاصيل هذه الأمور كانت كالسم لصحته وزعزعت هدوء معنوياته ، رأى "أفونسو دي البوكيرك" أن الملك قد طلب من حكومة الهند أن تتصرف بطريقة مخالفة لما اعتقد هو أن يحدث ، وهذا ومع ما كان متضمناً في الرسائل التي تلقاها سارعت بموته .

بعد مغادرة "جونيز" بدأت على "أفونسو دي البوكيرك" علامات التحول وتدني صحته ، عندما وصل إلى حاجز ميناء "دابول" ، بقي هنا لفترة كافية حتى يؤتى له ببعض كمية قليلة من التين واللفت وأشياء أخرى والتي رفعت قليلاً من حماسته وحيويته .

كان كل شيء قد أثار غضبه ولم تكن له أي رغبة في أي شيء سوى الوصول إلى "غوا" التي سماها أرضه الموعودة ، كان يحدوه الأمل دائماً أن يمنحه الملك جائزة في تلك البلاد لخدماته وتشريفات أخرى .

كان يتوقع ذلك من الرسائل التي كتبها له الملك معبراً له فيها عن رضاه والانتصارات التي منحها له الرب ، بالرغم من أن المعلومات التي تلقاها عن "لوبو سوريز" قد أزالت تلك الآمال ، إلا

أنه مازال يؤمن أن خدماته للملك قُدرت وثُمنت وكان راغباً كثيراً أن يتلقى رسائل من الملك لأنه قد يجد فيها العزاء والأمل ، لذلك لازمه ذلك الحزن والكرب ، كما اقترب الموت الذي بدأ يزحف ليخطف روحه .

أدرك "دييجو فيرنانديز" و"بيرو دا البويم" المعاناة الرهيبة التي يرزح تحتها "أفونسو" وأنه أصبح لا يرى أي أمل في جائزة أو تقدير يمنح له عن خدماته ، وحتى يزيلا عنه ذلك الألم أقنعاه بكتابة رسالة للملك ، وكأنه عندما يفعل ذلك قد يجد الراحة والسلوى ، وحثاه على كتابة تلك السطور التي وجد صعوبة في كتابتها :

"سيدي ، هذه رسالتي الأخيرة التي أكتبها لسموك بما أنني ألفظ أنفاسي الأخيرة ، لقد كتبت لك العديد من الرسائل وأنا في عنفوان حياتي ، وعندما لم يكن يداهمني هذا الاضطراب في هذه الساعات الأخيرة ، وعندما كنت مثابراً في خدمتك ، لقد تركت في هذه المملكة ابني المدعو "براز" ، "دي البوكيرك" وألتمس من سموك أن تجله بقدر عظمة الخدمات التي قدمتها لك ، أما الأعمال التي تتعلق بالهند فأظنها ستتحدث عني وعن نفسها" .

عند وصولهم إلى حاجز "غوا" ، فإنه كان هدفه والرغبة التي كانت تتنازعه الوصول إلى "غوا" ، فقد بدا أن الرب قد قال كلمته فيها وحرمه من النزول إلى الشاطئ وتخليص نفسه من وعده ، لم يبق الكثير من الوقت وأرسل المركب الشراعي في المقدمة للبحث

عن الأخ الكاهن "بادري دومينغوس" ، الأسقف العام الذي جاء لتخليص روحه بالصلاة والدعاء ، ولفظ أنفاسه بعد أن عبرت السفينة الحاجز عند الساعة الخامسة من صباح الأحد من شهر ديسمبر العام ١٥١٥م ، في عمر يبلغ الثالثة والستين سنة .

حتى لحظته الأخيرة كان في كامل قواه العقلية في حديثه وإشاراته ، وأظهر أنه على استعداد لمقابلة الرب ، أمر بأن يقرأ له من "عذابات المسيح" الذي كان يحب قراءته .

أخذ في نفس اليوم من السنة في نعش مغطى بقماش مقصب ووسائد تحت رأسه ، وكان جسده مغطى بثوب أبيض كعادة أخوية "سانتياجو" التي كان قائداً لها ، وبكل علامات فرسان الأخوية ، وحول عنقه حبل من المخمل على رأسه شبكه مذهبة ، عيناه نصف مفتوحتين لكن دون مظهر الفزع الذي يبدو عند اقتراب الموت ، لذلك وحتى عند الموت منحه الجميع الاحترام والتقدير الذي عومل به في حياته .

أخذ الجثمان إلى الشاطئ حيث كان قائد المدينة "دوم جوتيرا مونروي" في الانتظار ومعه كل السادة من ذوي المناصب وسكان المدينة ، وضع الجثمان تحت مظلة أخفته عن الأنظار ، كان البكاء عليه حاراً وصادقاً من جميع الحضور حتى أن رهبان القديس فرانسيس والكهنة لم يتمكنوا من الإطراء على روحه للرب .

الوثنيون "الكناريون" في تلك البلاد عندهم عادة إبداء الكثير من العطف عند ساعة الموت بالبكاء والرثاء ، عندما شاهدوا محياه الذي كان ظاهراً عليه الصدق والأمانة ورزانة الرجال ولحيته التي ابيضّ لونها لتقدم العمر والمعاناة ، فعلوا وقالوا أشياء دفعت جميع الحاضرين في موجة من الحزن والأسى الشديدين .

تأثر الجميع خاصة النساء ، اللاتي ساعدهن على الزواج ، بكثير من البكاء والنحيب والمشاعر الصادقة ، دفن في كنيسة كان قد شيدها عند بوابة المدينة ، وتعرف تلك الكنيسة باسم "سيدة الجبل" "OurLady of the Mountain" ، لأنه كان قد جعلها وقفاً للأسباب التي أشرنا إليها سابقاً ، كان القداس يقام هناك كل يوم ، وأقيم الآن على روحه مستخدمين الأموال التي وضعها لهذا الغرض .

كان هو "أفونسو دي البوكيرك" الابن الثاني "لغونسالو دي البوكيرك" ، سيد "فيلافيردي" وابن السيدة "دونا لينور دي مينزيس" "Donna Leonor Meneses" ، الزوجة ، التي كانت ابنة "دوم ألفارو جونسالفيس دا أتيد" ، "الكونت الأول" لـ "أتوغويا" "Atoguya" ، أثناء حياة الملك "دوم جواو الثاني" كان "أفونسو دي البوكيرك" الفارس الأول .

كان رجلاً متوسط الطول وذا وجه مرح ودود ، كان عندما يغضب تجتاحه مظاهر حزن كأنها تأخذ من كرامته ، كان دوماً يرتدي لحيته الطويلة ، وبما أنها كانت بيضاء ، فقد جلبت له الكثير من الوقار

والاحترام ، كان شديد الذكاء والفطنة والأقوال الحميدة ، عندما كان قائداً وتداهمه بعض العوائق كان يلقي بتلك الأقوال فيسبب الكثير من التسلية والمرح بين الذين في رفقته .

كان يتحدث ويكتب بطريقة رائعة لمعرفته ببعض اللغة اللاتينية ، كان حكيماً وداهية في الأعمال التي يقوم بها ، وكان يعرف كيف يقنع الآخرين بوجهة نظره الخاصة .

كان يحفظ الكثير من الأمثال والحكم التي يؤنس به الأناس بناءً على اللحظة ومكانة الشخص الذي يتعامل معه ، من الممكن أن يصبح عنيداً وحاد الطبع عندما لا تعجبه بعض الأشياء ، أتعب الرجال الذين يعملون تحت قيادته لأنه كان يريد كل شيء أن يتم بسرعة .

كان كريماً في منح الصدقات وورعاً ودائماً حاضراً عند دفن الموتى ، في مناسبات تنفيذ الأحكام كان يجريها بسرعة ويبدي القليل من الشفقة ، وكان المسلمون يخشونه كثيراً .

لم يكن متزوجاً ، لكن له ابن غير شرعي ترك له ميراثه واسمه ، وقد منح الملك "دوم مانويل" لهذا الابن ثلاثمائة ريال ، وزوّجه "دونا ماريا" ابنة "دوم أنطونيو دي نورونها" الكاتب العدل للملك ، الذي كان ابن ماركيز "فيلا ريال" "دوم بيرو دي مينزيس" ،

قام الملك "جواو الثالث" ، سيدنا ، بتنصيب "دوم أنطونيو كونتاً على "لينهاريس" "Lenhares" .

دليل الباحثين

الوثيقة رقم : ١

آراء ونصيحة من "فرانسيسكو دي سوزا" "Francisco de Sousa" و"جيرونيمو تيكسيرا" "Jeronimo Teixeira" في البحر ، خارج "مونتي ديلي" "Monte Deli" ، الثالث عشر من شهر فبراير عام ١٥١٠م ، حول السيطرة على البحر الأحمر وتحطيم السفن التركية التي يبنيها الأتراك هناك .

(صفحة رقم ٩)

الوثيقة رقم : ٢

قائمة بما قد تم مصادرته من السفن التجارية في بحر عُمان ، في المدة من الثامن عشر من شهر فبراير والثالث والعشرين من شهر مارس ، عام ١٥١٠م .

(صفحة رقم ١٦)

الوثيقة رقم : ٣

بعث "أفونسو دي البوكيرك" "Afonso de Albuquerque" من "غوا" ، في العشرين من شهر مارس عام ١٥١٠م برسالة إلى ملك هرمز ، تؤكد صداقة وود "أفونسو دي البوكيرك" تجاه ملك هرمز ، وأنه ملتزم بتقديم المساعدة الدائمة تجاهه .

(صفحة رقم ٢٤)

الوثيقة رقم : ٤

بعث "أفونسو دي البوكيرك" "Afonso de Albuquerque" في مارس عام ١٥١٠م ، كُلّاً من "روي جوميز" "Ruy Gomes" و"فيري جواو" "Frey Joao" إلى الشاه إسماعيل الصفوي ملك فارس ، ومعهما رسالة فيها التعليمات .

(صفحة رقم ٢٦)

الوثيقة رقم : ٥

بعث "دوم غونسالو فيرنانديز" "D . Gonçalo Fernandes" ، برسالة إلـى "دوم مانويل الأول" "D . Manuel I" ، بتاريخ شهر ديسمبر عام ١٥١٠م .

(صفحة رقم ٣٦)

الوثيقة رقم : ٦

بعث الملك "دوم مانويل الأول" "D . Manuel I" ، "لشبونه" "Lisbon" ، في الثاني عشر من شهر يوليو ، عام ١٥١١م ، برسالة إلى قس

"سيغوفيا" "Segovia" "دوم فراديك" "Dom Fradique" يخبره فيها عن حصار الفـرس لمدينة حلب التابعة للأتراك واستلامه هدايا من ملك فارس .

(صفحة رقم ٥٣)

الوثيقة رقم :٧

بعث كاتب مجهول من "رودس" "Rhodes" ، في الخامس والعشرين من شهر أغسطس ، عام ١٥١١م ، برسالة إلى عنوان مجهول ، وفيها أخبار عن الملك إسماعيل الصفوي أتت عبر "رودس" والبندقية في عام ١٥١١م ، حيث ثار أحد قباطنة الملك إسماعيل الصفوي واستولى على كرمان ، فقام الأتراك بإرسال قوات إلى كرمان لكن القبطان الفارسي هجم عليهم وقضى على معظم القوات التركية .

(صفحة رقم ٥٦)

الوثيقة رقم : ٨

بعث "أفونسو دي البوكيرك" "Afonso de Albuquerque" ، برسالة إلى الملك ، "سانتو أنطونيو" "Santo Antonio" ، في الطريق إلى "غوا" ، في الثلاثين من شهر أكتوبر ، عام ١٥١١م ، يبلغه أخبار مفاوضات السلطان التركي مع حاكم عدن ، وكذلك الرحلات البحرية في المضائق ؛ فلو استولى البرتغاليون على عدن فإن التجارة ستأمن إلى الأبد .

(صفحة رقم ٦٠)

الوثيقة رقم : ٩

بعث الراهب "أمارال" "Amaral" قائد "فيرا كروز" "Vera Cruz" ، برسالة إلى الملك بتاريخ التاسع والعشرين من شهر مارس ، عام ١٥١٢م الذي توفرت له الأخبار عمّا يقوم به السلطان التركي .

(صفحة رقم ٦٧)

الوثيقة رقم : ١٠

رسالة من "أنطونيو كاميلو" "Antonio Camello" ، بتاريخ ١٥١٢م إلى "د. مانويل الأول" "D . Manuel I" ، يخبره بسحق الجيش المصري في "ديو" "Diu" وأن السلطان المصري طلب من السلطان التركي أن يرسل له خبيراً في الحرب لأنه سيقوم بالانتقام من البرتغاليين . **(صفحة رقم ٧٨)**

الوثيقة رقم : ١١

بعث "دوارتي غالفاو" "Duarte Galvão" في عام ١٥١٢م ، برسالة إلى "أفونسو دي البوكيرك" "Afonso de Albuquerque" يبيّن له ما أصاب المسلمين بالتفرقة وأنه يجب محاربة الإسلام . **(صفحة رقم ٨٤)**

الوثيقة رقم : ١٢

بعث "أفونسو دي البوكيرك" "Afonso de Albuquerque" برسالة إلى الملك "د . مانويل" "D . Manuel" ، فيما يتعلق بالفوائد التي

تحققت بموجب العهد الذي أبرمه مع سفير هرمز ، من "غوا" "Goa" ، الثامن من شهر نوفمبرعام ١٥١٢م ، ويؤكد أنه ملتزم بالاتفاقية ويطلب منه ألا يحيد عن عهد خواجا عطار .

(صفحة رقم ٩٣)

الوثيقة رقم : ١٣

بعث "أنطونيو كاميلو" "Antonio Camello" ، بتاريخ عام ١٥١٢م برسالة إلى "د .مانويل الأول" "D . Manuel I" محذراً عمّا يقوم به سلطان مصر من استعدادات للانتقام من البرتغاليين بعد أن هزموه في "ديو" "Diu" .

(صفحة رقم ٩٦)

الوثيقة رقم : ١٤

بعثت رسالة إلى الملك "مانويل" "Manuel" ، من "غوا" "Goa" ، بتاريخ الثامن عشر من شهر ديسمبر ، عام ١٥١٢م من "فرانسيسكو دي البوكيرك" "Francisco de Albuquerque" – يهودي في الهند ، تبيّن تلك الرسالة الترتيبات التي يقوم بها سلطان مصر وسلطان عدن للانتقام من البرتغاليين .

(صفحة رقم ١٠٢)

الوثيقة رقم : ١٥

توثيق الأحداث التي دارت في عام ١٥١٣م ، ومنها غزو الجيش البرتغالي لعدن لاحتلالها ، منعاً من قدوم الجيش المصري من

خلال باب المندب . ودارت المعارك بين القوات البرتغالية الغازية وأهل عدن ، حيث اندحرت القوات الغازية . **(صفحة رقم ١١١)**

الوثيقة رقم : ١٦

بعث محمد شاه ، ملك هرمز برسالة إلى "د . مانويل الأول" "D . Manuel I" ، يخبره فيها أنه علم أن المراسلة بينهما متصلة ، وأنه علم أنه قد تمّ تخفيف نصف المحصول المقرر على هرمز . **(صفحة رقم ١٦٢)**

الوثيقة رقم : ١٧

بعث "فرانسيسكو دي البوكيرك" "Francisco de Albuquerque" من "دابول" "Daboul" في العشرين من شهر أكتوبر ، عام ١٥١٣م برسالة إلى "د . مانويل الأول" "D . Manuel I" جاء فيها عدة بنود أهمها ما حدث في عدن والبحر الأحمر . **(صفحة رقم ١٦٥)**

الوثيقة رقم : ١٨

بعث "فرانسيسكو كورفينيل" "Francisco Corvinel" ، وكيل "غوا" "Goa" ، من "غوا" ، في الثاني والعشرين من شهر أكتوبر ، عام ١٥١٣م ، برسالة إلى "دوم مانويل الأول" "D . Manuel I" يبيّن فيها رغبة الأتراك إقامة علاقات ودية معهم ، وكذلك عملية بيع الخيول في الهند . **(صفحة رقم ١٩٦)**

الوثيقة رقم : ١٩

بعثت رسالة من "كانانور" "Cananor" ، الرابع من شهر ديسمبر ، عام ١٥١٣م ، من "أفونسو دي البوكيرك" "Afonso de Albuquerque" حاكم في الهند ، إلى "د . مانويل الأول" "D . Manuel I" يصف له العاصفة الهوجاء عند مدخل البحر الأحمر . **(صفحة رقم ٢٠٣)**

الوثيقة رقم : ٢٠

في بداية شهر يناير عام ١٥١٤م ، كتب "فيرناو لوبيز دي كاستانهيدا" "Fernao Lopes de Castanheda" في كتابه تاريخ اكتشاف وفتح الهند بواسطة البرتغاليين ، عن البحرين وعن اللؤلؤ في تلك البلاد . **(صفحة رقم ٢٢٣)**

الوثيقة رقم : ٢١

بعث الملك "دوم مانويل الأول" "D . Manuel I" ، "ألميريم" "Almeirim" (السواحل) ، في الثاني من شهر مارس ، عام ١٥١٤م ، برسالة إلى "أفونسو دي البوكيرك" "Afonso de Albuquerque" ، الحاكم في الهند ، في هذه الرسالة طلب الملك البرتغالي استفسارات عن أمور كثيرة حول مكة من تواجد قوات والمسافة من جدة ، وكذلك عن السويس والقاهرة ، وكأن موضوعاً خطيراً يعد لاحتلال مكة . **(صفحة رقم ٢٣١)**

الوثيقة رقم : ٢٢

بعث "أفونسو دي البوكيرك" "Afonso de Albuquerque" ، من "غوا" "Goa" ، في الخامس والعشرين من شهر أكتوبر ، عام ١٥١٤م ، برسالة إلى الملك ، يفيده فيها عما يقوم به بخصوص انتصاراته في حدود دولة الهند وأنه بدون قلعة هرمز لن يبقى هناك ، وتفاصيل أخرى . **(صفحة رقم ٢٣٦)**

الوثيقة رقم : ٢٣

صدرت أوامر لـ "كريستوفاو دي بريتو" "Cristovao de Brito" ، (المكان مجهول) ، في الثامن والعشرين من شهر أكتوبر ١٥١٤م ، من "أفونسو دي البوكيرك" "Afonso de Albuquerque" أن يستولي على أي سفن وما تحمله وهي ليست بينها وبين البرتغاليين أيّ اتفاقية . **(صفحة رقم ٢٣٩)**

الوثيقة رقم : ٢٤

في الحادي والعشرين من شهر فبراير عام ١٥١٥م ، وصل "أفونسو دي البوكيرك" "Afonso de Albuquerque" إلى هرمز ليرتب أمورها بعد التمرد الذي كان يقوده الريس حامد وزير هرمز من قبل ملك هرمز ، وبعد أن رتب اللقاء مع ملك هرمز وقدوم الريس حامد ، طلب من الجميع الدخول للاجتماع بدون سلاح ، وتمكّن رجال "أفونسو دي البوكيرك" من قتل الريس حامد . **(صفحة رقم ٢٤٧)**

الوثيقة رقم : ٢٥

رسالة كتبها رئيس المستشارين في "رودس" "Rhodes" وكبير قضاة "فيراكروز" "Vera Cruz" نقل فيها لجلالة الملك الأخبار عن كيف حقق رجال الإمبراطور الفارسي النصر على عظيم الترك وحصد قواته تماماً للمرة الثانية ، "فيرا كروز" في الخامس من شهر فبراير عام ١٥١٥م .

(صفحة رقم ٢٨٦)

الوثيقة رقم : ٢٦

أمر من "أفونسو دي البوكيرك" "Afonso de Albuquerque" الحاكم في الهند ، إلى "مانويل دا كوستا" "Manuel da Costa" وكيل هرمز التجاري . هرمز ، في السابع عشر من شهر إبريل عام ١٥١٥م ، بالاستيلاء على أموال الناس وسفنهم لا لذنب اقترفوه .

(صفحة رقم ٢٩٠)

الوثيقة رقم : ٢٧

صدر أمر من "أفونسو دي البوكيرك" "Afonso de Albuquerque" الحاكم في الهند ، إلى "مانويل دا كوستا" "Manuel da Costa" الوكيل التجاري في هرمز . هرمز ، في اليوم الخامس من شهر مايو عام ١٥١٥م ، بشأن هدايا للشيخ إسماعيل الصفوي ملك فارس .

(صفحة رقم ٢٩٢)

الوثيقة رقم : ٢٨

بعث "ديوغو دي ميلو" "Diogo de Mello" رسالة إلى الملك ، تتضمن عدة أخبار متفرقة من الهند وحكومتها بخصوص عدم موافقة "القضاة" على ذهاب أي زنجي أسود إلى تلك القلعة حتى لا يقف أي أحد على حقيقة ممارساته هناك ، وهنالك أمور أخرى لها علاقتها بهرمز . هرمز ، العاشر من شهر أغسطس عام ١٥١٥م .

(صفحة رقم ٢٩٦)

الوثيقة رقم : ٢٩

بعث "بيرو دي البويم" "Pero de Alboem" ، برسالة إلى ملك البرتغال . هرمز ، في الحادي عشر من شهر أكتوبر عام ١٥١٥م ، يذكر فيها وصول "أفونسو دي البوكيرك" "Afonso de Albuquerque" إلى هرمز عندها تمرد الرئيس حامد .

(صفحة رقم ٣٢٨)

الوثيقة رقم : ٣٠

من مكان غير معروف وفي عام ١٥١٥م ، جاءت الرحلة التي قام بها السفراء المبعوثون الذين ذهبوا إلى الشيخ إسماعيل ، وما تحمله ، والهدايا التي أخذوها معهم والإجابة التي عادوا بها .

(صفحة رقم ٣٤١)

الوثيقة رقم : ٣١

أحداث نهاية عام ١٥١٥م ، كما وردت في كتاب : "عقود

آسيا" "Da Asia Nova" ، للمؤرخ البرتغالي "جواو دي باروس" "Joao de Barros" ، العقد الثاني ، الكتاب العاشر ، في الفصلين السابع والثامن ، تروي تلك الأحداث الأيام الأخيرة "لأفونسو دي البوكيرك" "Afonso de Albuquerque" حتى وفاته ، حيث توفي في السادس عشر من شهر ديسمبر عام ١٥١٥م . **(صفحة رقم ٣٧٨)**

هوامش المجلد الرابع

1- Arquivo Nacional da Torre do Tombo (ANTT), Lisboa, Corpo Chronologico (CC), Parte III, Maco 4, Document No. 9,

- Arquivo Nacional da Torre do Tombo (TT), Lisboa, Cartas de Afonso de Albuquerque Maco unico (CA) II, p. 5.

2- TT, CC, Parte II, Maco 21, Document No. 3,

- TT, CA III, pp. 13, 17.

3- TT*, Comentarios I:* Comentarios de Afonso Dalboquerque, capitao geral e governador da India, colegidos por seu filho Afonso Dalboquerque das proprias cartas que elle escreuia ao muyto poderoso Rey Do Manuel o primeyro deste nome, em cujo tempo governou a India. Vam repartidos em quatro partes segudo os tempos de seus trabalhos. Com privilegio real. [Lisboa, por Joao de Barreira, 15571], ff 130r-v.

4- TT, Comentarios I, fols. 128v-130r,

- TT, CA II, pp. 79-83,

- TT, Documentacao: Documentacao para a História das

Missões do Padroado Português do Oriente. Coligida e anotada por António da Silva Rego, Lisboa, Agência-Geral das Colónias. volumes: I (1499-1522), vol. I, pp. 81-82,

- TT, Leis e Regimentos (LR), 1-27.

5- TT, CA IV, pp. 46-47, 60, 66,

- TT, *Gavetas*: As Gavetas da Torre do Tombo. 9 volumes. Lisboa, Centro de Estudos Históricos Ultramarinos. I (Gav. I-II), 1960; II (Gav. III-XII), 1962; III (Gav. XIII-XIV), 1963; IV (Gav. XV, macos 1-15), 1964; V (Gav. XV, macos 16-24), 1965; VI (Gav. XVI-XVII, macos 1-3), 1967; VII (Gav. XVII, macos 3-9), 1968; VIII (Gav. XVIII, macos 1-6), 1970; IX (Gav. XVIII, maços 7-13), 1971, Gavetas III, pp. 757-758, 768, 773,

- TT, *Gavetas* XIV, Maco 8, Document No. 11.

6- TT, Documentacao vol. II, p. 232,

- TT, CA III, pp. 20-21,

- TT, CA III, pp. 5-6,

- TT, CC, Parte I, Maco 10, Document No. 60.

7- Bibliotheca National de Portugal-Portuguese National Library (BNL), Fundo Geral (FG), 7638, Fols. 134r-135r,

- TT, Biblioteca da Ajuda (BA), Lisboa, 50-v-21, fols. 157v-158v.

8- TT, Gavetas IV, p. 484,

- TT, Gavetas XV, Maco 14, Document No. 38.

9- TT, Corpo Chronologico (CC) 1500-1630, I/3/142, 1500-1528, Part 1st Maco 11 Document No. 47.

10- TT, Letters of the Viceroys, Maco unico 68,

- TT, CA III, pp. 198-200.

11- TT, CA III, pp. 246-251.

12- TT, CC, Parte I, Maco 12, Document No. 26.

13- TT, CA III, pp. 198-200,

- TT, Letters of the Viceroys, Maco unico 68.

14- TT, CC, Parte I, Maco 12, Document No. 46,

- TT, CA III, pp. 44-47.

15- History of the Discovery and Conquest of the Indies by the Portuguese, Fernao Lopes de Castanheda, 1554, vol. 2, Book 3, Chapters: 103-109.

16- TT*, Documentos I:* Documentos arábicos para a história portuguesa. Copiados dos originais da Torre do Tombo com permissao de Sua Majestade e vertidos em português por ordem da Academia Real das Ciências de Lisboa por frei Joao de Sousa. Lisboa, na Oficina da Academia Real das Ciências, 1790, pp. 59-60.

17- TT, CC, Parte I, Maco 13, Document No. 74,

- TT, CA III, pp. 357-376.

18- TT, CA III, pp. 68-71.

19- TT, CA IV, pp. 177-188,

- TT, CC, Parte 1a, Maco 14, Doc.14.

20- History of the Discovery and Conquest of the Indies by the Portuguese, Fernao Lopes de Castanheda, 1554, vol. 2, Book 3, Chapters: 127-128.

21- TT, CA III, pp. 232-233,

- TT, CC, Parte1, Maco 14, Document No.77.

22- TT, CC, Parte I, Maco 16, Document No. 66.

23- TT, CA II, pp. 128-131,

- TT, CC, Maco 1 of undated laws, No. 28.

24- History of the Discovery and Conquest of the Indies by the Portuguese, Fernao Lopes de Castanheda, 1554, vol. 2, Book 4, Chapters: 136-142.

25- TT, CC, Parte II, Maco 55, Document No. 2,

- TT, CA VI, p. 234.

26- TT, CC, Parte II, Maco 56, Document No. 93,

- TT, CA VI, p. 272.

27- TT, CC, Parte II, Maco 57, Document No. 36,

- TT, CA II, pp. 149-150.

28- TT, CC, Parte I, Maco 18, Document No. 81.

29- ANTT, Fragmentos, CX, M1, No. 87.

30- BNL, MSS da Colleccao Vimieiro, Cod Y-2-51, f 45v,

- TT, CA II, pp. 233-250.

31- Da Asia Nova, ed. vols, Barros Joao de and Diogo Couto, (Lisboa, Na Regia Officina Typografica, 1777-1788, Deacade 2, Book 10, Chapters: 7-8.

ISBN 978-9948-721-92-5
9 789948 721925
www.alqasimipublications.com